الطريقة القادرية

أصولها وقواعدها

كما أرساها الإمام عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه

تأليف

السيد ميعاد شرف الدين الكيلاني

تقديم

السيد عبد الرحمن ظهير الدين الكيلاني

خادم السجادة القادرية

ويليه كتاب

نزهة الخاطر الفاتر في ترجمة الشيخ عبد القادر قدس سره الباطن والظاهر

للعلامة الكبير الملا علي القاري

المتوفى ١٠١٤ هجرية





الطريقة القادرية

أصولها وقواعدها

كما أرساها الإمام عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه

تأليف

السيد ميعاد شرف الدين الكيلاني

تقديم

السيد عبد الرحمن ظهير الدين الكيلاني

خادم السجادة القادرية

ويليه كتاب

نزهة الخاطر الفاتر في ترجمة الشيخ عبد القادر قدس سره الباطن والظاهر

للعلامة الكبير الملا علي القاري

المتوفى ١٠١٤هـ سنة



BOOKS - PUBLISHER

كتاب - ناشرون

Beirut-Lebanon | بيروت - لبنان

AṬ-ṬARĪQA AL-QADIRIYYA
UṢŪLUHĀ WA QAWĀ'IDUHĀ
FOLLOWED BY:
NUZHAT AL-ḪĀṬIR AL-FĀTIR
FĪ TARJAMAT AŠ-ŠAYḪ ABDUL-QĀDIR

الطريقة القادرية أصولها وقواعدها
ويليه:
نزهة الخاطر الفاتر في ترجمة الشيخ عبد القادر

Author : *As-Sayyed Mi'ad Sharafuddin Al-Kilani*
المؤلف : السيد ميعاد شرف الدين الكيلاني

Classification : *Sufism*
التصنيف : تصوف

Year : *1435 H. - 2014 A.D*
سنة الطباعة : ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

Pages: *224*
عدد الصفحات : ٢٢٤

Size : *17 × 24 cm*
القياس : ٢٤ × ١٧ cm

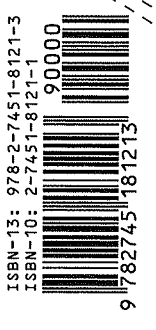
Printed in : *Lebanon*
بلد الطباعة : لبنان

Edition : *First edition*
الطبعة : الأولى

ISBN : *978-2-7451-8121-3*



Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,
Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel :+961 76 944 855-P.O.Box: 11- 374 Riyad Al-Soloh
E-mail: books.publisher@hotmail.com



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة خادم السجادة القادرية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الصادق الامين وعلى آله الطيبين واصحابه اجمعين وبعد:

ففي معرض المدح الإلهي للرسول الكريم ﷺ في القرآن المجيد قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، وعن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال رسول الله ﷺ ((أثقل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن))، هذا وفسر العلماء الآية الكريمة الآنفة على أن الخلق هو الدين، والدين عند الله الإسلام، لنصل بهذه الاصول الشريفة إلى ما قالته الصوفية: (التصوف كله أخلاق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف).

فجوهر الإسلام وحقيقة التصوف الخلق الحسن، إلا أن بعضهم أصابته الحيرة في معيار الخلق وقياسه، فذهبوا في ذلك إلى مذاهب شتى، بينما الأمر عندنا واضح بوضوح الشمس، فالأخلاق الحسنة عندنا هي الاخلاق التي حسنها الشرع، والمذمومة هي الاخلاق المذمومة شرعا.

وبهذا الفهم فالطريقة القادرية تستلهم جوهر الإسلام، وتقف عند حدود الشرع، بنص الكتاب والسنة النبوية المطهرة، وبإطار أخلاقي سمح.

هذه السهولة واليسر، هي التي جذبت قلوب الملايين إلى طريقتنا، في كل مكان من المعمورة، وحققت انتشارا واسعا لم يسبقه إليها أحد.

ومرجعنا في هذه الأسس الصحيحة التي أرساها الإمام عبد القادر الكيلاني (رضي الله عنه) أثناء حياته، والتي هي مبسوطة ومنشورة في كتبه وخطبه ومواعظه، ومن يطلع عليها بإمعان، سيجدها أسسا واضحة سهلة ميسرة، مفهومة لأهل التصوف

وللجميع، فهي بعيدة كل البعد عن الغلو والتطرف، لأن الإمام الكيلاني (ﷺ) نفسه كان عالما فقيها محدثا من الطراز الاول، وانعكس هذا الجانب العلمي من شخصيته على الطريقة القادرية التي أسسها بنفسه، فجاءت قواعدها مستندة إلى الشرع الحنيف، وأصولها مقيدة بأركان الإسلام والدين، فرفع بذلك من البنيان ليصل بالسالك فيها إلى مقام الحقيقة التي هي نهاية مطاف السالكين بالتحقق بمقام الاحسان.

لهذه الأسباب وغيرها، أطلقنا مباركتنا لهذا الكتاب القيم، ليكون منهجا لمشايخ الطريقة القادرية ومحبيها، بروح الاخلاص في التوحيد، والثبات على أركان الإسلام العظيم، وبإطار الخلق الكريم.

وأدعو بذلك الجميع بالعودة لقواعد الطريقة وأصولها الصحيحة، والاخذ من مظانها الأصلية، فهي أمانة في أعناقنا في الحفاظ عليها، لأن هذه الأصول هي التي جعلت القادرية تصمد وتستمر عبر تسعة قرون، وبالرغم من كل الظروف والأحداث والأهوال التي مرت عليها، فسرّ بقائها كان في صدق مشايخها بالالتزام بمرجعيتها الراجحة الرشيدة، وبأصولها وقواعدها الاولى، والحمد لله رب العالمين.

السيد عبد الرحمن ظهير الدين الكيلاني

متولي الاوقاف القادرية وخادم السجادة القادرية

بغداد/ رمضان/1433هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾

(الجن/16)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمدﷺ وعلى آله الطيبين وأصحابه أجمعين وبعد:

هذا الكتاب حررته بطلبٍ من مشايخٍ أجلاء، وصنفته بإلحاح من خُلص المرداء، بأن يكون كتاباً جامعاً للقواعد شاملاً للأصول الصحيحة للطريقة القادريّة العليّة.

وإزاء ذلك لم أجد بُداً، من تشمير العزم وتجريد الهمّة، والتفرغ لكتابته، لأن لهؤلاء المشايخ شرف انتسابي، وإليهم انتمائي، فهم عندي أشرف الأنام، وطواويس العبّاد بعد ان أوقفوا حالهم على خدمة الطريقة، وانفقوا كل غالٍ ونفيس في هذا السبيل، وحبسوا أنفسهم على إعلاء شأن الإسلام، هؤلاء القادريّة تعرفهم بسيماهم، فكلما لاح لك نور يسطع من جبهته علمت أنه من حواريّ القادريّة، وكلما لاحظت آثار الزهد والعبادة بادية على أحدهم علمت أنه من نقباء هذه الطريقة العليّة، فهم البزاة الشهب في أمة الإسلام، وهم المشايخ الربانيون من بين العلماء العاملين، إنهم روح الإسلام، في زمنٍ سادت فيه الماديّات، وانتشرت سلوكيات الانحراف والتغريب، وصارت لهذه القيم الجديدة دول ووسائل إعلام وخزائن مالٍ، كلها تنفق لهدفٍ معلومٍ للجميع، وهو القضاء على قيم ومبادئ الإسلام.

نقول لمن يداخله اليأس والقنوط، إزاء هذه المظاهر السائدة اليوم، إن الطريق غير مسدود تماماً، وإن الأمل يحدونا في النجاح، وإن تفاؤلنا هذا إنما يستند إلى حقائق، ومن هذه الحقائق دروس الماضي، ففي حقبةٍ من حقب العهد العباسي

المتأخر، وبحدود القرن الخامس الهجري، سادت مثل هذه القيم والسلوكيات في المجتمع، وضعفت الدولة العباسية ولم يبقَ من الخلافة سوى الاسم والرمز، وصارت تخوم الأمة عرضة لغارات الأعداء، وتقسمت الأمة إلى طوائف ودولٍ متصارعة وظهرت عقائد منحرفة، وبرزت فرق إلحادية، مع تحلل قيمي وأخلاقي، حتى صار الكثير يبيع (الدين بالتين) كما قالها الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) من على كرسيّ الوعظ ببغداد آنذاك، في هذه الأجواء المكفهرة التي غرقت بها الأمة وخاصة مركز الخلافة ببغداد، وإذا بشابٍ صغير يدخل بغداد، فقير ليس له قبيل، غريب ليس له عشير، ولا يملك مالاً ولا سلطة، ولاحتى بسطةٍ من الجسم والقوة، هذا الشاب شاهد كل شيء بعينيه، ولمس وأحس بكل ما يدور في هذا المجتمع، فشد العزم ونبه الهمّة وأقام الجد وامتلك العلم، فما هي إلا سنين حتى خرج إلى الناس، وهو يمتلك أقوى أنواع الاسلحة، سلاح العلم، فصار فقيهاً مفتياً للديّار العراقية وما جاورها من البلدان، وأمتلك أكبر وسيلة للإعلام وأكثرها انتشاراً وقتئذٍ، وهو إعلام الوعظ، فصار واعظ القرن، وسار في طريق الإصلاح، إصلاح المجتمع مما لحقه من وهن وعلق به من انكسار وضعف، فعلم بذكائه وفطنته، إن العلم والوعظ يحتاجان إلى تكملة وتتمة، في الجانب الأخلاقي والسلوكي، بل الروحي، فأسس الطريقة القادريّة الصوفية، لأنه علم ان التصوف إنما هو الأخلاق وعلم الباطن، وفقه النفوس، وهذا ما يحتاج إليه المجتمع فانطلق بثلاثية الإسلام والايمان والاحسان، بعلم الشريعة والوعظ والطريقة، حتى بلغت الأمور على يديه ذروتها، ووصل التصوف إلى أعلى مراحله ببغداد، واجتمع حوله آلاف المرداء، وازدحمت مدرسته بالعلماء، وامتلأت الباحات عند سور بغداد بالجماهير الغفيرة وهي تستمع إلى مواعظه، فمنهم من يسقط مغشياً عليه بسبب الوجد، ومنهم من يعلن توبته وسط الحشود، ومنهم من يشهر إسلامه، حتى قيل: تعصب الناس له، العامة والبسطاء، العلماء والفقهاء، فبدأت النهضة الإسلامية وسط تلك الحُلكة، وأخذ طلاب الأمصار يفدون على بغداد، ليدخلوا المدرسة القادريّة، ويرجعوا إلى الأمصار وكأنهم قادة لكتائب النهضة الجديدة، وفي بضع سنين تشكل جيش تحرير

بيت المقدس، وكان الكثير من رؤساء كتائبه من القادريّة، ومنها سرايا الشيخ عبد العزيز (رحمه الله تعالى) بن سيدنا الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) ليدخل عسقلان محرراً، وبعدها يتحرر بيت المقدس كاملاً، في نصرٍ باهرٍ خالدٍ على مرّ التاريخ، لازلنا نتغنى به كلما ادلهمت من حولنا الخطوب.

هكذا بدأت القادريّة بفتى فقيرٍ غريبٍ ببغداد، لترقى اليوم باعتبارها من أوسع الطرق الصوفيّة انتشاراً على الاطلاق، إذ يقدر عدد مردائها بمائة مليون قادريّ حول العالم، في آسيا وإفريقيا وأوربا، وفي كل بقعة تتواجد فيها مجموعة من المسلمين، ولو في جزرٍ نائية وسط المحيط.

هؤلاء القادريّة، تعددت اختصاصاتهم بالدعوة والسلوك إلى طريق طلب الله عز وجل إلى مهام عجيبة، غفل عنها الكثير، فعلى أيديهم انتشر الإسلام في قبائل إفريقيا، وبواسطتهم جرى تصحيح الكثير من العقائد المنحرفة عن مبادئ الإسلام السليم، فكان هؤلاء القادريّة (السّد) والجهاز المناعي في جسد أمة الإسلام لصد أي جسم غريب يدخله، أو يحاول نخره من الداخل، ففضلهم على الأمة كبير، ولربما لهذا السبب بالذات استهدفت الطريقة القادريّة بأشكالٍ مختلفة، فتارة من الخارج وأخرى من الداخل، ليأتي كتابنا هذا بنيّة سد ممرات التسلل من داخل الطريقة، ومنع جرها عن جادة الصواب، بظهور أسماء تدعي انها قادريّة المشرب، والقادريّة منها براء ومن ممارساتها وسلوكياتها.

فالقادريون لهم الفضل في إطفاء الفتن، التي تُطِل علينا في كل فترة تحت شعارات ودعاوى منحرفة، تهدف إلى تفريق جمع المسلمين وتشتيت قِواهم، وربما بلغت درجة الاقتتال وإسالة الدماء، بأسماء مختلفة عقائدية تارة وسياسية تارة أخرى، عندئذٍ وفي كل مرة يتجرد لها مشايخ القادرية وأتباعهم، لردم حفر الفتن، وإطفاء نار التفرقة، بهمتهم العالية، وهم يشهرون سلاح العقيدة السليمة، المستندة إلى الكتاب والسنة النبوية، فيدحرون رؤوس الفتن وذيول الدعوى.

وأمام هذه الميّزات العظيمة للطريقة العليّة القادريّة، والتي ذاع خبرها بين أبناء الأمة وعلمائها، أن التفت إليها كبار أولياء الأمور عبر التاريخ، فالتقطوها بيد العناية،

وبعين الانتباه، فالكثير من سلاطين وملوك الأمة حاولوا التقرب إليهم، وكسب ودهم، لعلمهم أنهم مستودع الأمة، وجيش الإسلام الخفي، والاحتياط المضمون عندما تدلهم الخطوب، وهو ما فعله السلطان العثماني الكبير سليمان القانوني ومن بعده السلطان الشهير عبد الحميد، وملوك من الهند مثل جهان شاه، وملوك جاوه وغيرهم كثير، فقدموهم على غيرهم، وأسندوا إليهم مناصب الشرف والاعتبار، فكانوا نقباء أشراف بغداد لمدة تزيد على الأربعمائة عام من العائلة الكيلانيّة، وكذلك الحال مع نقباء أشراف حِمص وحَماه لمدة تزيد على الثلاثمائة عام، ونقباء في فترات متفاوتة في حلب ودمشق والقاهرة، ونقباء للزوايا في الرَباط وغيرها.

نقول: خلال التسعمائة عام من عمر الطريقة القادريّة، طريق المجد وأكاليل الغار، كان القادريّة فيها درة تاج الصوفيّة وجوهرة عقد درر الإسلام، فانتمى إلى هذه الطريقة وانتسب كبار فقهاء الأمة وعلمائها، حتى ليعجب القارئ إذا ما طالع كتب طبقات الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة، سيجد كثرتهم من القادريّة، أما كتب طبقات الصوفيّة فهم في صدارتها بخصالهم الفريدة ومناقبهم المفيدة وكراماتهم العزيزة.

هذا الصيت الذائع، والسمة الطيبة الزكيّة وعلى امتداد هذا التاريخ المديد، أن ظهرت عجائب وفرائد عن تعلق الناس بهذه الطريقة من مسلمين وغير مسلمين، لعل القارئ لم يسمع بها، ومن هذه العجائب: إن (السيخ) وهي ديانة واسعة في بلاد الهند، يحتفلون ويحتفون بالإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) على أنه إمام روحي كبير، جاء بأفكارٍ عظيمة.

أما (النساطرة) وهم فرقة مسيحية منتشرة في العراق وتركيا وغيرها من البلدان، فهم يحتفلون بالإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) ويعتبرونه مصلحا إنسانيا كبيرا.

أما عند الطائفة العدويّة، فالأمر جد خطير، فهذه الطائفة لها قوانين متشددة جداً في الزواج، فلا يسمح لنسائهم الزواج إلا من طائفتهم، بل حتى داخل الطائفة يقسم الزواج إلى طبقات في قوانين صارمة تؤدي إلى الموت، إلا أنهم يبيحون زواج

بناتهم للعائلة الكيلانيّة من دون سكان الأرض قاطبة لا لشيء سوى لأنهم من ذريّة هذا الإمام الجليل.

هذا هو تاج الافتخار القادري الذي لا ينافسهم عليه أحد، إنما صيغت عقوده من قوافل شهداء القلوب والقوالب، شهداء محبة الله تعالى ورسوله الكريمﷺ.

والمحافظة عليه واجب على كل قادريّ محب سالك في هذا الطريق، من خلال التمسك بأصول وقواعد هذه الطريقة، وعدم إخضاع الأمر للأهواء الشخصية، والمقاصد المزاجية، لذا كان كتابنا هذا بعيداً عن الهوى والانحياز سوى إلى الحقيقة، متجرداً عن الاختيار الشخصي، آخذاً بالحجة والرجحان، راجعاً إلى كل وثيقة ومستند في الحضرة القادريّة ببغداد، أو عند المشايخ وأهل الإرشاد، لنضمن بذلك الدقّة في القول، وليكون كتاباً مرجعاً للشيخ المتمرس المرشد، مثلما هو دليل للمريد المبتدئ، وجعلناه كما طُلب منّا ميسراً سهلاً للجميع، وقسمناه إلى أبواب، منها لمن هو في بداية الطريق، ومنها لمن وصل على عتبة العِرفان، ليكون جامعاً شاملاً، ولا نقصد بذلك إننا جئنا على جميع الموضوعات، فالمسائل القادريّة أكبر من حصرها، ووقائعها أكثر من عدّها.

لذا حاولنا جهدنا إجراء مسح للأصول والقواعد والمسائل الأساسية وما تبقى من فروع يمكن إكماله من الأدبيات القادريّة المعروفة.

وعذرنا في ذلك قوله تعالى: ﴿........ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ **{الإسراء/85}**

والله تعالى من وراء القصد ومنه التوفيق، أسأل قارئ الكتاب أن يخصنا بصالح الدعاء لي ولوالدي ومشايخي وأصولي وفروعي... والحمد لله رب العالمين

الفقير إليه عزّ شأنه

السيد ميعاد شرف الدين بن السيد إسماعيل

آل شاميّة الكيلاني الحسني القادري البغدادي

1433هـ/2012م

((القادريّة))

الاسم والاشتقاق

كما هو شائع ومعروف للجميع، فإن اسم (القادريّة) مشتق من اسم الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) مؤسس هذه الطريقة، وواضع أصولها وقواعدها، فالقادريّة نسبة مشتقة من الاسم الأول للإمام عبد القادر إلا أن الأمر - برأينا - يتعدى ذلك ويحمل مدلولاً أبعد من ذلك، ولنا في ذلك الحجة والدليل:

من أن أول من قال بالتسمية (قادريّ) هو الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ)، وكان يعني بها صاحب الحال القادريّ، أو صاحب الوقت القادريّ والوقت هو الحال عند السادة الصوفيّة، إذ قال في قصيدته المسماة (الشريفة):

وَكُـــنْ قـــادريَّ الوقْـــتِ للهِ مُخْلِـــصاً تَعِـــش سَـــعيداً صـــادِقاً بِمَحَبَّتـــي

وكرر العبارة في قصيدته المشهورة بـ (على الأولياء) بقوله:

أَنـــا قـــادريُّ الوَقْـــتِ عَبْـــدالقادرِ أُكَنّـى بمُحيـي الـدينِ والأَصْـلُ جِيلانـي

وهذا المعنى يحملنا على مراجعة كتاب الأسماء والصفات للإمام البَيْهَقي، قال: القادر، معناه إثبات القدرة.

لنصل بذلك إلى أن قوله (أنا قادريّ) و(عبدالقادر) تعني من تحقق باسم الله تعالى (القادر) حتى صار (قادريا)، أي تحقق فتخلق، وبهذا المعنى تتوضح لنا الدلالة، من أن (القادريّ) صاحب حال ملازم يكاد يقرب من المقام، لمن أحصى أسماء الله الحسنى، حتى وصل به إلى مقام التحقق باسم الله القادر ولمن تم له التخلق به، والتخلق به أي ظهور صفات القادر عليه، بعد أن كانت في بطون التحقق.

ولكن ما هي صفات القادريّ المتحقق والمتخلق باسم الله (القادر)، نقول ببساطة هو صاحب التصريف والتمكين، بتفويض من رب العالمين، وهنا تكمن

مسألة دقيقة، فقضاء الله وقدره لا مناص منها، ومن قابل هذا القضاء والقدر بالرضا والصبر والشكر، بقدرة من القادر سبحانه.

لذا صارت هذه المقامات من أهم أسس الطريقة القادريّة، فالقادريّ من كان أمره موافقاً لما أمر الله، فيريد ما أراد الله تعالى، وينتهي عما نهى الله تعالى عنه، فإذا ما تحقق السالك بهذا علماً وحالاً، صار من القادريّة.

محددات السلوك القادريّ

يتقيد القادريّ، إن كان شيخاً مرشدا، أو سالكاً مجتهدا، أو مبتدئاً مريدا، بهذا الطريق بمحددات لا بد منها ليصح القول عنه أنه قادريّ السلوك والمشرب، وهذه المحددات هي:

1. الملتزم بنطاق الكتاب والسنّة، علماً وحالاً، والعامل بهما.
2. المتبع من دون ابتداع للرسول الأكرم محمدﷺ.
3. المقيد بأصول وقواعد الطريقة القادريّة كما أرسى أركانها الإمام عبد القادر الكيلاني (رضي الله عنه).
4. الجامع لهذه الأركان على الظاهر والجوارح مع الالتزام، والصادق المخلص في الاعتقاد والاتباع في الباطن.
5. وأن يتخذ له شيخاً تقيّاً نقيّاً مرشدا من أهل التلقين، يتولى تربيته، ويكون دليله في هذا الطريق، ولا يستقل بذاته إلا بعد الاجازة والفطام.
6. الحافظ لآداب الطريق، سلوكاً وخُلقاً، والمتلبس بدوام الأوراد والذكر القادريّ روحاً ونصاً وفهما.

هذه المحددات لا اجتهاد فيها من حيث الأصول، إلا في الفروع الدقيقة، إذ يترك للمشايخ الأجلاء فسحة التعاطي مع المرداء، بحسب قابلياتهم واستعداداتهم.



الباب الأول/النموذج القادري

سيرة

الإمام عبد القادر الكيلاني (رضي الله عنه)

(خلاصة وتجسيد للسلوك القادريّ)



الحضرة القادرية ببغداد

الباب الأول

سيرة الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ)

(خلاصة وتجسيد للسلوك القادريّ)

كنا قد بسطنا القول في سيرة وحياة الإمام (ﷺ) بكتابينا (تاريخ النقباء) و(قطب بغداد)، فلا نجد حاجة إلى إعادة ذكر تفاصيلها الدقيقة مجدداً، إلا ما اقتصر منها على الإشارات ذات الدلالة المتعلقة بموضوعنا هذا، ومنها:

(1) (البذرة الطيبة والبيئة الصالحة)

ولد الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) بحدود سنة (470هـ) في "جيلان" وهي بلاد متفرقة من طبرستان، من عائلة شريفة النسب والسلوك، فكان يطلق على عائلته هناك لقب الأشراف، لما لهم من نسبٍ حَسني شريف، وكذلك شرف السلوك والصلاح، حتى اشتهر أمرهم بين الناس، وفي هذه البيئة الصالحة التي جمعت شرف الأصل مع شرف التقوى، نشأ الإمام (ﷺ)، فكانت بذرته الطيبة قد وضعت وسط بيئة صالحة، فنتج عن ذلك ثمرة طيبة، فالأبناء ثمرة ما بذره الآباء، فاشتهر أمر أبيه على أنه من الزُّهّاد والعُبّاد، واشتهرت والدته على أنها بنت أبي عبدالله الصومعي الزاهد، فكانت طفولته مثاليّة، وعاشها في بحبوحة بين أهله، ووسط توقير المجتمع واحترامه له ولعائلته، وهذا الأمر القى بظلاله على شخصيته فيما بعد، إذ اجتمعت في هذه الشخصية ثلاثة عناصر مهمة، وهي: الزُّهد والعبادة والتقوى، مع النسب الشريف، بالإضافة إلى التربية الصالحة، وهذه العناصر لها تأثيرها البالغ في النشأة في تشكيل شخصية قوية مؤثرة مؤمنة، وهو ما سنجده جليّاً واضحاً في سمات الإمام (ﷺ)، فعندما وُضع - فيما بعد - وسط الغربة والجوع فريداً وحيدا،

تمكن من الصبر والتماسك على ما أصابه بجَلدٍ وقوة، وهي أساسيات يحتاجها السالك في هذا الطريق المليء بالمكابدات والمجاهدات، لأن الضعيف ونقصد ضعيف النشأة والشخصية لا يحتمله ويطيقه. فالقوي القادر أثبت على المعاملة والرياضة الصوفيّة من غيره.

(2) (عالم الغيب والشهادة)

في وقتٍ مبكرٍ من حياة الإمام (ﷺ) توفيّ والده، وبدأ بارتياد مكاتب التعليم الصغيرة، المنتشرة في تلك البلاد، لتعلم القرآن وحفظه وتلاوته عند السادسة أو السابعة من عمره، والمصادر الموثوقة تحدثنا عن شغفه في تحصيل العلم، وإقباله على الدرس، في وقتٍ مبكرٍ من حياته، وأثناء ذلك بدأ يسمع دون أن يرى هاتفاً يقول له: ((أيها المبارك)) وكان يخافه........ اشد الخوف، فيركض إلى والدته مسرعاً ويرتمي في حضنها، ويحكي لها ما جرى معه، فعلمت والدته حقيقة حال ولدها الصغير وما يجري معه، كونها سليلة بيت زُهّاد ومشايخ سالكين وصوفيّة، وأيقنت أن إرادة الغيب والأقدار تدخلت في أمر ولدها، وان ابنها قد أطلَّ على عوالم عصيّة على غيره، هذه العوالم بدأت تنسج إرادتها في نفس هذا الطفل، أما الإمام (ﷺ)، فوعى بشكلٍ مبكر، من أن هناك شاهدين، الأول: من عالم الشهادة، والثاني: من عالم الغيب، فأما عالم الشهادة فهو العلم بما يرى ويسمع ويفهم، والثاني من عالم الغيب، الذي سمع منه تلك الهواتف، وان هذه الهواتف مصدرها غيبي لا يمكن معرفة كنهه، ولا يمكن الوصول إليه، الا أن رب هذا العالم يقف معه ويشجعه بـ (المبارك)، لذا كان الغيب محور سلوك الإمام الكيلاني (ﷺ) فيما بعد[1].

---

(1) وعند تعرض الإمام الكيلاني (ﷺ) لمفهوم العقل، ذكر أن الفضل له يعود في القابلية على تلقي إشارات من عالم الشهادة والغيب، الا أن مفهوم العقل عند السادة الصوفيّة، يختلف عن مفهومه عند الآخرين فعندهم هو عقل من الله، وليس آلة مستقلة كما يزعم الآخرون، لذا ربط مفهوم العقل بالإيمان وقابليته على الاطلالة على العوالم، فأعطاه سعة تشبه إلى حد ما سعة
=

وفي مقالته (المشاهدة) يقول (ﷺ): ((المشاهدة هي من الكونين بعين الفؤاد)).

وعين الفؤاد عينٌ تفتح في مقام القلب، تحدث فيها المشاهدة، برؤية غير رؤية عين الرأس، بل تطل على كونٍ آخر غائب عن هذه العيون.

(3) (الشغف والمحبّة)[1]

استولى على قلب الإمام الكيلاني (ﷺ) في وقتٍ مبكرٍ من حياته، شغفٌ عظيمٌ، في طلب العلم، والتفكر بالخالق والخَلْق، حتى إن المصادر كررت هذه العبارة مراراً وتكرارا، ووصفته بأنه (شغفٌ علمي) أو شغف في طلب العلوم وتحصيلها، وكلمة (شغف) كما يفسرها أصحاب المعاجم هي: ((حرقة في القلب مع لذّة يجدها وهو شغف الحب))، فشغفه عن محبة، والأمر مسحوب على العلم، فحب الإمام للعلم وصل به (ﷺ) إلى درجة الحرقة في القلب في طلبه وتحصيله، بمصاحبة لذّة المحبة له.

وهذا الحال، أي حال المحبة احتراقاً والشغف لذّةً، تُعد أهم أحوال السادة الصوفيّة، وتسميه حال (المحبة)، بتعلق القلب بالمحبوب، حتى أنهم أوصلوا المحبة إلى مقامات سامية، فقالوا: المحبة شرط من شروط الإيمان، وقالوا: المحبة حال ما لا بد منه، وان كل مقامٍ يخلو من المحبة ليس بمقامٍ، لذا صارت المحبة عندهم، حال كل الأحوال.

هكذا كان حال الإمام الكيلاني (ﷺ) في عمر فتوته، شغف ومحبة للعلم ولذّة واحتراق في تحصيله وطلبه، فيكون قد بدأ بداية راسخة، وانطلق انطلاقة صحيحة في السلوك في طريقه الطويل، والذي سيفضي به - فيما بعد - ليكون عالماً فقيهاً

=

القلب، في تلقي الالهام. يقول الإمام الكيلاني (ﷺ) في مقالة (خلق الآدمي): ((والعقل فيه إشارة إلى كونه من عالم الشهادة والغيب))؛ انظر: المقالات الذوقيّة للإمام الكيلاني - مقالة خلق الآدمي.

(1) انظر كتاب: أبواب التصوّف - باب المحبّة.

مفتيا، والفضل في ذلك للبداية الصحيحة، فواجب السالك ابتداءاً، طلب العلم الشرعي والتفقه بعلوم الدين، ليقف على محددات الشريعة فليلتزم بحدودها وضوابطها وأحكامها، وهذا الطلب العلمي ذروته وحال تحققه، إذا كان مصاحباً بالشغف في طلبه والمحبة في تحصيله.

(4) (الصدق)

لدى بلوغه (ﷺ) الثامنة عشرة من عمره، غادر موطنه متوجهاً شطر بغداد، بحدود عام (488هـ)، فاستأذن والدته بالسفر، بطلبٍ فيه الأدب الجم حين قال لها: (هبيني لله عزَّ وجل وأذني لي بالمسير إلى بغداد، أشتغل بالعلم وأزور الصالحين).

فما كان من والدته وهي المطلعة على حاله وما ينتابه في طفولته، وشغفه بالعلم، وحبه للصالحين، إلا أن زودته بزاد الطريق، مع ثمانين ديناراً تركها له والده قبل وفاته، أخذ منها أربعين ديناراً وترك لأخيه (أحمد) نصفها الآخر، وقالت له مودعة: (يا ولدي اذهب فقد خرجت عنك لله عزَّ وجل، فهذا وجه لا أراه إلى يوم الدين).

وفعلاً لم يرَ والدته بعد ذلك، إلا أنه في أحد مجالس وعظه ببغداد بعد عام (521هـ)، سكت فجأة عن الكلام ودمعت عيناه، فاستغرب الناس من ذلك، وسألوه فيما بعد، فقال: (الآن ماتت أمي)، بعد فراق دام أكثر من ثلاثين عاما.

المهم، أن والدته وهي بنت أبي عبدالله الصومعي، طلبت منه قبل سفره أن يعاهدها على الصدق في كل أحواله، فأعطاها وعده، والعجيب أن في مثل هذه المواقف، الوالدة تطلب من ولدها الحرص على نفسه في الغربة، والعناية بدروسه، وما إلى ذلك، إلا إننا أمام نصيحة غريبة بعض الشيء، حين طلبت العهد على (الصدق) وتركت باقي الأشياء، نقول بصراحة شديدة إلا اننا لم نجد تفسيراً لهذا، سوى إنها إشارة ربانية وقعت في قلب والدته العابدة الزاهدة لينطلق بها لسانها، كما لا تخلو من دراية والدته باستحضار سيرة الرسول الكريم محمد ﷺ، حين اشتهر أمره قبل البعثة بأنه (الصادق الأمين)، فكان الصدق مدخل النبوة وبابها، فتمنت

لولدها أن يتخذ من الصدق مدخلاً لحياته، وهذه الإشارة نعدها مهمة لأهل السلوك، من أن الصدق هو المدخل إلى الولاية، وباب من أبواب القرب والوصول.

بعد ذلك وضع الإمام الكيلاني (ﷺ) دنانيره الأربعين تحت إبطه في دلقه وخاطته له والدته؛ وأخذته القافلة من بلاد "جيلان" ثم "همدان" ووصل إلى "درتنك"، وهي منطقة في عراق العجم، تقع اليوم على الحدود بين إيران والعراق، وإذا بقطّاع طريقٍ يخرجون على القافلة ويسلبونها، ويأخذون ما لدى ركّابها من مالٍ ومتاعٍ، ويمر عليه أحد القطّاع فيسأله ما يملك؟ فيتذكر عهده لوالدته بالصدق، فيجيبه بانه يملك أربعين ديناراً، إلا أن الرجل يتركه لاعتقاده أنه يهزأ به، ويتكرر الحال مع رجلٍ آخر من القطّاع، وثالثٍ يأخذه إلى مقدمهم (رئيس القطّاع)، فيسأله السؤال نفسه، ويصدقه هو الآخر مرة أخرى، فيشق دلقه ليجد الأربعين ديناراً كما قال، عندئذٍ يبهت مقدم العصابة ويتعجب الجميع من حال هذا الفتى، فسأله رئيس القطّاع: ما حَمَلك على الاعتراف؟

فيأتيه جواب الإمام (ﷺ) مسرعاً: (إن أمي عاهدتني على الصدق وإني لا أخون عهدها).

فصعق رئيس القطّاع بإجابته أكثر من صدمته بصدقه فقال: أنت لم تخن عهد أمك، وانا لي كذا... كذا سنة، أخون عهد ربي، فتاب المقدم وتبعه باقي القطّاع، وردوا إلى القافلة ما سلب منهم.

في هذه اللحظة الباهرة، والكرامة الظاهرة، وقف الإمام الكيلاني (ﷺ) على ثمرة الصدق العظيمة، وقفة شاهد عيان ومشهود بإحسان، فكان تأثير الصدق عليه تأثيراً بالغ الخطورة، وصار الصدق عنده الركن الركين، والعمود المتين، في سلوك الطريق.

فذكر في مقالته (أركان الطريق) قال: (للطريق ثلاثة أركان الحق، والصدق، والعدل).

وأضاف: (من طلب ربه بحقيقة صدق قلبه، صار صدقه في قلبه مرآة عجائب الدنيا والآخرة).

وفي مقالة ثانية تحمل عنوان (الصدق) قال (ﷺ): (يا غلام...عليك بالصدق والصفاء، فلولاهما، لم يتقرب بشرٌ إلى الله).

وأضاف: (الطريق إلى الله عزَّ وجل، لا يسافر فيها بغير زاد الصدق).

فحسم الأمر عنده وقطع، من أن (الصدق) هو سر الطريق إلى الله سبحانه وتعالى.

(5) (الكرامة)

الدلالة الثانية في قصة قطّاع الطريق الآنفَة، بالإشارة إلى كونها كرامة من كرامات الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ)، في توبة قطّاع طريق قساة القلوب، بهذه السرعة، وإنقاذه لأرواح وممتلكات قافلة كاملة وبعمرٍ مبكرٍ.

وكرامات الإمام كثيرة، منها ما شاعَ في بلاده واشتهر، وهو لازال طفلا رضيعا، من أن للاشراف وُلِدَ وَلَدٌ لا يلقم ثديَ أمه نهارَ رمضان. وغير هذا كثير مما ذكرته المصادر والوثائق، ومنها كلامه على خواطر الناس.

نقول، اهتمت السادة الصوفيّة بمسألة الكرامة، وصنفت في ذلك الكتب والمؤلفات منها كتاب (الجامع لكرامات الأولياء).

وخلاصة القول: إقرار الصوفيّة من أن الله سبحانه وتعالى خصَّ أولياءه بالكرامات، مثلما خصَّ أنبيائه بالمعجزات، لرفع شأنهم وإعلاء كلمتهم، أو لحكمة هو يعلمها ويخص بها من يشاء من عباده المقربين.

ويقتضي الفهم منّا، الفصل بين قوة الايمان التي تأتي بثمارها في كل حين، فقصة قطّاع الطريق لا تخرج عن كونها قوة إيمان وصدق ؛ استجلبت معها كرامة، وبين كرامة وهبيّة، يهبها الله سبحانه لعباده الصالحين، فالصوفيّة عامةً والقادريّة لا بد لهم من هذا الفهم، بأن ممهدات الكرامة، الصلاح والتقوى، والايمان، والصدق، وبعد اكتمال الشروط وإتمام التحقق والتخلق، عندها تأتي الكرامة بمشيئة الله سبحانه وتعالى، في نوعها وتوقيتها وأسبابها ودواعيها. ومثلما قيل انتظار الكرامة

كرامة، وان الكرامة عند الشيوخ الكمل لا تطلب لذاتها، بل لينظر المكرم قربه من الله سبحانه وتعالى.

(6) (الغربة)

حقيقة الغربة عند السادة الصوفيّة، هي قطع العلائق والأسباب، والبقاء لله وحده، فالغريب هو الذي قطع تعلقاته وعلاقاته بالخَلْق، بعيداً عن الأهل والخِلاّن، وبقى وحيداً غريباً في ديار الغربة، فلا يجد معيناً ولا مساعداً ولا قريباً ولا أنيساً غير الله وحده، هذا هو مقام الغربة، مقام سيف قطع، قطع ما سوى الله سبحانه وتعالى ويبقى وحيداً مجردا متفرداً بالله ومع الله سبحانه.

هكذا كان حال الإمام الكيلاني (ﷺ) حين دخوله بغداد عام (488هـ)، فليس له قريبٍ يأوي إليه، ولا أنيس يأنس به، ولا قبيل ولا عشير، ولا سند ولا ظهير، وانقطعت به الأسباب، وتقطعت عنه العلائق، وحيداً في مدينة مزدحمة، لا اعتبار فيها لفتى غريب فقير، فعاش الإمام (ﷺ) الغربة بكل معانيها وأبعادها، وأحاط بمضمونها وفحواها، لذا صار لديه مقام (الغربة) من أهم مقامات أهل السلوك، وعدّه خصلة من أهم خصال (القادريّة)، ففي وصيته لولده الشيخ القدوة عبد الرزاق الكيلاني، قال له: ان التصوف مبني على ثمانِ خِصال - ثم عددها - ووصل إلى الخُصلة الثامنة وهي (الغربة)، وقال عنها: إنها خُصلة من خِصال نبي الله يوسف (عليه السلام).

ثم جاء من بعده ولده السيد محمد الكيلاني (رحمه الله تعالى)، ليفرد للغربة باباً خاصاً، قال فيه (الغربة): (غربة الأوطان، فالغربة عن الأوطان من أول حقيقة القصد)[1]، ولعل عبارته هذه أخذها عن والده، فاعتبر الغربة عن الأوطان أول المقاصد الحقيقية للتحقق بمقام الغربة.

نقول: إن غربة الإمام المبكرة عن الأوطان والأهل والخلان، حققت له منافع شتى، بالرغم من معاناته الكبيرة، ومن هذه المنافع:

---

(1) كتاب أبواب التصوف، ص302.

1. قطعه للأسباب، ووقوفه مع المسبب، وهذا مقام فيه الكثير، من التجريد والتفريد وهو من أسس الطريق.
2. الغربة وفرت له فسحة من الوقت، للاشتغال بالعلوم، وإقامة الذكر والعبادة، بعيداً عن الالتزامات العائلية والانشغالات الاجتماعية.
3. عززت فيه قوة اعتماده على نفسه، فنشأ عصامياً، قوي الشخصية، في مواجهة الصعوبات.

(7) (الفقر والجوع)

بعد سنين من دخوله بغداد، وفي منتصف الطريق، طريق طلبه للعلم وتحصيله، نفد ماله، فالتفت إلى من حوله، فلم يجد معيناً ولا معيلاً له، فأدركه الجوع والإملاق، وكاد يصافح الموت من شدته، ففي غلاء نزل ببغداد يوماً دخل إلى مسجد في سوق الرياحين، وهو لم يذق طعم الأكل منذ أيام، وأدرك أنها لحظاته الأخيرة في الحياة، وإذا برجلٍ عند المسجد يأكل الشواء والخبز يدعوه إلى مائدته، وعلى ما يبدو ان الرجل لاحظ آثار الجوع والوهن الشديدين عليه، فأكل معه لُقَيمات بعد تمنع، وأثناء ذلك تدخلت يد القادر الرباني، وهو في حالة من الموت المعنوي، الذي يشبه الفناء عند الصوفيّة، ليسأله المضيف عن رجلٍ يدعى عبد القادر من بيت أبي عبدالله الصومعي، فيقول له: أنا ذاك، فيقول له ان أمه أرسلت له بعض الدنانير، وانه كان يبحث عنه منذ أيام، فأنفق من المال بحكم الاضطرار وهذا الطعام من دنانير والدته، فيتحول الإمام من ضيف على مائدة رجلٍ غريب إلى مضيفٍ له، فيدرك الإمام عظمة الأقدار الربانية، وروعة هندسة اللحظة الوجودية، من رب الوجود ومبدعه، فيردد مع نفسه قوله تعالى: ﴿ ....وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾[1]، فليس في الوجود عبث وصدفة، وكل شيء بترتيب

(1) سورة الفرقان: الآية 2.

وعلى قدرٍ مسبوق، ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾[1]، فالجوع والفقر قدر، وبهذا تحدث الإمام الكيلاني (ﷺ)، عن نفسه وحاله وفقره وجوعه وعن تلك الأيام، عن أكله الخرنوب، وورق الخس، والمنبوذات، والبقول، والحشائش وإن فقراء المدينة كانوا يزاحمونه على هذه البقايا، فيتركها حياءاً أما ملبسه المهلهل البالي، فحدث عنه ولا حرج، فكان يلبس الصوف طوال مدة دراسته وسلوكه، تشبهاً بالصوفيّة وفقراً وكان بعض الأهالي يخصونه بعطية، باعتباره من طلاب العلم، ليشتري بها ملابس من الصوف، وبهذا الوصف وهذا الحال، اعتبر الإمام الكيلاني (ﷺ)، الفقر مرادفا للتصوف، وجاءت كلمة فقير وفقراء في أدبياته، ليعني بها الصوفيّة وأهل السلوك، كما ذكر ذلك في كتاب الغنية بقوله: (وأدب الفقير إخراج الغنى من قلبه، ويكون قلبه فارغاً من الغنى وماله، بل من الدنيا أجمع، ولا يجعل لشيء من الأشياء في قلبه موطناً ومحلاً ومدخلاً، بل يتصفى من ذلك كله، ويخلو منه، ثم يترقب امتلاءه بربه عزَّ وجل).

وفي نصٍ آخر له يُظهر الإمام (ﷺ) استلذاذه بالفقر أكثر من استلذاذه بالغنى يقول: وينبغي أن يكون استلذاذه أكثر من استلذاذ الغني بوجود غناه[2].

ومن هنا يتضح لنا مفهوم الفقر عند الإمام (ﷺ) ودلالته في:

أولاً: فراغ القلب من كل شيء.

ثانياً: بالفقر يتم اغلاق أبواب الأسباب والأشياء من الدخول إلى القلب.

ثالثاً: الفقر هو الغنى عندما يمتلئ القلب بالله عزَّ وجل فكأنه امتلك كل شيء.

هذا الفهم المتعالي للفقر، لا تجده بهذه الاحاطة عند غيره ؛ والسبب وراء ذلك واضح، إنه عاش الفقر حتى تحقق فيه، فالأخبار التي وصلتنا، انه كان على هذا

(1) سورة الأنبياء: الآية 16.

(2) كتاب الغنية، ج3، ص1300، وأينما وردت كلمة فقير وفقراء فتعني الصوفيّة والصوفي في هذا الكتاب.

الحال من سنة (488هـ) إلى سنة (505هـ) على أقل تقدير، فيكون قد عاش أقسى أنواع الفقر على امتداد سبعة عشر عاماً من شبابه.

(8) (الأدب مع المشايخ)

وصف الإمام الكيلاني (ﷺ) المشايخ بأوصاف نفيسة وفريدة، حين ذكر فضلهم في سلوك الطريق إلى الله عزَّ وجل، وهم الأدلاء عليه، وإن الاعتراض عليهم في الظاهر بحكم الـ (تارك لأدبه) والمعترض عليهم في الباطن (متعرض لعطبه) وأوصل الأمور إلى ذروتها بقوله: (مخالفة الشيوخ سمٌّ قاتلٌ فيها مضرة عامة)[1].

أما عن الأدب مع الشيخ فقال: (اما آدابه مع الشيخ، فالواجب عليه ترك مخالفة شيخه في صحبته في الظاهر، وترك الاعتراض عليه في الباطن، فصاحب العصيان، بظاهره تارك لأدبه، وصاحب الاعتراض بسره متعرض لعطبه). وأضاف: (فالمشايخ هم الطريق إلى الله عزَّ وجل، والأدلاء عليه، والباب الذي يُدخل منه عليه فلا بد لكل مريد لله عزَّ وجل من شيخ)[2].

والعبارة الأخيرة ملزمة لكل مريد، إذ لا بد له من شيخٍ يتولى تربيته وتلقينه، حتى قيل: من لا شيخ له الشيطان شيخه.

بهذا الأدب والالتزام العاليين، تعامل الإمام مع شيوخه، فكان التوفيق حليفه، فالأخبار المتوفرة لدينا من مضانها ومصادرها الأصلية تخبرنا بأن الشيخ حماد الدباس وهو من شيوخ الإمام في السلوك، كان يعامله بشدة، إلا أنه كان لا يبدي له اعتراض أو مخالفة، وجرى أول لقاء بينهما، أن اغلق باب زاويته بوجهه في ليلة مَطيرةٍ، وبقى الإمام واقفاً عند الباب، وفي حادثة أخرى، أن ألقاه في النهر في يومٍ شتاءٍ باردٍ، ولم يُبْدِ الإمام بالرغم من هذه المعاملة، اعتراض أو مخالفة، ولعل الشيخ الدباس كان يتحين الفرص لامتحانه وليقف على جوانب القوة والوهن فيه،

---

(1) كتاب الغنية، ص 1288.

(2) المصدر السابق، ص 1280.

من خلال هذه المعاملة، واستمر الحال إلى سنة (505هـ)، حين التقاه الشيخ الكبير يوسف الهمذاني ليكتشف بفراسته الخير الكثير الكامن في مستقبل الأيام للإمام عبد القادر، فأخذه بيده إلى القاضي أبي سعيد المبارك المخرمي، ليوصيه به خيراً ويزكيه، فاحتضنه الأخير لاطلاعه أن فراسة الهمذاني لا تخيب، وكانت للمخرمي مدرسة أسسها في باب الأزج، فأعجب به ومنحه الاجازتين العلمية والصوفيّة، وجعله معيداً في المدرسة، وبعد مدة، تحقق من أدبه وخُلُقه وعلمه عن قرب، ففوض إليه مدرسته قبل وفاته، بالرغم من أن للقاضي أبي سعيد ذرية من علماء وقضاة، وهنا نقف على بركة الأدب مع المشايخ، عندما فضل القاضي المخرمي تفويض مدرسته مع خزانة كتبه إلى الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ)، في الوقت الذي كان للقاضي أبناء وكان بإمكانه تفويضها إليهم، إلا أن بركة الأدب مع المشايخ تأتي أُكلها في كل حين، لذا أوجب - فيما بعد - الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) على السالك في الطريقة القادريّة الالتزام التام بالأدب مع المشايخ، كما وجدنا ذلك في النصوص الآنفة، ومشايخ الطريقة القادريّة يطلقون على المريد المخلص السالك على يدهم لقب (الولد القلبي) ويطلقون على أولادهم من ظهورهم (الولد الصلبي)، ولربما قدموا أو فضلوا ولدهم القلبي على أولادهم الصلبيين، وبالمقابل فالمريد السالك يتعامل مع شيخه بأدبٍ زيادة ويعتبره بمثابة (أب)، ونخلص من كل ذلك، إلى أن سلوك هذا الطريق لا يتوقف كما قيل على علوم الورق بل على علوم الخرق، وعلوم الخرق هي الآداب والأخلاق، فعلاقة المريد بالشيخ علاقة تلاقح قلبي وروحي أكثر منها علاقة أستاذ بطالب، ولا يتم الاتصال والرياضة وشرب السلوك، إلا بالولاء القلبي والخلق الحُبي والاتصال الروحي، وهذا من أعمدة السلوك والطريق.

متلازمات الإمام الكيلاني(ﷺ) سر أركان الطريق القادري

متلازمات أركان الطريق عند الإمام الكيلاني (ﷺ) ثلاث: العلم، والسلوك، والوعظ، ثلاثية مترابطة متلازمة، الواحدة تكمل الاخرى، عمل بها الإمام عبد القادر

بكل جدٍ واخلاص ولم يترك واحدة منها لحساب الاخرى في كل الظروف والأحوال، الأولى: العلم الشرعي أو علم الظاهر، للوقوف على محددات وضوابط الشريعة والالتزام بها، والثانية: علم الطريقة، أو علم الباطن لأحكام فقه النفوس وضبط السلوك، والثالثة: الوعظ كوسيلة مخاطبة لعامة الناس، وإصلاح المجتمع ونصح الأمة لربط المجتمع بالشريعة والطريقة، فلا تبقى حكراً للخاصة، بل مبذولة للجميع.

أولاً: العلم

ذكرنا أن الإمام حصل على فرشة إبتدائية من العلوم الأولية عند أهله إلى بلوغه سن الثامنة عشرة، وفي هذا العمر دخل بغداد، وبدأ بتحصيل العلوم عالية المستوى، في الفقه والحديث واللغة والفنون المتصلة بها، حتى برع في ثلاثة عشر علماً، كان يُدَرِسها في مدرسته للطلاب، وتبدأ هذه الدروس من الصباح الباكر إلى ما بعد العصر، وقضى بهذا المنهج خمسة وعشرين عاماً في دراسة العلوم الشرعية، وهذه العلوم لم تكن وحدها من منحه هذه المكانة المرموقة في حياته وبعد مماته، بل رافق هذا العلم العمل بها، ورافق هذا العمل السلوك الصوفي، من زُهدٍ وورعٍ، ورافق هذا السلوك كذلك، سمعةٍ طيبةٍ شاعت بين الناس، فالعلم عنده ليس حفظ النصوص فحسب، لأن هذه العلوم ستمتحن الأمة حاملها ومدعيها بالعمل والمراقبة، وهنا يأتي دور الصدق والاخلاص، فيكون التوفيق من الله تعالى نتيجةً لذلك، ومن هذا التوفيق جاءه الافتاء في الخطة العراقية بانتخابه له، فصار مفتياً لعراق العرب والعجم وما جاورهما من البلاد، وأخذت الفتاوى ترد عليه من كل مكانٍ، ويوفد إليه طلاب العلم من كل حَدبٍ وصَوب للدراسة على يده، بعد أن شاعَ صيته وذاع خَبَرَهُ، وصارت مدرسته مأوى للطلاب والغرباء والمستفتين، وتخرجت على يديه طبقة كاملة من الفقهاء والعلماء في العراق وخارجه، وكانت دروسه الدينية العلمية لا تخلو من علم التصوف، في تعمدٍ واضحٍ في المنهج، بربط

علوم الشريعة بالطريقة لأنه كان يعتقد أن في ارتباطهما التكامل، بين الظاهر بالشريعة والباطن بالطريقة، وتمامه في تلازمهما.

لذا فإن من أساسيات أركان هذا الطريق، التفقه في علوم الدين، والوقوف على تفاصيل ودقائق الشريعة، لمعرفة المحددات والواجبات والهيئات، التي نعبد بها الله سبحانه وتعالى، وبعد هذه المعرفة الواجبة، يبدأ العمل والالتزام بها، لأنها الأساس المتين في السلوك، ولضمان السلامة في الطريق، ولاجتناب البِدع، وذكر لنا الإمام عبد القادر الكيلاني (رضي الله عنه)، حوادث وأهوالا مرت به، منها تجسد الشيطان الرجيم له، في هيئات وصور مختلفة وهو يدعوه إلى الحرام، إلا أنه كان يرفضها، وعندما ينجلي الموقف، يقول له الشيطان: نَجَوْتَ بعلمك.

بالعلم وحده يمكن للسالك من التميز بين الحلال والحرام، ومعرفة الشبهات، والوقوف على الحدود وتطبيق الأحكام، وإلا فإن التمييز من دون ذلك صعب عسير، وكما قيل: كم سقط من أهل الله وسط الطريق بدعاوى وبدع، فلو كان لديهم التمكن العلمي، لاستطاعوا النجاة من كل هذه الدعوى والبدع.

ثانياً: السلوك

اطلعت على رسالة دكتوراه صادرة من جامعة إسلامية في دولة عربية، ذكر فيها الباحث، ان الإمام عبد القادر (رضي الله عنه) سلك التصوف لأن الأجواء السائدة آنذاك كانت هكذا، طبعاً إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ان هذه الجامعة في دولة لا تشجع على التصوف وعلى ذكر الصوفية بخير، عندها سنعلم أن الطالب لربما كان مجبراً على هذا القول، علماً ان طبقات الحنابلة الأوائل كان اكثر فقهائهم من الصوفيّة، وتعليقاً على هذا البحث، فإن في هذا الرأي وهما كبيرا ؛ ودليلنا على ذلك: أولاً: ان الإمام عبد القادر الكيلاني (رضي الله عنه) نشأ في بيتِ زُهدٍ وتصوفٍ، فكان والده من كبار الزُهّاد الصوفيّة، ووالدته بنت شيخ زاهد صوفي اشتهر أمره في تلك الأنحاء، وثانياً: حال وصول الإمام ودخوله بغداد التجأ إلى زاوية الشيخ حماد الدباس ليسلك على يديه الطريق. وثالثاً: كان خيار سلوك الطريق أو تركه متاحاً له، بدليل إن هناك الكثير من

طلاب العلم وكذلك الفقهاء ببغداد لم يكونوا من الصوفيّة. ونقصد إنه كان في الخيار، وخياره كان الاصرار والاجتهاد في سلوك الطريق منذ البداية، ورابعاً: بعد أن اشتهر أمره وصار عالماً وله مدرسة قائمة، قام بتأسيس طريقة صوفيّة خاصة به. في لحظة كان فيها مستقلاً بذاته، ومتمكناً من حاله لا يحتاج إلى أحد. وبهذا القدر من التوضيح نكتفي بالرد على هذا الباحث، الذي لربما يكون مجبراً على هذا الرأي ليحصل على درجة النجاح. ونحن نقدر مثل هذه الظروف في بعض جامعاتنا الرسمية.

نعود فنقول: اختار الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ)، عن دراية واصرار، الالتحاق بزاوية الشيخ حماد الدباس الصوفيّة المتشددة، لأن هذه المدرسة اشتهر أمرها ببغداد، وصار الشيخ الدباس من كبار متصوفة بغداد، وآلت إليه تربية المريدين وقتئذٍ، وتحمل الإمام بصبر ما تحمله، في هذا الطريق الوعر الصعب، إلا أن سلوكه الصوفي هذا لم يكن على حساب طلبه للعلم، بل سار الأمران بشكلٍ متلازم ومترابط، وعن دراية وإصرار، وهذا التلازم سنجده - فيما بعد - ينعكس على منهجه إلى آخر يوم في حياته، فكانت دروسه العلميّة لا تخلو من طروحات صوفيّة، وفي الوقت نفسه كانت تربيته للمريدين لا تخلو من علوم شرعية علميّة، وكذا الحال بالنسبة لمواعظه التي لا تعدم من تعطف على قاعدة شرعيّة أو مقولة صوفيّة.

ونظرة الإمام إلى السلوك والتصوف، نظرة أصيلة وعميقة، فكان يرى أن العلم لوحده لا يكفي، بل لا بد من شيء يتوغل إلى أعماق النفس البشرية وثنايا القلب، ليضبط الصدق والاخلاص والايمان، بمحددات كالتي تحكم الظاهر، فلا بد من علم السلوك ومعاملة الباطن، عندها يرتقي المسلم في المقامات ليصل إلى مقام الاحسان وبهذا المنهج المتكامل ارتقى الإمام في المقامات، حتى عُقد له لواء القطبيّة، بل الغوثية، مقاماً لم يصله أحد من قبل، وهو مقام (المخدع) الذي تعطى فيه النوالة للأقطاب، وبهذا المعنى فهو قطب الأقطاب.

وهذا ما ظهر عليه جلياً، حين اجتمع عليه أوتاد العراق وابدال البلاد، وسافر إليه المشايخ من كل الوهاد، ليحصلوا منه على الاجازات وبركة الأحوال.

وفي مدرسته كانت تُعقد حلقات خاصة بكبار مشايخ التصوف، هذه الحلقات لا صلة لها بحلقات الدرس، أو بمجالس الوعظ، بل حلقات تضم كبار المشايخ لينطلق فيها بأحاديث المعرفة، والمقالات الذوقيّة، وكلام عالي في الحقائق[1] جلبت إليها قلوب الكبار، ووجدوا فيها ضالتهم المنشودة في التعبير عن الخواطر والاشارات المكتظة في قلوبهم، لا يستطيعون معها التعبير عنها بهذا الأسلوب الأدبي الراقي، والمضمون الذوقي الرفيع، وبدأت مقالاته وأحاديثه هذه، تنتقل من رباط إلى رباط، ومن زاوية إلى أخرى.

وبدأ أهل الطريق، واصحاب السلوك، بالتوافد إليه، وازدحمت بهم المدرسة، فأوجدوا تنظيماً آخر بإصلاح جانب من أبراج سور بغداد خلف مدرسته، والذي كان يتخذه معتزلاً في بداية أمره، ليكون على شكل رباط، يدخله اصحاب الخلوات بإشرافه، كمعتزل لممارسة رياضاتهم وخلواتهم، وإقامة اذكارهم واورادهم، هذه المنشأة الصوفيّة كان لها دور في تخريج طبقة كاملة من الصوفيّة، ومن الدعاة والمشايخ، توزعوا على عَرض البلاد وطولها، لنشر الطريقة القادريّة، وبث علومها، وإشاعة خبرها. فكانت إنطلاقة فخمة في عالم التصوف، لم تبرد جذوتها التي أوقدها الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) إلى يومنا هذا.

إن الهرم الذي شيّده الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ)، والذي كان يقف على قمته ويتسلسل نزولاً إلى الأبدال والأوتاد والنقباء والدعاة والخدّام، وطبقة كاملة من المريدين، وقاعدة واسعة من المحبين.

إنما كان دولة كاملة، دولة الفقراء والصوفيّة، وهذه الدولة كان يعلمها أهلها، ويعلمون بمؤسساتها وهيئاتها واختصاصاتها، موزعة على جغرافية واسعة من أرض

---

(1) انظر كتابنا: المقالات الذوقيّة.

المسلمين، تبدأ من القلب والولاء والطاعة فيها بحكم المحبة، وحمل لواء العلم، بأسلوب المجاهدة، ولا تنتهي بالزوايا والأربطة.

واستمرت هذه الدولة في ظهور الخفاء، حتى صارت من أكبر الطرق الصوفيّة قاطبة، ببركة وعلوم الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ)، ودورنا في هذا الكتاب هو إحياء هذه الأصول والتذكير بها، وبعث قواعدها والتنبيه عليها لما تقتضيه الضرورة اليوم، والحاجة إليها، فحاجتنا اليوم إلى روح الرعيل الأول، وبركة المشايخ الرواد، بعد توفيق الله سبحانه وتعالى.

ثالثاً: الوعظ

بعد أن ازدحمت المدرسة بالطلاب والمشايخ والزائرين وضاقت بهم، سعى الإمام الكيلاني (ﷺ) إلى توسعتها سنة (528هـ)، إلا أنه لم يكن يملك المال اللازم لذلك، لذلك سارع سُراة بغداد إلى التبرع لشراء الدور المحيطة بها، وساهم الفقراء والعمال في العمل بها مجّاناً، كل ذلك جرى حباً بشيخهم المقدم، ومفتيهم المكرّم، فعمل الولاء عمله وتفاعلت المحبة في إنجاز توسعة المدرسة، لتستوعب الوضع الجديد[1].

ووصلتنا أخبار عجيبة عن تعلق أهل بغداد ومحبتهم لهذا الإمام الكبير (ﷺ)، تعجز الكلمات عن وصفها، ونوجز فنقول: صار العلماء وطلاب العلم حين يمرون على باب المدرسة يقبّلون أعتابها طلباً للبركة، والنساء والرجال يجلبون أطفالهم المرضى والصَرْعى فيمرروهم على عَتبة بابها طلباً للشفاء، ويقف كبار مشايخ

(1) المدرسة القادريّة أو الحضرة القادريّة: لم تقس مساحتها بالضبط لدى تأسيسها على يد القاضي المخرمي، ولكنها وصفت بأنها (مدرسة لطيفة)، وجرت عليها توسعات عديدة وإضافات عبر التاريخ وبلغت مساحتها عام (1991م) بحدود ثمانية دونمات، لأنه في هذا العام جرت توسعة كبيرة عليها، إلا أن البناء لم يكتمل بسبب الاحتلال عام (2003م)، وتشمل المساحة الحالية: الحرم، والمرقد، والغرف، والادارة، والمطعم، وغيرها.

الصوفيّة عند الباب ينتظرون الأذن بالدخول، وخُصَّت بالنذور والقرابين، وتحولت إلى مَعْلَمٍ كبيرٍ مقدس ومبارك، لدى أهل بغداد وغيرها من البلاد، حتى إذا مرَّ أحد المشايخ ببغداد لأي غرضٍ كان، يزور المدرسة ويقابل شيخها لاعتقادهم أنه أهم حدث سيتحدثون به بفخرٍ لأهلهم لدى عودتهم إلى بلدانهم وأوطانهم.

وباختصارٍ شديد، كان الإمام الكيلاني (ﷺ)، أعاد الله تعالى علينا من بركاته وعلومه، القطب الجاذب، مدرسته ومحيط دائرته في ظاهر العيان وفي باطن الأمور، في دولة الفقراء كان هو القطب المتحقق بالغوثية دون منازع.

ولعل السائل يسأل، ما السر وراء ذلك؟ فإنه قَدِمَ بغداد شابا فقيرا غريبا، ليكون شيخاً قطباً جاذباً للناس وبولاء ومحبة منقطعة النظير؟

نقول: قبل كل شيء هذا الأمر هو توفيق من الله سبحانه وتعالى يخص به العلماء العاملين السالكين في طريق الله عزَّ وجل من يشاء، ومن بعد هذا التوفيق الربّاني، تأتي جملة من الأسباب، قد تفيدنا دراستها في يومنا هذا الذي نشكو فيه الوهن والتشرذم، وننتظر حادياً من أهل الله، ليحدو بِرَكْبِنا للنهوض والرِفْعَة.

وإن من أهم هذه الأسباب وفي مقدمتها (الوعظ)، فيحكي لنا الإمام (ﷺ) أنه بدأ بالوعظ ولا يحضره سوى الرجل والرجلين، فتركه ودخل خلوة طويلة امتدت لأشهر، وشرط على نفسه شرط زيادة في حال العودة إلى الوعظ، وهو أن يأتيه (إذن) صريح بذلك، وتحدث معه المشايخ والناس بذلك إلا أنه اعتذر، واستمر على هذا الحال إلى عام (521هـ) وبالتحديد إلى ظهر يوم الثلاثاء السادس عشر من شوال، عندما رأى الرسول ﷺ وقال له: ((افتح فاكَ ففتحه فتفل فيه سبعاً، وقال له تكلم على الناس وادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة))، فتجمع عليه الناس، وارتج عليه المجلس، فرأى علياً (ﷺ) وكرم الله وجهه، وكأنه قائم إزاءه في المجلس وتحدث معه وقال له: (يابُنَيّ.. لِمَ لا تتكلم؟)

فقال له بأدبٍ عالٍ وفي قوله إشارة إلى انتسابه إليه: يا أَبَتاه..قد أُرتج عليَّ.

فقال: (إفتح فاكَ...) – ففتحه – فتفل فيه سِتاً.

قال له: لِمَ لا تكملها سبعا؟

فقال: أدباً مع رسول الله ﷺ.

ثم توارى عنه[1].

نتوقف هنا قليلاً للنظر في الأسباب:

الأول: التوفيق من الله سبحانه وتعالى، والبركة من الرسول ﷺ، وآله (ﷺ)، وهذا لا يتم إلا لعباد الله المخلصين المقتدين المتبعين للرسول ﷺ.

الثاني: صرح بنفسه وقال في أحد مجالس وعظه: (كن صحيحاً في خلوتك تكن فصيحاً في جلوتك)[2] بمعنى آخر من كان صحيح الإخلاص والصدق مع ربه في خلوته وعزلته يكن فصيحاً في وعظه. أو من يكن صحيحاً في باطنه يكن فصيحاً في ظاهره ولسانه.

بعد ذلك، ازدحم الناس عليه، ولم تعد مدرسته تستوعبهم، فأخذ بأسلوب آخر، بخروجه من المدرسة، وبدأ يعظ قرب سور بغداد، وازداد الناس وتزاحموا، حتى عُدَّ تقليداً في بغداد حضور هذه المجالس، التي تعقد ثلاث مرات في الأسبوع، بُكْرَة يوم الجمعة، وعَشِيَّة الثلاثاء بالمدرسة، وبُكْرَة الأحد في الرباط، واستمر الحال هكذا لمدة أربعين سنة.

ومما يلاحظ في توزيع وتنظيم هذه المجالس أمور مهمة تتعلق بالوعظ نفسه:

أولاً: وهو بُكْرَة يوم الجمعة، أي عند الصباح لأن الناس في عطلة عن أعمالهم واشغالهم، وعَشِيَّة الثلاثاء أي بعد انتهاء عمل الناس من اشغالهم ويكون ذلك في مدرسته، أما يوم الأحد فكان فيه مقاصد شتى، منها: ليستمع إليه بعض أهل الديانات الأخرى.

ثانياً: كان يتكلم على كرسيٍّ عالٍ ويجلس بقربه النقباء، نقباء الدعوة القادريّة ومشايخها لتوقيرهم، ثم الزوّار والغرباء، وتسجل هذه المجالس من قبل أربعمائة محبرة وكاتب.

---

(1) انظر: قطب بغداد، ص 26.

(2) انظر: مجالس شيخ الإسلام، ص 17.

ثالثاً: الدعوة عامة لجميع شرائح المجتمع، من كبار رجال الدولة وشيوخ الدين والصوفيّة، والفقراء والكَسَبَة والعمال، ويحضر مجالسه من أهل الأديان الأخرى، من مسيحيين ويهود وصابئة. والأصناف الأخيرة لربما حضرت عند الرباط أكثر من حضورها داخل المدرسة.

ثم ازدادت اعداد الناس شيئاً فشيئاً، ولربما استدعى الأمر تعيين (مُنادٍ) أو (قَوّال) ينقل كلامه إلى نهاية المجلس، للذين لم يصلهم الصوت بوضوح، ولعله تكلم على خواطر الناس فكان تأثيره فيهم كبيرا ومباشرا، لدرجة أن البعض يمزق ثيابه، وآخرين يُغشى عليهم، ويتوب على يديه أمام الناس، الشُطّار والعيارون والمسالحة وقطّاع الطريق، وعدد آخر يشهر إسلامه في مجلسه من النصارى واليهود وغيرهم، ووصف لنا الإمام الكيلاني (ﷺ) بنفسه فقال: (أراد الله عزَّ وجل مني منفعة الخَلْق، فإنه أسلم على يدي أكثر من خمسمائة من اليهود والنصارى، وتاب على يدي أكثر من مائة ألف من العيارين والمسالحة وهذا خير كثير).

وأخيراً نقول: كان الإمام الكيلاني (ﷺ) مدرسة وعظيّة دعويّة قائمة بذاتها، لها أساليبها وتنظيمها، جمعت ما بين الشريعة والطريقة، والعلم والتصوف، ومن أدواتها، الفصاحة والبلاغة، وقول الحقائق بحيث تهز السامع وتجذبه إليها، وأسلوبها العلم الشرعي والعلم المعرفي بطريقة ميسرة سهلة، وطرحت مشاكل المجتمع دون مواربة وخوف من أحد، وخاطب العقول بالمنقول والمعقول، وبالنص والإشارة، مع بسط الفهم لهذه النصوص وحسن التفسير لها، فتلقفها الناس على مختلف مشاربهم ومنابتهم وطبقاتهم بكلماته المندفعة إليهم بصدقِ اللهجة، بقلوبهم مباشرة، فانجذبوا إليه، في زمن كانت الدولة العباسية في آخر حِقَبها، ضعيفة واهية، فالتفت حوله الناس باخلاص وولاء منقطع النظير، فإذا خرج يوم الجمعة إلى الجامع الكبير للصلاة، ازدحم الناس عليه، والتفوا حوله، ليحظوا برؤيته أو يستفتوه أو يقبّلوه، وإذا ما عطس ترحم عليه الناس حتى تصل الضجة إلى مقصورة الخليفة العباسي، وهو في حالة من الفزع ليقولوا له: عطس الإمام عبد القادر الكيلاني والناس تترحم عليه.

إن خروج الإمام الكيلاني (ﷺ) من مدرسته إلى الشارع، وإلى عامة الناس وفي الفضاء الخارجي، له دلالة كبيرة، فهو العالم المفتي صاحب المدرسة والقطب الصوفي، ترك كل هذه الاعتبارات ليخرج إلى عامة الناس إلى الفقراء والبسطاء تأسياً برسول الله ﷺ، فكسب العامة، ومع العامة المشايخ وعِلْيَة القوم، كل ذلك تم ببركة (الوعظ) الصادق.

وهذا درس بليغ لكل المشايخ في زواياهم، والعلماء في مساجدهم، ولمن أراد الخير لهذه الأمة.

((وداعه))

بعد عُمْرٍ ناهز الواحد والتسعين عاما، قضاها الإمام الكيلاني (ﷺ) بالعلم والتعليم، والزُهد والورع، والسلوك وتربية المريدين، والإخلاص والصدق في العبادة والدين توفي الإمام (ﷺ)، فكانت حياته المديدة هذه عبارة عن سلسلة متصلة من الرياضة والمجاهدة كابد فيها البلاء والجوع والفقر والغربة، فكان يقابل البلاء بالرضا والجوع بالزهد، والفقر بالورع والغربة بالصبر، وزاد على الصبر الرضا، وعلى الرضا الشكر على البلاء، والحمد لله على القدر والقضاء، فرفع الله سبحانه وتعالى حاله ومقامه.

هكذا قضى الإمام الكيلاني (ﷺ) حياته، حتى إن بعض طلابه من المقادسة شهد يوم وفاته، وفي ذلك دلالة على انه وإلى آخر يوم من حياته لم يتوقف عن الدرس والعلم والعبادة والذكر.

ففي ليلة صبيحتها العاشر من ربيع الثاني من سنة (561هـ) توفي السيد السند والإمام الجهبذ والفقيه المجتهد والقطب الأوحد ليلاً، وأقيمت مراسم دفنه ليلاً، بعد ان غَسَّله وكفّنه الشيخ قضيب البان الموصلي الحسني، وصلى عليه ابنه الشيخ عبد الوهاب الكيلاني بحضور طلبته والمشايخ المقربين، بعد أن أغلقوا باب المدرسة خوف الفتنة، بقصدهم اذا ما علم أهل بغداد بوفاته، لربما سيحملون نعشه وسط بغداد، وسيحدث هياج وحزن شديد، وعندما علا النهار عرف أهل بغداد

بالخبر، فوقع على رؤوسهم وقع الصاعقة، فإنهم لا يمكن أن يتصوروا بغداد من دونه، وغيابه عنهم يعني لهم فقد سويداء قلوبهم، فتراكض الناس عند سماعهم الخبر إلى المدرسة واغلقت الأسواق، وسُدّت الدكاكين، وازدحمت محلة باب الأزج بهم حتى ضاقت، وهم مثل الزرافات، زاروا قبره وهم في حزن شديد، ومنذ ذلك اليوم الذي مر عليه حوالي تسعمائة عام وإلى يومنا هذا، لم يخلُ يوماً ضريحه الشريف من زائر من أهل بغداد ونواحي العراق والبلدان الأخرى القريبة والبعيدة.

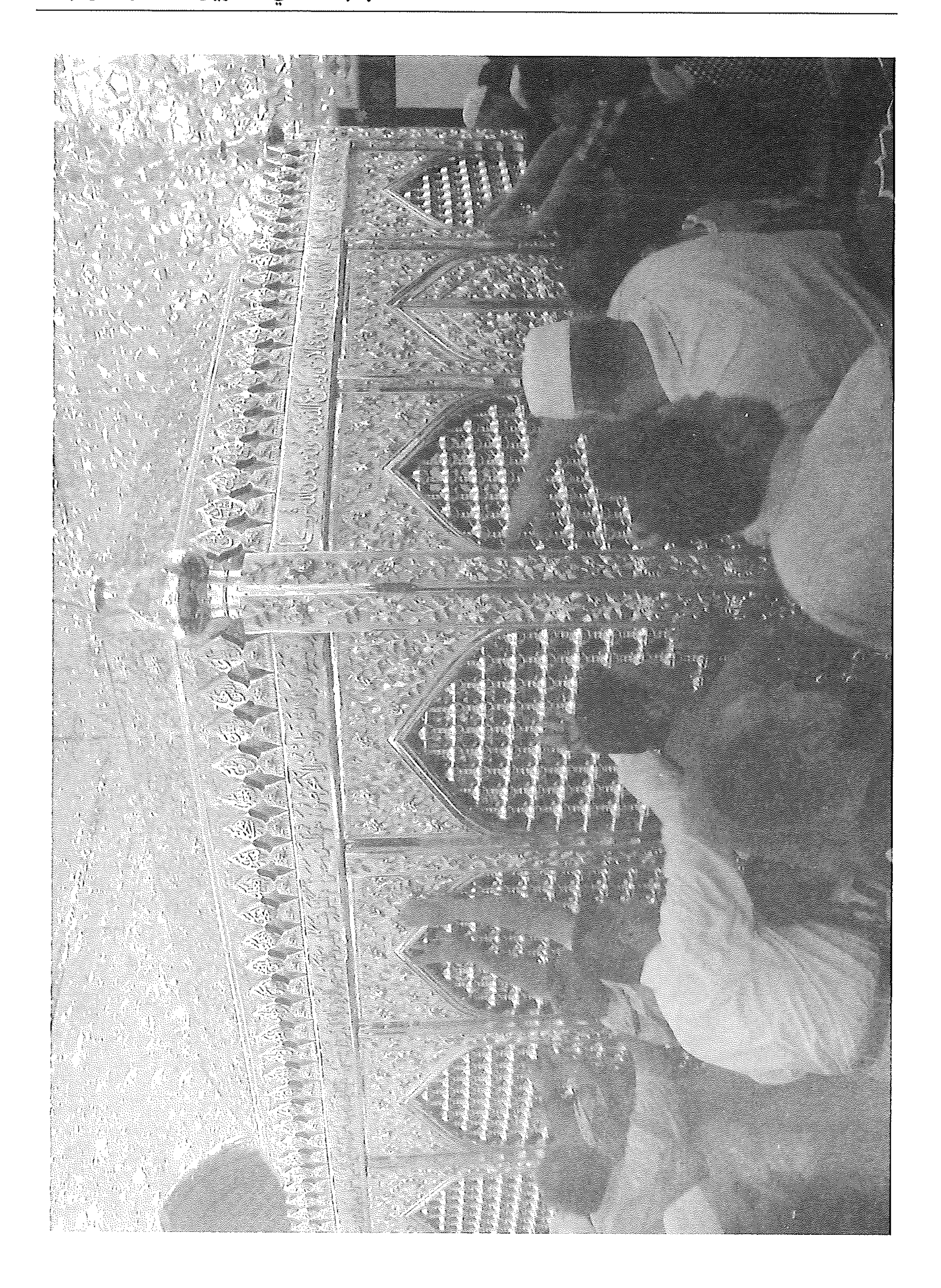
رحم الله تعالى سيدي الإمام عبد القادر الكيلاني (رضي الله عنه) وقدس سره، وسقى ضريحه الشريف بشآبيب رحمته وجزاه الله عنا ما هو أهله خير جزاء من خزائن طيباته الزاكيات.



الباب الثاني/ طريق التصوف ومبناه

1. معالم طريق الصوفيّة.

2. الولاية والكرامة.



زوار الحضرة القادرية يحتضنون الضريح بحب كبير

الباب الثاني

((مفهوم التصوف وتعريفه))

تعاريف التصوف متعددة ومتنوعة، والسبب وراء ذلك، أنها جاءت لتعبر عن رؤية كل شيخ، بحسب مقامه وحاله الذي هو فيه، لذا اعتقد بعضهم، أن هذا التنوع قد يوقع في الإرباك، وهذا غير صحيح للمتمعن والمتعمق في ذلك. فالتصوف من حيث الاشتقاق كمصطلح يتراوح ما بين اشتقاق من لبس الصوف أو من الصفاء وغيره، إلا أنه من حيث المضمون واحد.

أما عند الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) فالصوفيّة تعني شيئاً واحداً، وذكر ذلك في كتاب آداب المريدين، فقال: (..... المريدين من الفقراء الصادقين سالكي طريق الصوفيّة الذين صُفّوا عن الأهويّة المُضِلة)[1].

وأضاف في مكانٍ آخر حيث قال: (الصوفي من كان صافياً من آفات النفس، خالياً من مذموماتها، سالكاً لحميد مذاهبه، ملازماً للحقائق غير ساكن بقلبه إلى أحدٍ من الخلائق)[2].

وكذلك قوله: (فصار صافياً فسمي صوفيّاً..... مربي النفس، منبع العلوم والحِكَم، بيت الأمن والنور، كهف الأولياء والابدال...)[3].

وفرق الإمام الكيلاني (ﷺ) بين الصوفي والمتصوف، وذكر صفة كل واحدٍ منهما، لذا حاولنا تنظيم هذه الفروق في جدولٍ توضيحي، لفهم هذه الفكرة المهمة،

---

(1) الغنية، ج3، ص 1265.

(2) المصدر السابق، ص 1270.

(3) المصدر السابق، ص 1271.

والتي تدخل في صلب فهم التصوف الحقيقي وكيفية تمييزه عن مظاهر التصوف التي قد يدعيها البعض، وهي في حقيقتها لا تمت بصلة للتصوف ولأهله.

جدول الفروق بين الصوفي والمتصوف

ت	الصوفي	ت	المتصوف
1	عبدٌ صافاه الحق عزَّ وجل.	1	متكلف، ويجهد نفسه ليكون صوفياً.
2	منتهي، قطع الطريق ووصل.	2	مبتدئ، شارع في الطريق.
3	محمول القدر.	3	محمل بالمجاهدة والمكابدة.
4	صاف من الأكدار.	4	يحاول تصفية أكداره.

((مبنى الطريق وأصوله))

هذا الطريق، طريق الصوفيّة، قائم على مبانٍ متينةٍ، وأُسسٍ رصينةٍ، محكومة ومقيدة بمحددات، من التزم بها، يصح عليه الوصف والقول أنه من أهل الطريق، ومن الصوفيّة، والزمت القادريّة نفسها بذلك، وهي:

1. هذا الطريق مبناه العمل والاعتقاد بالكتاب والسنّة النبويّة المطهرة، ولا خروج عليهما في أي حالٍ من الأحوال، ولزوم الشرع وحفظ الحدود.
2. تقوى الله وطاعته في الظاهر والباطن.
3. الاستكانة إليه في جميع الأحوال، مع التلبس بالتوكل، في كل فعلٍ وحركةٍ وسكون.
4. متابعة الرسول الكريم محمدﷺ، والاقتداء به، وبما جاء في الأثر الطيب والخبر الصحيح عنه.
5. رعاية السر (الباطن) من الالتفات إلى غير الله سبحانه وتعالى في جميع التصاريف.

((خصال طريق الصوفيّة))

بيان خصال طريق الصوفيّة، كما أوصى بها الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) لولده الشيخ القدوة عبد الرزاق الكيلاني (رحمهما الله تعالى)[1]، فذكر في وصيته له، من أن التصوف مبني على ثمانِ خصالٍ هي:

1. السخاء، لنبي الله إبراهيم (عليه السلام).
2. الرضاء، لنبي الله إسحق (عليه السلام).
3. الصبر، لنبي الله أيوب (عليه السلام).
4. الإشارة، لنبي الله زكريا (عليه السلام).
5. الغُربة، لنبي الله يوسف (عليه السلام).
6. لبس الصوف، لنبي الله يحيى (عليه السلام).
7. السياحة، لنبي الله عيسى (عليه السلام).
8. الفقر، لنبي الله ورسوله الكريم محمد ﷺ.

- 1 - السخاء

(السخاء في كل الأحوال مستحب)

خُصَّ نبي الله إبراهيم (عليه السلام) بالسخاء، والسخاء بمفهومه العام الكَرَمْ، وبمفهوم أهل السلوك سخاء اليد في الكَرَمِ، وسخاء الخُلُقِ ببذل حُسن الخُلُقِ مع الناس جميعاً، وسخاء القلب بعدم غفلته عن ذكر الله، وسخاء اللسان بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، وسخاء الوقت في إنفاقه بالعبادة والأوراد، وسخاء المعاملة مع المشايخ بالأدب، ومع الفقراء بخدمتهم، وسخاء العلم ببذله لطالبيه ونشره. لذا فإن للسخاء وجوها، منها ما يتعلق بالجوارح، وآخر بالقلب، وثالث بالمال والوقت.

---

(1) نشرنا نص هذه الوصية في كتابنا الموسوم (المقالات الذوقيّة).

وآفة السخاء التبذير، قال تعالى في مُحكَمِ كتابه: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾[1].

وحَدُّ التبذير الخروج عن المقدار بما لا يلزمه المقام، فإذا زاد الكلام صار ثَرْثَرَةً، وإذا زادت الشجاعة صارت تهوراً، وإذا زاد الكَرَمُ صار تبذيراً، وهكذا في كل شيء، لأن لكل شيء حدّه ومقداره، وما خرج عن حدِّه انقلب إلى ضده.

واختصت السادة الصوفيّة بخصلةٍ، يشهد لهم فيها الجميع، باطعامهم الطعام، وهو لُبُّ السخاء، بسخاء اليد، قال الرسول الكريم ﷺ: ((أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصِلوا الأرحام وصَلّوا والناس نيام تدخلون الجنة بسلام)). فإطعام الطعام في الربط والتكايا والزوايا وعند المشايخ خصلةٌ مباركةٌ اختصت بها السادة الصوفيّة، ومنها السادة القادريّة، فإن مَطْعَم الخيرات في بغداد بالحضرة القادريّة الذي يقدم الطعام للفقراء والدراويش وعابري السبيل[2]، منذ تسعمائة عام لهو خير دليل على ذلك، فالسخاء خصلة تتقدم كل الخِصال في هذا الطريق.

- 2 - الرضا

(كل من رضى بالقضاء استراح)

والأصل في الرِضا قوله تعالى: ﴿....رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[3]، وقول الرسول الكريم ﷺ: ((ذاقَ طعم الإيمان من رضي بالله عزَّ وجل ربّاً)).

والرِضا يقسم إلى أقسام، أولها الرضى بما قَسَمَ الله تعالى للمؤمنين، والرِضا بقضاء الله عزَّ وجل، قال الإمام الكيلاني (رضي الله عنه): (فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى

(1) سورة الإسراء: الآيتين 26-27.

(2) انظر كتابنا: (قطب بغداد) فيه تفاصيل عن هذا المطعم، ص 101.

(3) سورة المائدة: الآية 119.

بما قَسَمَ الله تعالى له، وقضاء الله عزَّ وجل خيرٌ من قضاء المرء لنفسه، وما قضاه الله لك يا ابن آدم فيما تكره خير لك مما قضى الله عزَّ وجل لك فيما تحب، فاتقِ الله تعالى وارضَ بقضائه)[1].

قال الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ...﴾[2].

وأضاف الإمام الكيلاني (رضي الله عنه): (فكل من رضي بالقضاء استراح، وكل من لم يرضَ به طالت شقاوته وتعبه، ولا ينال من الدنيا الا ما قُسِمَ له).

وأهل الطريق اختلفوا، هل الرِضا مقامٌ أم حال..؟ وذهب الإمام السراج إلى أن: (الرِضا آخر المقامات ثم يقتضي من بعد ذلك أحوال أرباب القلوب، ومطالعة الغيوب، وتهذيب الاسرار لصفاء الاذكار وحقائق الاحوال). واضاف: (الرِضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، وهو ان يكون قلب العبد ساكناً، تحت حُكْمِ الله عزَّ وجل)[3]. بينما قسم السيد محمد (رحمه الله تعالى) بن سيدنا الإمام عبد القادر الكيلاني (رضي الله عنه) الرِّضا إلى ثلاثة مقامات، هي: (رِضا عن الله تعالى، ورِضا بأحكام الله تعالى، ورِضا بالله تعالى)[4].

- 3 - الصبر

(الصبر، الوقوف مع البلاء بحسن الأدب)

قال الإمام عبد القادر الكيلاني (رضي الله عنه): (الصبر على ثلاثة أضرب: أحدها: صبرٌ لله عزَّ وجل، وهو على أداء أمره وانتهاء نهيه. وصبرٌ مع الله عزَّ وجل، وهو الصبر تحت جريان

---

(1) سورة البقرة: الآية 216.

(2) الغنية، ج3، ص 1358.

(3) السراج، اللمع، ص 50-51.

(4) انظر كتابنا: (أبواب التصوف)، ص 106.

قضائه وأفعاله فيك من سائر الشدائد والبلايا. وصبرٌ على الله عزَّ وجل، وهو الصبر على ما وعد من الرزق والفرج والكفاية، والنصر والثَواب في دار الآخرة).

وذكر درجات الصبر، وهي: (متصبر، وصابر، وصبّار)[1].

فالمتصبر: الذي يتكلف الصبر. وصابر: وهو من صبر على حالٍ من بلاءٍ دون شكوى. وصبّار: الذي تحقق في الصبر بعد توالي البلايا عليه، وقيل الصبّار هو المؤمن المتحقق، لأن الصبر يستطيعه المؤمن والكافر، إلا أن (المصابرة) للمؤمن فحسب. قال الله تعالى في مُحْكَمِ كتابه العزيز: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[2].

وذكر الإمام الغزالي (رحمه الله تعالى) في كتابه (الأربعين في اصول الدين) وهو يشرح حقيقة الصبر قال: (الصبر: ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى، ولا يُتَصَور الصبر الا عند تعارض الباعثين على التناقض)[3] وقصد بذلك إن حقيقة الصبر صراعٌ بين قوة الايمان والدين عند الرجل، ودوافع الهوى ودعوى النفس إلى عدم تحمل المكابدة والمشقة. فإذا انتصر باعث الدين كان من الصابرين والعكس صحيح.

- 4 - الإشارة

(حضور القلب)

قال الله تعالى: ﴿ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِ.................. ﴾[4]، وقال تبارك وتعالى: ﴿.............ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴾[5]، وهو خطاب إلى نبي الله زكريا (عليه السلام).

(1) الغنية، ج3، ص 1355.

(2) سورة آل عمران: الآية 200.

(3) الإمام الغزالي: كتاب الأربعين في أصول الدين، ص 160.

(4) سورة مريم: الآية 29.

(5) سورة مريم: الآية 10.

إلا ان للإشارة معنى مهم لدى السادة الصوفيّة وهو (حضور الغيب) ويقصدون بذلك إلى ما يرد القلب من إشارات، وذهب الإمام السراج (رحمه الله تعالى) إلى أن الاشارة ما يخفى عن المتكلم كشفه بالعبارة للطافة معناه. ونُقِلَ عن أبي علي الروذباري (رحمه الله تعالى) قوله: (عِلمُنا هذا إشارة فإذا صار عبارة خُفِي)[1].

وتختلف الإشارة عن (الإيماء) كون الأخيرة إشارة بحركة جارحة، بينما الاشارة باطنة بالقلب أو السر. وتختلف عن (الرمز) الذي معناه باطن مخزون في الشيء، لذا وجب التفريق.

- 5 - الغربة

(الغُربة عن كل ما سوى الله تعالى)

تحدثنا في مطلع هذا الكتاب عن غُربة الإمام الكيلاني (ﷺ)، فالغربة ليست عن الأوطان فحسب، بل الغُربة الحقيقية عن كل ما سوى الله، الغُربة عن الأهل والأحبة والأسباب والتعلقات، وغربة ما بعد الدهشة لأن الدهش سببه هيبة المحبوب وما يلحقها من صدمة القلوب فتجعلهم في غربة عن معارفهم الأولى، وهي أعمق أنواع الغربة، وقد أشار إليها الإمام القشيري والإمام الخراز (رحمهما الله)[2].

- 6 - لبس الصوف

(لبس الصوف للأجساد والقلوب)

درج السادة الصوفيّة على أن يكون لبسهم الصوف وعُرفوا به، حتى قيل اشتق اسم (التصوف) من لبس الصوف، ويراد بذلك الورع والتواضع والفقر، وكان الإمام

(1) اللمع، ص 289

(2) القشيري،كتاب عبارات صوفيّة، ص59، والخراز، كتاب الصفاء، ص22.

عبد القادر الكيلاني (ﷺ) يلبس الصوف، لمدة تزيد على خمسة وعشرين عاما تقريبا[1].

وحقيقة لبس الصوف ما بين الظاهر والباطن مهم، فظاهره التلبس بالفقر والزهـد، وعلـى الباطـن التلبس بصفاء القلب لله تعالى، وطرد الدنيا ومعانيها منه.

- 7 - السياحة

(الخروج من هواه، إلى طلب رِضا مولاه)

السياحة رياضة صوفيّة أصيلة، مارسها المشايخ الأوائل لأغراض شتى، منها الغُربة والسفر، ومنها لقاء المشايخ والتزود بالعلوم.

وهناك سياحة في باطن المؤمن، لها غايات سامية كثيرة نلخصها بالآتي:

1. سفر المؤمن، أي الخروج من أوصافه المذمومة إلى صفاته المحمودة، فيخرج من هواه إلى طلب رِضا مولاه بتصحيح تقواه.
2. أن يكون قلبه معه غير ملتفت إلا لله، ويكون خالياً من الأشياء.
3. يحافظ في سفره على أوراده التي كان يفعلها في حضره.
4. ألا يكون له من سفره غرض من أغراض الدنيا.
5. اذا ما وجد في مكانٍ ما حاله أتم، وقلبه أصفى، يلزم ذلك المكان ولا يغادره إلا بأمر[2].

---

(1) تاريخ النقباء، ص 36.

(2) الغنية، ج3، ص 1313-1316، للسفر آداب كثيرة مثل زيارة المشايخ في المدن التي يدخلونها، ومراعاة الصحبة وخدمة الفقراء بالإيثار، وان يجهد على ان يكون في سفره على طهارة دائمة.

- 8 - الفقر

(الفقر مرادف للتصوف)

ذكرنا آنفاً أن الفقر عند الإمام الكيلاني (ﷺ) مرادف للتصوف والفقير مرادف للصوفي[1]. وإن مفهوم الفقر هو الافتقار الدائم إلى الله سبحانه وتعالى، وحقيقته إفراغ الغنى والمال والحاجات والتعلقات وكل شيء من القلب، ليبقى فقيراً، وأداة التحقق في الفقر (الافراغ) وهو مفهوم (خطير)، إذ أهمل من الدرس والعناية ونوضحه بالقول، فبعد إخراج الدنيا والأسباب والأشياء، يتم الملء، بالله تعالى وبحبه، فهو فارغ وممتلئ في الوقت عينه، وهذه حقيقة الفقر، وذكر ذلك الإمام الكيلاني (ﷺ) بقوله: (إن الافراغ أعني فقير الحق عزَّ وجل)[2]، ثم ارتقى بخطابه في كتاب سر الأسرار، يرتقي بمفهوم الفقر، حين قال: (وأهل الحق من الفقراء العارفين نفذوا من هذه الأمور كلها إلى القربة، لم يتقيدوا بشيء مما سوى الله تعالى واتبعوا قول الله تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ.... ﴾[3]، بمعنى إن الفقير هو العارف من أهل القربة، والسالك الذي اجتاز العوالم الأربعة والعلوم الأربعة، وارتقى في المقامات حتى استحق لقب (فقير). ومن ثم فالفقير هو الغني بالله عزَّ وجل.

الولاية والكرامة

تعريف الكرامة عند السادة الصوفيّة، لربما يختلف عنه عند الآخرين، فالكرامة الحقيقية عندهم هي (الرِضا)، وتشعبوا بذلك، إلى كرامة اليقين وشهود العيان،

---

(1) الغنية، ج3، ص 1265.

(2) الغنية، ج3، ص 1318.

(3) سر الأسرار، ص37، وتحت عنوان (في بيان الفقراء)، ويكون في كتاب أبواب التصوف، ص85، قال: (الفقر على مقامات، فقر النفس إلى الحظ من الدارين وفقر القلب إلى الحق وهو الغنى بالحق عن الأشياء، وفقر الحقيقة التفرد بانفراد الحق عن الاشياء).

وهي كرامة على الباطن، بينما كرامة الظاهر المشتهر منها بين الناس، مثل طيّ الأرض والمشي على الماء وكل ما هو خارق للعادة.

قال الإمام عبد القادر الكيلاني(ﷺ): (فلا ينصرف عن قصده بملامة مُليم، لأن الصادق لا يرجع، ولا بوجود كرامة، فلا يقف معها، ويرضى بها عن الله عزَّ وجل عوضاً، اذ هي حجابه عن ربه، ما لم يصل إليه عزَّ وجل، فإذا حصل الوصول لا تضره الكرامات، اذ هي من باب القدرة وثمراتها وعلاماتها، ووصوله إلى الحق عزَّ وجل من القدرة)[1].

فطلب الكرامة حجاب بين السالك وربه، لأنه لم يعد يطلب ربه بالصدق والاخلاص، بل غايته طلب الكرامة من ربه، كما هي النعمة، فمن تعلق بالنعمة عن المنعم، صار من عُبّاد النعمة وصارت حجابة عن ربه، فالكرامة استدراج، لذا قيل من آداب الصوفيّة، عدم طلب الكرامة، وإنما هي تأتيه بمشيئة الله سبحانه في وقتها وموعدها[2].

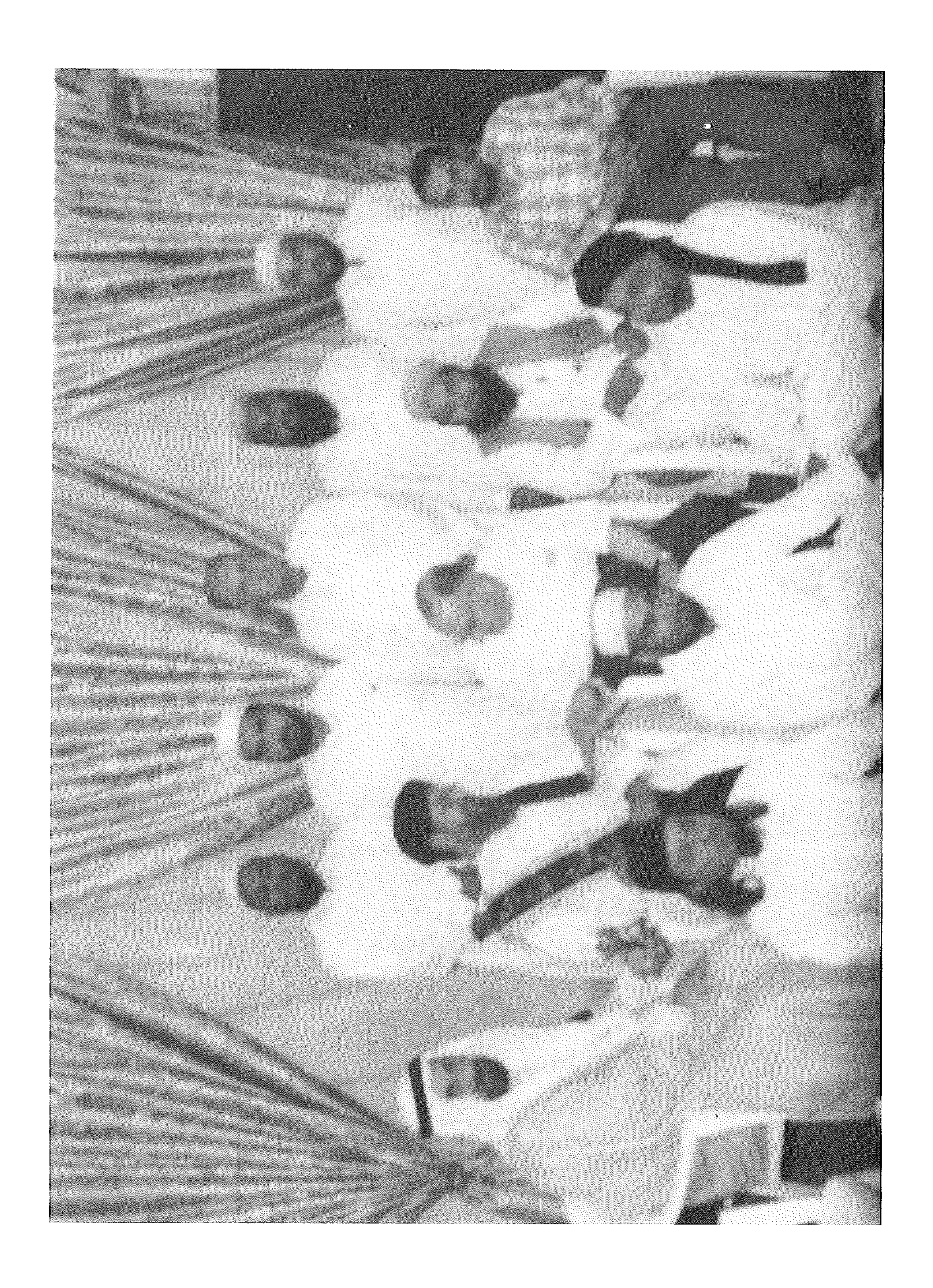
ولأن الكرامة مرتبطة بالولاية، لذا ربط الإمام الكيلاني (ﷺ) الكرامة بالولاية من ناحية القدرة، كون الولاية خاصة بأهل القُرب من الحق عزَّ وجل، وبعد وصولهم يعيدهم، ليكونوا قدوة للخلق، فيعززهم بخرق العادة، على أن المعجزة للأنبياء والكرامة للأولياء، ومن شروط النبوة إظهار المعجزات، ومن شروط الولاية كتمان الكرامات، فإذا ظهرت من غير تعمد للخَلْق، لا يقدح بصاحبها لأنه لم يتعملها.

---

(1) الغنية، ج3، ص 1278.

(2) الكمشخانوي، جامع الأصول، ص 77.

الباب الثالث/ أُسس الطريقة القادريّة



الاحتفال بمنح الاجازة القادرية في الحضرة القادرية

الباب الثالث

أُسس الطريقة القادريّة

هذه الأُسس والتي سنبسطها ليست من اجتهادنا،أو كما سيجتهد البعض - مع الأسف - بالإتيان بأسس لا نعرف لها أصلاً ولا سنداً، لذا سنذكر فقط ما جاء به النص الواضح الذي لا لَبْس فيه، قال الإمام الكيلاني (ﷺ): (المجاهدة والتوكل وحُسْنُ الخُلُقِ والشكر والصبر والرِضا والصدق، إذ هذه الأشياء السبعة أساس لهذه الطريقة ولكل خير)[1]، والمعنى من: [لهذه الطريقة] أي الطريقة القادريّة و[لكل خير] لكل مسلمٍ اراد التعرض للفضيلة. لذا فإن الأُسس الأخرى التي أضيفت للطريقة القادريّة تُعَد باطلة، كائنا من كان شَرَّعَ بإضافتها، وكذا الحال لمن أنقص أو أهمل شيئاً منها.

- 1 - المجاهدة

(المجاهدة مخالفة الهوى)

والأصل في المجاهدة قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ .... ﴾[2].

والمجاهدة مجاهدة النفس، لأن النفس ميّالة للكسل، وهذا الطريق كما هو حال العبادة فيه جهد ومشقة، فأول ما يبدأ به المُريد مجاهدة النفس، وامتحانها في

(1) الغنية، ج3، ص 1321.

(2) سورة العنكبوت: الآية 69.

السلوك والصدق والاخلاص والصبر وغيره، عندها سيكتشف كذبها في المواقف ورياءها عند المضايق ونفاقها في المواقع.

قال الإمام الكيلاني (ﷺ): (والأصل في المجاهدة مخالفة الهوى، فيعظم نفسه عن المألوفات والشَهَوات واللذات، ويحملها على خلاف ما تهوى في عموم الأوقات، فإذا انهمك في الشَهَوات ألجمها بلجام التقوى والخوف من الله عزَّ وجل، فإذا وقفت عن القيام بالطاعات والموافقات ساقها بسِياط الخوف وخلاف الهوى)[1].

وشرط المجاهدة المراقبة، ويوضح لنا الإمام الكيلاني (ﷺ) ذلك بنصٍ رائعٍ يختصر فيه المسافات ويكشف المعنى بقوله: (ولا تتم المجاهدة الا بالمراقبة... لأن المراقبة علم العبد باطلاع الرب سبحانه وتعالى عليه، واستدامته لهذا العلم مراقبته لربه[2]، وهذا هو اصل كل خير، وإنما يصل إلى هذه الرتبة بعد المحاسبة[3]، واصلاح حاله في الوقت، ولزوم طريق الحق، واحسان مراعاة القلب بينه وبين الله تعالى، وحفظ الأنفاس مع الله عزَّ وجل[4]، فيعلم ان الله تعالى عليه رقيب[5]، ومن قلبه قريب، يعلم أحواله ويرى أفعاله ويسمع أقواله).

---

(1) الغنية، ج3، ص 1326.

(2) يراقب ربه، فيه وفي غيره، قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ*﴾ {الرحمن/29}.

(3) المحاسبة: محاسبة النفس، ومحاسبة القلب، ومحاسبة السر؛ انظر كتاب: الحارث المحاسبي، كتاب القصد، ص 229؛ والإمام الغزالي، كتاب مكاشفة القلوب، ص 394؛ والشيخ عمر السهروردي، عوارف المعارف، ص 460.

(4) حفظ الأنفاس: تعني ذكر الله تعالى مع عدد الأنفاس، فيكون دائم الحضور مع الله تعالى بقلبه في كل لحظة ونفس.

(5) الرقيب: اسم من أسماء الله الحسنى.

(أ) المحاسبة	(ب) المراقبة	(ج) عبد الرقيب	(د) حق المراقبة
(عبدٌ يحاسب نفسه وقلبه)	(عبدٌ عَلِمَ أن الله تعالى رقيبٌ عليه في كل أحواله)	(من تحقق بالمراقبة واستدامها)	(عبدٌ يراقب ربه فهو كل يوم في شأن)

ولأهل المجاهدة خِصالٍ وهي: لا يحلف بالله عزّ وجل، ويَصْدق ويجتنب الكذب، ولا يخلف وعداً، ولا يلعن أحداً، ولا يدعو على أحدٍ حتى من ظلمه، ولا يُكَفِّر أحدا من أهل القِبْلَة لأي داعٍ، ويجتنب النظر إلى المعاصي، ويستغني عن الخَلْقِ في مؤنته، ويقطع طمعه في الخَلْقِ، والتواضع[1]. ومن سلك هذا الطريق أي طريق المجاهدة، تولاه الله سبحانه وتعالى بالحِفْظِ، في حفظ لسانه وقلبه برحمته. نقول والمجاهدة لبُّ الطريق وأساسه ومن لم يسلكه فليس له من الطريق شيء.

- 2 - التوكل

(حقيقة التوكل تفويض الأمور إلى الله عزَّ وجل)

والأصل في التوكل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ....﴾[2] قال الإمام الكيلاني (ﷺ): (وحقيقة التوكل تفويض الأمور إلى الله عزَّ وجل، والتنقي عن ظُلُمات الاختيار والتدبير، والترقي إلى ساحات شهود الأحكام والتقدير، فيقطع العبد أن لا تبديل للقسمة، فما قسم له لا يفوته، وما لم يُقَدّر له لا يناله، فيسكُن قلبه إلى ذلك، ويطمئن إلى وَعْدِ مولاه فيأخذ من مولاه)[3].

---

(1) الغنية، ج3، ص 1333-1335.

(2) سورة الطلاق: الآية 3.

(3) الغنية، ج3، ص 1137. قيل التوكل بداية والتسليم وسط والتفويض نهاية.

وذكر (ﷺ) ثلاث درجات للتوكل:

1. التوكل: وهو لمن يسكُن إلى وعد ربه.
2. التسليم: وهو لمن يكتفي بعلمه.
3. التفويض: لمن رضي بحكم ربه[1].

ومن فروع التوكل التي يقع فيها الاشكال - لدى بعضهم - وهذا ما لمسناه في محادثتنا مع كثيرين، عن علاقة الكَسب بالتوكل، والرِزق بالتوكل وما إلى ذلك من أسئلة، وقد أجاب عنها الإمام الكيلاني (ﷺ)، بشكلٍ واضحٍ لا لَبْس فيه، بقوله: (وأما الحركة بالظاهر التي هي الكسب بالسُنَّة، فلا تنافي توكل القلب، بعدما تحقق العبد ان التقدير من قبل الله تعالى في قلبه، لأن محل التوكل القلب، وهو تحقيق الايمان، فمن أنكر الكسب فقد أنكر السُّنَّة، ومن أنكر التوكل فقد أنكر الايمان)[2] وبهذا التوضيح ليعمل من يعمل بيده وحركته وهو [كسب]، وليتوكل على الله في قلبه، وأما الرِزق فهو تقدير من الله سبحانه وتعالى.

- 3 - حُسْنُ الخُلُقِ

(الخُلُق لمن تحقق بأسماء الله الحُسنى)

والأصل في حُسْن الخُلُقِ قوله تعالى في معرض مدحه للرسول الكريم محمد ﷺ في مُحْكَمِ الذِكْرِ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[3]. وفي هذه الآية الكريمة إشارات نفيسة منها: الأولى: قَرَنَ الخُلُق بعظيم، وكل عظيمٍ فيه هيبة، والهيبة تُورث الخوف،

---

(1) وعن التوكل انظر: السمرقندي، تنبيه الغافلين، ص 327؛ والشريف الجرجاني، التعريفات، ص 43.

(2) الغنية، ج3، ص 1344. هناك فرق بين التوكل والتواكل، فالتوكل في القلب، أما التواكل فهو فضول واستجداء والأخير مذموم لدى السادة القادريّة، وعلى السالك التمييز بينهما.

(3) سورة القلم: الآية 4.

والخوف أصل التقوى، والتقوى أساس كل فضيلةٍ. وثانيهما: الخطاب الربّاني هذا للرسول الكريم محمد ﷺ، بما يحيل الأمر للمسلمين للاقتداء بهذا الخُلق، لأن مقامهم مقام اتباع للرسول الكريم محمد ﷺ.

ومن هذا الأصل الأصيل قالت السادة الصوفيّة: (التصوف خُلُقٌ فمن زادَ عليك في الخُلُقِ زادَ عليك في التصوف) إلا ان الإشْكال يقع عند تستطيح مفهوم الخُلُق، وبرأينا الأخلاق اعمق بكثير مما طُرح لحد الآن، ووضحنا ذلك في معرض تعليقنا على كتاب (نسيم السحر)[1] للإمام عبد الكريم الجيلي ابن سبط الإمام عبد القادر الكيلاني (رحمهما الله)، وسنوجز هنا ونقول ثلاثة مستويات لفهم دائرة الأخلاق:

1. الأصل في الأخلاق الإسلامية، لمن تحقق[2] بأسماء الله الحُسنى، ثم تَخَلَّقَ بها. وكل تَخَلّقٍ من دون تحقق تَمَزُّقٌ كما قيل.
2. بهذا المعنى ترتبط الأخلاق بـ (المعرفة) وهي أعلى الهَرَم الأخلاقي ليتولد عنها - أي عن المعرفة - حُسْنُ الخُلُقِ، وعن الخُلُقِ يظهر (السلوك)[3].
3. في مستوى الفَناء، فالفَناء هو فَناء الصفات المذمومة بصفاتٍ محمودة، ويعني ذلك محو الصفات المذمومة شرعاً لتحل بدلها صفاتٍ محمودة شرعاً[4].

وبهذا الفَهم فإن حُسْن الخُلُقِ عند السادة القادريّة، يأتي عن التحقق (الإحصاء) بأسماء الله تعالى، والاتصاف بها، عند ذلك تتولد المعرفة التي هي أساس ومنبع كل الأخلاق والسلوكيّات، ضمن مُحَدِدات الشرع الحنيف.

---

(1) كتاب (نسيم السحر) للإمام عبد الكريم الجيلي، مؤلف كتاب (الإنسان الكامل).

(2) التحقق بأسماء الله الحسنى هو (الاحصاء) لقول رسول الله ﷺ: ((إن لله عزَّ وجل تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة)).

(3) انظر: عبد الكريم الجيلي الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، مواضع متفرقة.

(4) الرسالة القشيرية، مادة (فناء)، وكتابنا: (صحيح الأذكار والاوراد والادعية القادريّة)، ص 48.

- 4 - الشكر

(من شرعَ بالشكر فهو في زيادة)

والأصل في الشكر قوله تبارك وتعالى: ﴿.........لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ......﴾[1].

وعند الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) حقيقة الشكر هو: (وشكر العبد على الحقيقة إنما هو نطق اللسان وإقرار القلب بأنعام الرب).

ويصل بنا الإمام (ﷺ) إلى أن الشكر مرافقٌ للاحسان، وأنه متبادل بين الله سبحانه وتعالى بجلاله وبين العبد الفقير إليه، بقوله: (حقيقة الشكر الثناء على المُحْسِن بذكر إحسانه، فشكر العبد لله تعالى ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه). أما شكر الحق للعبد فيقول: (وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بذكر إحسانه له، ثم إن إحسان العبد طاعته لله، وإحسان الحق سبحانه إنعامه على العبد)[2].

فشكر العبد لله تعالى بالاضافة إلى لفظ اللسان وإقرار القلب، طاعة وعبادة وحفظٍ للجوارح، ولا طاعة ولا عبادة إلا بمنهج الشرع ومحدداته، فوصل بنا الشكر من النطق بالكلمات إلى تحقيق الشرع الحنيف، بينما شكر الحق للعبد بأن يجعل العبد يثني على ربه ويذكر نِعَمه عليه، فيحصل بالنتيجة على الهداية بأن يكون (عبداً شكورا) فمن شرع في التحقق بالشكر فهو في زيادة كل يوم لقوله تعالى في الآية الكريمة الآنفة [لأَزِيدَنَّكُمْ] ومن هذه الزيادة تحققه في الشرع بهداية الله تعالى له. وهذا خيرٌ كثيرٌ، وبابٌ من أبواب الفُتوح[3].

---

(1) سورة ابراهيم: الآية 7.

(2) الغنية، ج3، ص 1348 وما بعدها.

(3) وذكر أنواع من الشكر: شكر العالمين في أقوالهم، وشكر العابدين في أفعالهم، وشكر العارفين باستقامتهم في عموم احوالهم.

- 5 - الصبر

والأصل فيه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[1]، وقوله عزَّ وجل: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾[2]. وذكرنا (الصبر) في باب خِصال الطريقة.

- 6 - الرضا

والأصل فيه قوله تعالى: ﴿ ......رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ...... ﴾[3].

وذكرنا (الرِضا) في باب خِصال الطريقة، ولا نجد حاجة إلى الاطالة والتكرار، ومن أراد التوسع فعليه مراجعة ذلك.

- 7 - الصدق

والأصل في الصدق قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[4]. وحديث الرسول الكريم محمد ﷺ: ((لا يزال العبد يَصْدُق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صِدّيقا، ولا يزال يَكْذُب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كَذّابا))[5].

نقول ان الصدق باب الأبواب لأهل التصوف والمدخل الأمين لمن أراد السلوك والوصول، ولنا الحجة والدليل، فالرسول الأعظم محمد ﷺ، لُقِّبَ بالصادق الأمين

---

(1) سورة آل عمران: الآية 200.

(2) سورة النحل: الآية 127.

(3) سورة المائدة: الآية 119.

(4) سورة التوبة: الآية 119.

(5) من حديث ابن مسعود وهو حديث متفق عليه في المغني عن حمل الأسفار، ودليل الفالحين وغيره.

قبل البعثة، فكان صِدْقه بابا من أبواب النبوة، وتصديق أبي بكر الصدّيق (ﷺ) له ﷺ كان مدخله إلى مقام الصدّيقية وخلافة رسول الله ﷺ. ويكفينا بهذا دليلاً على شرف هذا المقام[1].

وذكر الإمام الكيلاني (ﷺ) عن الصدق ما يجمع القول ويركز المعنى: (واعلم أن الصدق عماد الأمر وبه تمامه وفيه نظامه، وهو ثاني درجة النبوة). وأضاف: (الصادق هو الاسم اللازم من الصدق، والصدّيق هو المبالغة منه، وهو من تكرر منه الصدق فصار دَأبه وسَجِيّته، وصار الصدق غالبه، فالصدق استواء السر والعلانية، فالصادق هو الذي صَدِقَ في أقواله، والصدّيق من صَدَقَ في أقواله وجميع أفعاله وأحواله)[2]. وأوجز السيد محمد (رحمه الله تعالى) بن سيدنا الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) القول بالصدق فأغنى الموضوع ولَمْلَمَ اطرافه بقوله: [والصدق على ثلاثة مقامات، صدق في العَزْمِ، وهو تجرد ارادة الحق، وصدق في الأعمال وهو ركوب الجهد بترك راحات النفوس، وصدق في اللسان، وهو محاسبة النفس بعد إطلاق قول][3].

وبهذا التوضيح، فللصدق مستويات، صدق اللسان ومعياره المحاسبة على كلِّ قولٍ، وصدق الاعمال ببذل المجهود والاجتهاد في كمالها، وصدق العزم ان يجعل إرادته خالصة لله تعالى.

فالصدق له ظاهر في اللسان والأقوال، والأعمال والعبادات، وله باطن في القلب من خلال صفاء النيّة،وجمع العزم والارادة لله وحده، وبذا يتكامل الصدق بين الظاهر والباطن.

---

(1) انظر: كتب السيرة النبوية المطهرة أمثال: محمد الخضري، نور اليقين، ص 22؛ والروض الباسم للإمام المناوي، ص 30.

(2) الغنية، ج3، ص 1366 وما بعدها. وذكر في 1368، (وقال بعضهم: من لم يؤدِ الفرض الدائم لا يقبل منه الفرض المؤقت، قيل: ما الفرض الدائم؟ قال: الصدق).

(3) انظر كتابنا (أبواب التصوف)، ص 42؛ وكتاب الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ): فتوح الغيب، ص 69؛ والفتح الرباني ص 246؛ والمحاسبي، رسالة المسترشدين، ص 89.

وأخيراً نقول: لَمْ يصل سالكٌ إلى مقام القُربِ الا بالصدق، ولَمْ يصل إلى الولاية الا من باب ومدخل الصدق، فهو باب الفضيلة الذي يُفْضي إلى كلِّ خيرٍ في هذا الطريق.

الباب الرابع/المُريد والمُراد

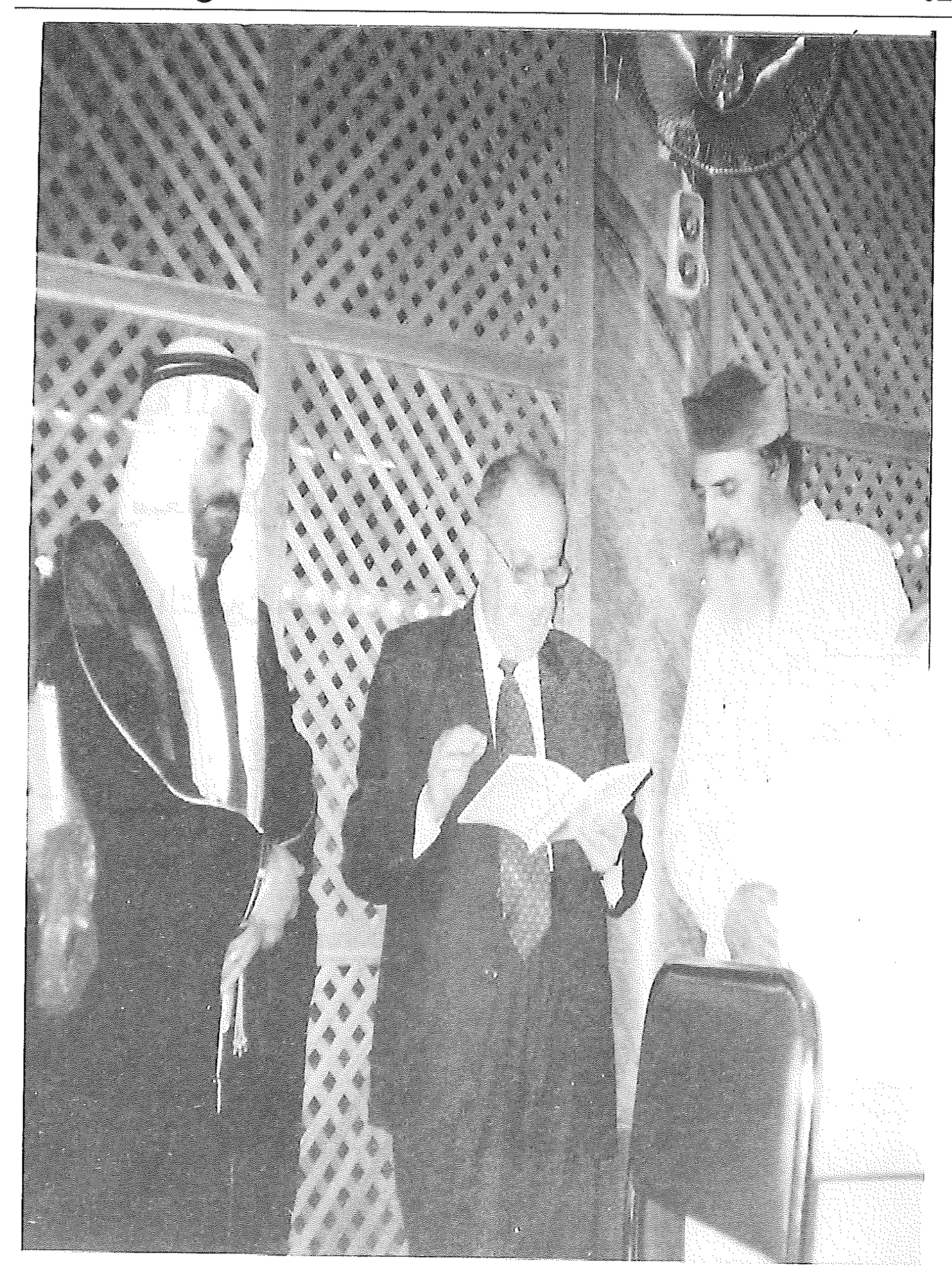
1- تربية المرداء

2- توسعة دائرة المرداء

3- سر التلقين وسنده

4- الخلوة

5- السماع



السيد عبد الرحمن ظهير الدين الكيلاني خادم السجادة القادرية في الوسط يلقن سند التلقين إلى أحد المرداء وبجانبه السيد ميعاد شرف الدين الكيلاني. المؤلف. (باللباس العربي)

الباب الرابع

المُريد والمُراد

إن مصطلح (مريد ومراد) في الأساس مشتق من الإرادة، فالمريد هو الذي طلب بإرادته سلوك هذا الطريق، وأما المراد فهو الذي اختير بفضل من الله ﷻ لسلوك الطريق.

لذا فإن السالك مهما كانت صفته (مريدا أو مرادا) عليه سلوك الطريق بخطوات معروفة سنذكرها، والفرق إن بعضهم يقطعها سريعاً ووقعها عليه سهل، وآخرون يقطعون الطريق بمشقة ومكابدة وهنا يكمن الفرق، أما الأصول والأسس في هذا الطريق فواحدة. وفحواها واحد، وهي:

1. الاعتقاد الصحيح السليم، ضمن نطاق الكتاب والسنة، والعمل بهما أمراً ونهياً، أصلاً وفرعاً، (ويجعلهما جناحيه اللذين يطير بهما في الطريق الواصل إلى الله ﷯)[1] على حد وصف الإمام الكيلاني (﷛).
2. الصدق في الاجتهاد، حتى يجد الهداية، قال الإمام الكيلاني (﷛) (فالاعتقاد يحصل له علم الحقيقة، وبالاجتهاد يتفق له سلوك الطريقة)[2].
3. الإخلاص مع الله ﷯ عهداً، بأن لا يرفع قدماً في طريقه إليه ولا يضعها إلا لله ﷻ.
4. أن يتجرد قلبه و(ظاهره وباطنه) عن جميع المطالب والمآرب، من وراء سلوكه، غير الله ﷻ.
5. العبادة أصل الوصول، فيشغل وقته كله بالعبادة والذكر والأوراد.

---

(1) الغنية- ج3. ص277.

(2) الاجتهاد هنا تعني الجد والمثابرة، وليس الاجتهاد العقائدي.

6. المعية: أو متلازمة (المعية) يقينه بأن الله معه في حاله وترحاله، رقيباً عليه، عارفاً بما في قلبه، مطلعاً على نيته وقوله وفعله.
7. الفراغ: إفراغ قلبه من الدنيا والخلق والأسباب والعلائق، فيبقى قلبه فارغاً منها، ممتلئاً بالله تعالى.
8. مجاهدة النفس ومخالفتها بكل أنواع الرياضة.

آداب المريد

أما الآداب التي يجب أن يتأدب بها المريد أثناء سلوكه فهي:

1. لا يخالط المقصرين والبطالين، من أعداء الأعمال والتكاليف.
2. لا يقصر ببذل الميسور، ولا يبخل بالموجود، والبخل عدو هذا الطريق.
3. أن يرضى بالذل الدائم والحرمان من النصيب.
4. أن يتقرب من العلماء ومجالس العلم. والتحبب إلى المشايخ والأولياء والابدال.
5. أن يتأدب مع شيخه، بترك مخالفته في الظاهر وترك الاعتراض عليه في الباطن، وعليه أن لا ينقطع عن شيخه في كل الأحوال، وان يعتقد ان المشايخ هم الطريق إلى الله ﷻ والإدلاء عليه. ويقوم على خدمتهم.
6. أن يُراعي كل الآداب الإسلامية، في الأكل والسفر، وفي جميع حركاته وسكناته، مع أهله وجيرانه ومجتمعه. فلا يترك منها أدباً.
7. أن لا يستعجل الأحوال ويدعي المقامات.
8. أن يكون صمته أكثر من كلامه، ويجعل من صمته هذا، صمت عبادة وتفكر وأدب.

تربية المرداء

اعلم أخي القارئ الكريم: لا يقوم على تربية المرداء، إلا شيخ تقي نقي مرشد سالك، وإذا جمع العلم بالسلوك فذلك أعلى درجة، ومجاز من شيخ أعلى بإجازة

في الخلافة والإرشاد وتربية المرداء، وصاحب تلقين بكلمة التوحيد، جامع لحقائق السلوك وعارف بالأحوال والمقامات، ولديه بسطة من علم التشخيص.

تشخيص المريد[1]

على الشيخ المُسلك تمييز المريد وتشخيصه، وعدم أخذ الجميع بمعيار واحد، وان اجتمعوا عنده سوية، فلكل مريد ميزاته، وكما يأتي:

1. الوقوف على قابلية واستعداد المريد: القابلية في البشر هبة من الله تعالى وتسمى (القوابل) تختلف من واحد لآخر، أما الاستعداد منه ما هو كسبي ومنه ما هو وهبي، وعلى الشيخ إقرار المريد على العبادة ليفتح الله عليه بهبة القابلية، وعلى الالتزام ليتوسع استعداده وبغيرهما يراوح المريد مكانه.
2. مقدار المحبة والالتزام: فالمحبة حال لا بد منه، وقيل المحبة حال كل الأحوال للسالكين، وفي هذا الباب، فالمريد المحب لله تعالى ولرسوله الكريم ﷺ، ستفتح له الأبواب قبل غيره، على أن يشترك معها الإخلاص والمجاهدة.
3. إخلاصه وصدقه، كما ذكرنا آنفاً ما وصل سالك إلى المنتهى إلا بالصدق صدق اللسان والقلب، أما الإخلاص فهو روح الأعمال، وكل عمل دون إخلاص عمل ميت، فإذا اجتمعت في المريد هذه الخصال، أو زرعها شيخه فيه لتنمو، سيكون له خير في مستقبل الأيام.
4. تواضعه وخلقه: قيل: ما طرد إبليس وما لعن إلا لخصلة الكبر التي فيه، فلا عبادة ولا سلوك ينفعان مع الكبر، فإذا ما تحقق المريد في التواضع ظاهراً وباطناً، كان متمكناً من الطريق، وعموماً فُحسن الخلق هو مظلة الطريق

---

(1) هناك أمور حاولنا تجاوزها، مثل العمر، أي عمر المريد لأن له علاقة بالأمر، ومنبته، وثقافته وعلومه، وأقدامه، ذكائه وفطنته، نشاطه وقوته، كل هذه الخصال الشخصية تدخل بقدر معين في تربية المريد، وعلى الشيخ تمييزها في كل واحد منهم. فيصلح نقاط الوهن، ويقوي نقاط القوة فيه، وما تبقى توفيق من الله ﷻ.

وحاضنته، وأسنى آيات الخلق ما جاء عن تحقق المريد في أسماء الله تعالى ليكون خلقه بعد تحقق.

توسعة دائرة المرداء

وإن شئت قلت كسب المرداء أو توسعة دائرتهم، فالأمر سيان، نعني به توسعة عددهم، وهي مهمة المشايخ الأجلاء ورجال الدعوة القادرية.

ونرى أن تكون التوسعة بقدر قابلية الشيخ وتنظيمه للأمور، فكلما كان يمتلك قواعد محددة، سهل عليه الأمر، مهما توسعت الدائرة، ونحن نميل إلى التوسعة بشرط التنظيم، ووضع الناس في منازلهم التي يستحقونها. ومن أجل تحقيق ذلك، فإن هناك قاعدة، تسمى قاعدة (الجذب) تتشعب إلى فروع نذكر منها:

1. الجذب العلمي: وهو خاص بالمشايخ العلماء، الذين امتلكوا بسطة من العلوم الشرعية، هم القادرون على تشكيل حلقات طلبة العلم، ومن هذه الحلقات ينتمي ما يصلح للطريق.
2. الجذب الأخلاقي: ويختص به المشايخ المتحققون بأسماء الله الحسنى، من أصحاب المقامات، وهؤلاء المشايخ يكون جذبهم بتوفيق من الله سبحانه وبحسن أخلاقهم، ومرادؤهم يكونون أكثر التزاماً.
3. الجذب الشخصي: هناك عدد لا يستهان به من مشايخ الطريق، له القابلية على جذب الناس من حوله، بموهبة هي هبة من الله ﷻ، إلا أن مرداءهم قد لا يعول عليهم، إذا لم يباشر معهم التربية الصحيحة.
4. الجذب بالملازمة: يتواجد العديد من المشايخ وسط مجتمعات مختلفة، وكنتيجة لهذا التواجد والملازمة، يحدث تقارب أسري وعلاقات، فينجذب إليهم المقربون، وحكمه حكم سابقه.
5. الوراثة: هناك تكايا قديمة وزوايا عريقة، تتوارثها العوائل الصوفية، ونتيجة لهذا التقادم، يرث أبناء المشايخ عن آبائهم مرداء، ومن هؤلاء المرداء أبناؤهم، ويكون الولاء في هذه الحالات أشبه بالولاء التقليدي المستقر.

6. الجذب بالوعظ: وهو أعلى أنواع الجذب، وأكثره نجاحاً واتساعاً، وبواسطته وببركته حقق الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) نجاحه الباهر، وفي ذلك عبرة ودرس لمن أراد الاعتبار به من القادرية، إلا إن للوعظ قواعده المحددة، منها اختصاراً العلم والفصاحة والصدق، ومعرفة مشكلات المجتمع وأمراضه، والفطنة في المعالجة، كل ذلك يصب في قالب من التشويق والجذب، لأن في الوعظ معضلة، هو أن الناس تأتي إليه طواعية، فإن لم تجد ما يجذبها انفضت عنه.

وهناك تفاصيل أخرى مجربة من قبل المشايخ المتمرسين، منها إطعام الطعام مع تحاشي البذخ والتبذير، وعقد مجالس الذكر الجامعة للناس، ومحاضر الخير في المناطق والمدن، والصلات الاجتماعية، كل هذه التفاصيل مهمة في توسيع دائرة المرداء وتنوعها.

مع توصية خاصة للمشايخ من إن سر التعامل مع الفقراء والبسطاء باللين والخلق والاحترام، ومع الأغنياء وأصحاب النفوذ بالندية والنصح الصادق، له ثماره، مع العلم إن ذخيرتنا هم الفقراء والبسطاء فولاؤهم كبير واندفاعهم مخلص فيما لو أجيد التعامل معهم.

والجمع بين جذبين أو أكثر من المستحبات في حالة الإجادة والرسوخ.

كما إن المشايخ الذين وسعوا من دوائرهم، هم الذين لهم زاد زيادة، فبالإضافة إلى تفقههم بالعلوم الشرعية والصوفية، تراهم قد وقفوا على علوم مساعدة أخرى، مثل الاجتماع والنفس والتاريخ، وخاصة العلوم المتعلقة بمجتمعاتهم مباشرة مثل التاريخ والاجتماع، وزاد البعض في علم الأنساب والعوائل، ليزنوا الناس بميزان التعامل الصحيح.

وليعلم المشايخ الأجلاء: من أن المريد دائم النظر إلى شيخه، بنظرة المراقب، فيكتسب منه ويقلده ويتأثر به، فالأخلاق، والحركات، والشخصية، والكلام والمحادثة، كلها تنعكس على من هم بمعيته، فالشيخ هو النموذج الحي، والمثال المتجسد للمريد، على ما يجب أن يكون عليه.

والناس دائماً كما هو حال المسلمين، في حالة مراقبة وامتحان لأولياء أمورهم ومنهم شيوخ الطريق، فكلما كان الشيخ مراقبا لنفسه غير غافل عنها، في الظاهر والباطن، كان أنفع لنفسه ولمريده، وليعلم الشيخ إنه في امتحان دائم، في كل يوم بل كل لحظة، يمتحن في دينه وعلمه وقوة تحمله، وعلو مقامه، وكم انفض الناس عن شيخ لغفلة وقع فيها فامتحن بها. فالطريق كله امتحان وانتباه. وبالدعاء وطلب الستر والعفو من الله تعالى في كل الأحوال نافع للمشايخ، فإذا كان الإمام بشر الحافي وهو من أكبر المشايخ سمعة وشهرة وهيبة بين الناس ببغداد، كان يبكي دوماً ويقول (اللهم بعد أن شهرت اسمي بين الناس أسألك أن لا تفضحني يوم العرض).

وليأخذ المشايخ عبرة من الإمام الحافي، لأنه كان يمشي حافي القدمين في دروب بغداد، إلا إن الناس كانت تعامله بهيبة تفوق هيبة الملوك. لأن من ذل نفسه للخالق، رفع درجاته بعيون خلقه.

الخلوة[1] بين الظاهر والباطن

أتخذ السادة الصوفية من الخلوة رياضة، لغايات معلومة وبشروط محددة، ذكرها الإمام الكيلاني (ﷺ) في معرض قصده عن التصرفات قال: (تصفية القلب لها، وقلع هوى النفس من أصلها بالخلوة والرياضة).

وأضاف (فإذا جلس المؤمن الموحد في الخلوة بالتوبة والتلقين مع الشرائط)، بمعنى إن للخلوة ممهدات قبل الدخول فيها، مثلما لها شرائط، والخلوة تنقسم إلى خلوة ظاهرة وخلوة باطنة، وكما يأتي:

(1) دخل الإمام الكيلاني (ﷺ) خلوات كثيرة، حتى إنه كان يتخذ من برج في سور بغداد معتزلاً له، ثم صار يسمى هذا المكان رباط الشيخ، وجاءتنا إحدى الروايات بأنه دخل خلوة دامت ثمانية أشهر تقريباً.

1. الخلوة الظاهرة:

أ. عزل نفسه وحبس بدنه.

ب. حبس حواسه الظاهرة لفتح حواسه الباطنة.

ت. نيته الإخلاص ورضاء الله تعالى، لأن النية في الخلوة مهمة.

ث. الخلوة لتحصين نفسه من المعاصي.

2. الخلوة الباطنة:

أ. ترك كل محبة للدنيا وما فيها، وجعلها خالصة لله تعالى.

ب. إخلاء القلب من كل الذمائم فيدخل (بقلب الخلوتي).

ت. نيته تصفية قلبه وقلع هوى النفس.

ث. ملازمة الذكر بالمحبة.

3. شرائط الخلوة:

أ. الصمت وملازمة الذكر بالإرادة والمحبة والإخلاص.

ب. يدخلها بالتوبة والتلقين. أي تلقى التلقين من شيخ ملقن.

ت. بإشراف شيخ تقي نقي عالم سالك.

ث. أن يدخلها بالعلم الشرعي والاعتقاد الصحيح، فخلوة الجاهل تضره وخلوة العالم تنفعه.

4. منافع الخلوة ونتائجها:

أ.خلص لله عمله.

ب. نور الله قلبه. وطهره من كل فساد.

ت. طهر لسانه.

ث. جمع حواسه الظاهرة والباطنة، وصار من أهل المعرفة والذوق.

5. أوراد الخلوة[1]:

---

(1) ذكرنا الخلوة في كتابنا (صحيح الأذكار والأوراد والأدعية)، ص105 وقلنا: التدرج في الخلوة، من الخلوات الصغيرة (ثلاثة أيام) إلى الكبيرة (الأربعينية). وهذا التدرج مهم في هذه =

أ. الصوم إن استطاع.

ب. يجوز له الصلاة في الجماعات في المسجد والجمع بأوقاتها وسننها.

ت. يصلي اثنتي عشرة ركعة بعد نصف الليل وثلثه بنية التهجد.

ث. قراءة القرآن الكريم، كل يوم بمقدار مئتي آية.

ج. المداومة على الذكر، وفي كل يوم اسم من أسماء الله الحسنى.

ح. ملازمة الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ.

السماع

لا يختلف اثنان من الصوفية من أن سماع آيات القرآن الكريم أعلى السماع، وروي أن الجنيد البغدادي دخل على خاله السري السقطي فوجد عنده رجلاً مغشياً عليه، فقال: ما لهذا؟ فقيل له: سمع آية من كتاب الله، فقال الجنيد: تقرأ عليه ثانياً، فقرأ فأفاق، فقال السري للجنيد: من أين لك هذا؟ قال: إن قميص يوسف ذهب بسببه بصر يعقوب لما جاؤوا عليه بدم كذب، ثم عاد بسببه لما جاء البشير، فأعجب السري بقوله.

واتفقت الصوفية على أن إرادة السماع للمبتدئ، أما الكبار وأصحاب الكمال، فحالهم واحد بالسماع وغيره، لأنهم لا يحتاجون للوجد للتأثر به، فهم مع الله دائماً، إنما المبتدئ يطلب السماع لاستحضار الوجد. وقيل هذا من حظ النفوس.

إلا أن للسماع عند السادة القادرية آدابا يجب مراعاتها، ومنها:

1. أن لا يتكلفوا السماع ولا يطلبوه باختيارهم وإرادتهم.
2. إذا استقبل المريد السماع، عليه أن يكون ذاكراً لربه بقلبه.

=

الرياضة، خوف عكس المطلوب من نتائجها. وهناك خلوة (100 يوم) دخلها الشيخ الدكالي من المغرب ببغداد على يد الشيخ عبد القادر الكيلاني (ﷺ) حتى خرج منها وهو يرى من الأنوار ما شاء الله تعالى.

3. أن يتلقى بفهم قلبه، بأن دلالة ما يسمعه إذا كان يدعوه إلى عبادة أو ذكر بادر السماع.
4. لا يخرج في سماعه عن آداب الشرع وحق العبودية، مهما كان نوع السماع.
5. السكون في السماع ومراعاة الحشمة أولى للمريد والشيخ كذلك.
6. حضور السماع بموافقة الشيخ وتوجيهه، وإذا كان حاضراً معه فلا يتحرك إلا بإشارة منه.

سر التلقين وسنده

التلقين اصطلاحاً: آلة قطع السوى، أو آلة قطع ما سوى الله تعالى من قلب المتلقن.

وخلف هذه الباب الكثير من الأسرار، التي لا تخفى على المشايخ السالكين، فقطع كل شيء من القلب، بكلمات محددة، لا تتم إلا من شيخ مُلقن وولي مرشد، صاحب حال، وكلمة التلقين: (لا إله إلا الله) كلمة التوحيد الأبدية.

ويكمن في التلقين أسرار نوجز بعضها:

1. التلقين يفتح عين (البصيرة)، قال الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) (والبصيرة عين الروح، تفتح في مقام الفؤاد للأولياء، وذلك لا يحصل بعلم الظاهر بل بعلم الباطن اللدني، قال تعالى ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ سورة الكهف-65، فالواجب على الإنسان تحصيل تلك العين من أهل البصائر بأخذ التلقين من ولي مرشد يخبر من عالم اللاهوت)[1]. والإشارة واضحة بأخذه من ولي مرشد يخبر من عالم الأرواح.
2. بالتلقين يبدأ الإنسان الحقيقي بالظهور من بشريتنا، يقول الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ): (والمراد من الروح القدسي الإنسان الحقيقي الذي أودع في لب

(1) سر الأسرار- ص9.

القلب ويظهر وجوده بالتوبة والتلقين، وملازمة كلمة لا إله إلا الله بلسانه أولاً، وبعده بحياة القلب)[1].

3. لا يستطيع السالك جمع المراتب الأربعة من (العقول والعلوم والأرواح) إلا بعد التوبة النصوح، وبالتلقين من شيخ ولي ملقن، قال الإمام "اعلم إن المراتب المذكورة لا تحصل إلا بالتوبة النصوح وبالتلقين من أهله، كما قال الله تعالى ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ سورة الفتح - 26، أي كلمة لا إله إلا الله- بشرط أخذها من قلب تقي نقي، مما سوى الله، لا كل كلمة تسمع من أفواه العامة، وإن كان اللفظ واحداً ولكن المعنى متفاوت، لأن القلب إنما يحيى إذا أخذ بذر التوحيد من قلب حي، فيكون بذراً كاملاً، والبذر غير البالغ لا ينبت، ولذلك بذر كلمة التوحيد في القرآن العظيم في موضعين، أحدهما: مقارن بالقول الظاهري كما قال الله تعالى ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ سورة الصافات-35- فهذا في حق العوام. والثاني: مقرون بالعلم الحقيقي، كما قال الله تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ سورة محمد - 19- فهذا التلقين بسبب نزول هذه الآية لأجل التلقين للخواص.

والإشارة في النص واضحة، فكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) يجب أن يتلقاها المريد من شيخ ولي ملقن، تلقاها من شيخ ملقن سابق عليه، وإلا فإن هذه الكلمة يقولها الجميع، ولكنها لا تحمل سر التلقين وسنده، إذا لم تسمع من ملقن سابقاً صاحب مقام. وله سند متصل بذلك.

سند التلقين

نؤكد من أن سند التلقين غير الإجازة، وقد يدمج عند بعض المشايخ- كما اطلعنا- لأن سند التلقين استمر عندهم، ونعني بسند التلقين من جبرائيل (عليه السلام) عندما لقن رسولنا الكريم ﷺ ولقن ﷺ الإمام علي (رضي الله عنه)، وانتقل التلقين، من فم لفم،

(1) المصدر السابق- ص11.

ومن فم لأذن دون انقطاع إلى يومنا هذا. وأصل هذا السند: أن نزل جبرائيل (عليه السلام) على النبي ﷺ ولقنه، ثم رسول الله ﷺ لقن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، ثم جاء إلى أصحابه رضي الله عنهم فلقنهم جميعاً، ومنذ ذلك الحين ينتقل صدى الوحي الأمين في الصدور، بدءاً من الصدر الشريف للنبي محمد ﷺ، ونقل معه السر، من رجل إلى رجل إلى يومنا هذا دون انقطاع، ومن يسمع التلقين الحقيقي، ينتقل به الحال مباشرة إلى حال عظيم، ولذة عظيمة تدوم طويلاً، ويتذوق منها الصوت الحقيقي، وينتقل معها حال الشيخ إلى مريده، والأخير بعد تلقينه يلازم هذه الكلمة ملازمة استلذاذ، فكلما ذكرها حس بلذتها وكأن التلقين ورده توا.

لذا قال الإمام عبد القادر الكيلاني (رضي الله عنه): (فالتلقين آلة قطع ما سوى الله تعالى من قلب المتلقن، لأن من لم يقطع الشجر المر لا يصل إلى الشجر الحلو موضعه، فاعتبر، فافهم[1]).

والحمد لله رب العالمين

(1) سر الأسرار: ص23. هناك وثائق عن سند التلقين عديدة، لولا خوف الإطالة لذكرناها. ويرافق التلقين أصول مرعية في جلسته، من قبل الشيخ لمريده، وهي ثابتة لا تتغير ومن شروطها الطهارة وأداء ركعتين بهذه النية. ثم بقيام محفل القادري. بسنده المعروف.

الباب الخامس/ الشريعة والطريقة

1- الأركان الخمسة

2- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

3- الكسب والقدر



صورة رقم (6) المرحوم السيدعبد الرحمن ظهير الدين الكيلاني وسط الصورة نقيب أشراف بغداد وخادم السجادة القادرية وحوله أولاده وأحفاده عرض عليه أن يكون ملكاً على العراق فرفض وقال: أنا درويش

الباب الخامس

الشريعة والطريقة

هناك من يعتقد- خطأ- بأن الطريق هو في ملازمة مجموعة من الأذكار والأوراد فحسب، إلا أن الحقيقة غير ذلك فالذكر ركن من أركانها، تتبعه أصول أساسية بها يكتمل الحال، ومن هذه الأصول المهمة الركن العلمي، والذي نقصد به، الوقوف على العلم الشرعي، بالاعتقاد السليم، إذ لاحظنا وخاصة في العقود المتأخرة بتخلف بعضهم عن هذا الركن، وهذا ثلم في السلوك، لأن هذا الأصل فيه من المحددات والهيئات والأحكام، ما يتم به التمييز، وما تتوقف عليه العبادات، وبالتالي فالتحقق في هذا الركن الشرعي واجب وفرض، على كل مسلم ومسلمة.

ولعلنا بتقديمنا الركن العلمي، هو تأكيد على الأسبقية، ورد على كل طاعن بأن أهل السلوك والتصوف غير متحقق فيه، وهذا الأمر مردود عليهم، لأن كبار فقهاء الأئمة كانوا من الصوفية، وفي مقدمتهم الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) الذي وصل بعلو علومه إلى درجة الاجتهاد المطلق، وانتخب ليكون مفتياً في الخطة العراقية، في زمن كانت بغداد تعج بالعلماء والفقهاء، وهذا تأكيد آخر لما ذهبنا إليه من إن الشريعة بأصولها وفروعها أصل أصيل عند السادة الصوفية، والقادرية خاصة.

هذا وترك لنا الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) كتابه الرائع (الغنية لطالبي طريق الحق ﷻ) والذي تضمن أبواباً في الفقه والتصوف، وكأنه أراد القول أن الحقيقة لا بد لها من الشريعة، وإن الشريعة مؤيدة للحقيقة، ولمن أراد التحقق في مقام الإحسان، والترقي في الطريق، طريق القرب لله ﷻ، عليه الجمع والتحقق علماً وحالاً، بالشريعة والحقيقة. وكرر هذا المنهج في كتاب آخر له هو كتاب (سر الأسرار)، وذكر بوضوح هذا الجانب، حين قال: يعرف أهل الحق- ويقصد أهل التصوف والسلوك ومنهم طبعاً القادرية- بشاهدين، هما:

1. الشاهد الأول (ظاهر):

(الاستحكام على الشريعة أمراً ونهياً) أي أن تكون حركاته وسكناته موافقة لأحكام الشريعة وضوابطها ومحدداتها، يأتمر بأحكامها وينتهي عند حدودها.

2. الشاهد الثاني (الباطن):

(أن يكون سلوكه على مشاهدة البصيرة، فيرى من يقتدي به، وهو النبي ﷺ، روحانياً يكون واسطته إليه تعالى، أما جسمانياً ففي محله. فتكون الإشارة إليه منه وإلى مريديه السالكين)[1].

الإسلام والإيمان

الإسلام[2]: من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتبرأ من كل دين غير دين الإسلام، ويعتقد بقلبه وحدانية الله تعالى، وأن الإسلام هو الدين عند الله تعالى، قال الله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ سورة آل عمران-19- وقوله تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ سورة آل عمران-85- فهو مسلم.

أما الإيمان: فهو قول وعمل، لأن القول دعوى والعمل هو البينة، والقول صورة والعمل روحها[3].

الطهارة

طهارة الشريعة: هي طهارة الظاهر بماء الشريعة، بفرائضها وسننها.

---

(1) انظر: سر الأسرار- ص58.

(2) انظر- الغنية- ج1، ص54: قال النبي ﷺ (الإسلام يجب ما قبله) رواه أحمد والطبراني والبيهقي.

(3) تعريف الإيمان. الغنية ج1 ص55، وذكر في ص289، الإيمان هو الدين والشريعة والملة... والإسلام من جملة الإيمان وكل إيمان إسلام، وليس كل إسلام إيماناً. وعن الإسلام ذكر: والإسلام بمعنى الاستسلام والانقياد، وكل مؤمن مستسلم منقاد لله تعالى... والإسلام عبارة عن الشهادتين مع طمأنينة القلب والعبادات الخمس.

طهارة الطريقة: تحصل بالتوبة والتلقين، والتصفية وسلوك الطريق. وهي طهارة الباطن.

فوضوء الظاهر وصلاته مؤقتة، ووضوء الباطن وصلاته مؤبدة في جميع عمره، في كل يوم وليلة متصلة[1].

قال الرسول ﷺ "العينان تزنيان والأذنان تزنيان" كما جاء في مسند أحمد والشاشي ومسلم.

والمعنى حاجة المسلم إلى جمع الطهارتين، طهارة الظاهر (الجوارح) بماء طاهر من كل نجس[2]، وطهارة الباطن (القلب) من كل ذنب، بالتوبة والصفاء وسلوك هذا الطريق.

وأضاف الإمام الكيلاني (ﷺ) طهارة ثالثة سماها طهارة المعرفة في عالم التجريد، وهي برأينا طهارة الحقيقة، فيكون على السالك ثلاث طهارات، طهارة الشريعة، وطهارة الطريقة، وطهارة الحقيقة.

ولخص الإمام هذه الطهارة المتعالية بالذوق بقوله: (طهارة المعرفة على نوعين: طهارة معرفة الصفات، وطهارة معرفة الذات).

وفصل ذلك بقوله: (فطهارة معرفة الصفات: لا تحصل إلا بالتلقين، وتصفية مرآة القلب بالأسماء، من النفوس البشرية والحيوانية، فيصفو القلب، ويحصل له

---

(1) سر الأسرار-ص40.

(2) أما طهارة الشرع فلها فرائض: النية، والتسمية، والمضمضة، والاستنشاق، وغسل الوجه، ثم غسل اليدين إلى المرفقين، ثم مسح الرأس، ثم غسل الرجلين مع الكعبين، مع الترتيب للأعضاء، ثم الموالاة، وهي إتباع العضو الثاني للأول قبل أن ينشف ماء الأول. وللطهارة سنن: مثل غسل الكفين قبل إدخالهما الإناء، والسواك، والمبالغة في المضمضة، والاستنشاق، وتخليل اللحية الكثة وغسل داخل العينين، والبدء باليمين، وأخذ ماء جديد للأذنين، ومسح العنق، وتخليل ما بين الأصابع، والغسلة الثانية والثالثة. انظر: الغنية: ج1. ص55-57.

النظر بعين القلب من نور الله، ينظر بنور الصفات إلى عكس جمال الله تعالى في مرآة القلب).

والعبارة يقصد منها: ملازمة أسماء الله الحسنى ليتحقق بها ثم يتخلق بها، فتذهب عنه كل الأخلاق المذمومة (النفوس البشرية والحيوانية) فيصل إلى مقام الصفاء، والصفاء هو التصوف نفسه، حين يصفو القلب لله تعالى، فيصير مثل المرآة، تعكس كل محمود من الصفات (جمال الله تعالى).

أما طهارة معرفة الذات التي هي جزء من الطهارة الثالثة (طهارة الحقيقة) يقول الإمام (ﷺ): (أما طهارة معرفة الذات في السر: فلا تحصل إلا بملازمة أسماء التوحيد... في عين السر بنور التوحيد، فإذا تجلت أنوار الذات ذابت وفنيت بالكلية، فهذا مقام الاستهلاك وفناء الفناء، وهذا التجلي يمحو جميع الأنوار).

ويعني بذلك: الإخلاص في التوحيد، حتى يصل الذاكر باللسان إلى قلبه ثم سره، فإذا تحقق بذلك ظهر عليه تجلي الأنوار، وتم فناءه، والفناء عند السادة الصوفية في أول مراحله، فناء جميع الصفات المذمومة بالصفات المحمودة، وأعلى أنواعه الفناء بالكلية، وهو المستهلك بربه بالكامل.

وكلا الطهارتين، طهارة معرفة الصفات وطهارة معرفة الذات، إنما هي من (عالم التجريد) والتجريد عن كل شيء، غير الله، فيبقى المتجرد متصفاً بصفات الله ﷻ، والمتصف أي المتخلق بها، يقصد بهم، الذين أحصوا أسماء الله الحسنى فتحققوا بها، فصارت صفاتهم وخلقهم مستمدة من صفات الله ﷻ. وهذه هي الطهارة الثالثة أي طهارة الحقيقة (المعرفة) بعد طهارة الطريقة (السلوك) وبعد طهارة الشريعة.

الصلاة

صلاة الشريعة: والأصل فيها: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ سورة البقرة الآية - 238-. والمراد منها أركان الجوارح الظاهرة بحركات جسمانية مثل القيام والقراءة والركوع

والسجود والقعود والصوت والألفاظ[1] فهي صلاة الجوارح، وهي صلاة مؤقتة بخمس مرات في اليوم.

أما صلاة الطريقة: فهي صلاة القلب، وهي مؤبدة، ومن غفل عن هذه الصلاة فسدت صلاته ومعها فسدت صلاة الجوارح. والسبب في ذلك، لأن الصلاة هي صلة بين العبد والرب، وهي محل مناجاة القلب، فإذا غفل القلب بطلت الصلاة ونقضت الجوارح.

قال النبي ﷺ (ألا في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) رواه مسلم والبخاري.

وصلاة الطريقة مؤبدة في عمره، مسجدها القلب، وجماعتها اجتماع قوى الباطن على الاشتغال بأسماء التوحيد بلسان الباطن، وإمامها الشوق في الفؤاد.

وصلاة الحقيقة: فالقبلة في صلاة الحقيقة الحضرة الآحدية، وجمال الصمدية، وهي قبلة الحقيقة.

---

(1) سر الأسرار ص50، وفي كتاب الغنية الصلاة، عددها، وهيئتها، وهي صلاة الشريعة: ولها شروط وفرائض وسنن، فمن شروطها الطهارة والستر والاحتشام، وفي بقعة طاهرة، واستقبال القبلة، والنية.

وهي صلاة بقول (الله أكبر) وأركان الصلاة: القيام وتكبيرة الإحرام، وقراءة الفاتحة، والركوع، والطمأنينة والاعتدال عنه، والطمأنينة فيه، والسجود، والطمأنينة فيه، والجلوس بين السجدتين والطمأنينة فيه، والتشهد الأخير، والجلوس فيه، والصلاة على النبي ﷺ والتسليم.

وللصلاة واجبات. مثل التكبير والتسميع والتحميد وغيرها، ولها مسنونات مثل الاستفتاح والتعوذ وغيرهما، وللصلاة هيئات، مثل رفع اليدين عند الافتتاح والركوع وغيرها من الهيئات.

والصلاة من ترك منها ركناً عامداً أو ساهياً بطلت. أما ترك واجب منها فيمكن جبره بسجود السهو. وان ترك سنة أو هيئة لم تبطل ولم يسجد. الغنية: ج1. ص55- 62.

الزكاة[1]

زكاة الشريعة: هي أن يعطي من كسب الدنيا إلى مصارفه، مؤقتة معينة، في كل سنة مرة من نصاب معين.

زكاة الطريقة: فهي أن يعطي من كسب الآخرة كله في سبيل الله إلى فقراء الدين والمساكين الأخروية. وهي مؤبدة.

زكاة الحقيقة: تزكية القلب من صفة النفس.

الصوم

صوم الشريعة: أن يمسك عن المأكولات والمشروبات وعن وقاع النساء في النهار، والإفطار الأكل عند غروب الشمس.

صوم الطريقة[2]: أن يمسك عن جميع أعضائه المحرمات والمناهي والذمائم مثل العجب والكبر وغير ذلك، ظاهراً وباطناً، فكله يبطل صوم الطريقة. وهو صوم مؤبد في جميع عمره. والإفطار دخول الجنة.

---

(1) انظر سر الأسرار: ص43. والزكاة: تجب على من له مال زكوي، وهو أن يملك عشرين مثقالاً من الذهب، أو ما يعادلها من عروض، أو خمسة من الإبل، أو ثلاثين من البقر، أو أربعين من الغنم سائمة حولاً كاملاً، فيخرج من الذهب والفضة ربع العشر، وكذلك نسب من الإبل والبقر والغنم، وتعطى الزكاة للثمانية الأصناف المذكورة في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ سورة التوبة-60-. فإذا أدى ما عليه من زكاة فرض، يستحب له صدقة التطوع في سائر أوقاته ليلاً ونهاراً قليلاً وكثيراً. وهناك زكاة الفطر . الغنية: ج1 ص63- 66.

(2) سر الأسرار: ص44. الصوم: إذا دخل شهر رمضان وجب الصوم لقوله تعالى ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ سورة البقرة -185- وهو أن يمسك في جميع نهاره عن الأكل والشرب والجماع وجميع ما يصل إلى جوفه، وإذا خالف ذلك بطل صومه، ويستحب للصائم تعجيل الإفطار وتأخير السحور.

=

صوم الحقيقة: فهو إمساك الفؤاد عن محبة ما سوى الله تعالى، وإمساك السر عن محبة مشاهدة غير الله، وإذا وقعت فيه محبة غيره فسد صوم الحقيقة.

الحج

حج الشريعة: والأصل فيه ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ سورة البقرة آية 196.

بحج بيت الله تعالى بشرائطه وأركانه، حتى يحصل على ثواب الحج، ومن شرائطه الإحرام أولاً ثم دخول مكة، ثم طواف القدوم، ثم الوقوف بعرفة، ثم الوقوف بمزدلفة، ثم ذبح الأضحية في منى، ثم دخول الحرم، ثم طواف الكعبة سبعة أشواط، ثم شرب ماء زمزم، ثم يصلي ركعتي الطواف في مقام إبراهيم (عليه السلام)[1].

حج الطريقة: زاده وراحلته صاحب التلقين، ثم ملازمة الذكر باللسان، وملاحظة معناه حتى تحصل حياة القلب له، ثم يشتغل بذكر الباطن حتى يصفيه بملازمة أسماء الصفات، فتظهر كعبة السر بأنوار الصفات.

كما أمر الله تعالى النبي إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) بتطهير الكعبة[2].

ثم يحرم بنور الروح القدسي، ويدخل كعبة القلب وهكذا ومنها ذبح النفس، بمجاهدتها ورياضتها.

=

الغنية: ج1. ص67- 69.

(1) وللحج شروط واستطاعة وفيه مواقيت، وهيئات، وأركان وأدعية وطواف، وفيه محظورات ومبطلات، وواجبات ومسنونات، وأماكن وشعائر.

وكذلك العمرة؛ ومن ذلك زيارة النبي ﷺ والصلاة في مسجده الشريف.

الغنية: ج1. ص72- 93.

(2) سر الأسرار: ص46.

حج الحقيقة: قال الإمام الكيلاني (ﷺ) (أما ما وراء ذلك فلا يمكن الاخبار عنه، لأنه لا تدركه الافهام والأذهان ولا تسع الخواطر في ذلك)[1].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2]

لا أعلم بالضبط من أين جاء بعضهم بالرأي القائل بأن أهل السلوك هم من أهل اللين، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وباعتقادنا إن هؤلاء أما إنهم من غير المتعمقين في خصائص التصوف، أو لأنهم يطلقون الكلام جزافاً وبدوافع شتى.

وسنتعرف على عجالة على أهم ما قاله الإمام عبد القادر الكيلاني في هذا الأصل الأصيل عند أهل السلوك والتصوف، وعن هذا المبدأ قوله تعالى:﴿ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة التوبة/112.

وقوله تعالى ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ سورة التوبة/71 .

وذكر الإمام الكيلاني (ﷺ) قال: فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان على كل مسلم حر مكلف عالم بذلك، بشرط القدرة على وجه لا يؤدي إلى فساد عظيم، وضرر في نفسه وماله وأهله، ولا فرق بين أن يكون إماماً أو عالماً أو قاضياً أو واحداً من الرعية.

---

(1) المصدر السابق والصفحة.

(2) صدر كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برواية الإمام الكيلاني، وطبع طبعات عدة، قديمة وحديثة، منها طبعة دار الكتب العلمية ببيروت. كذلك حرر الإمام الكيلاني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كتابه الغنية: ج1. ص239 إلى ص250. وكذلك ما تضمنته مجالس وعظه، وفي هذا التواتر والتكرار ما يرد على المتشككين في هذا الجانب. ونكتفي بهذا القدر.

ثم ذكر شروط القدرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكيفية تحديده بالبينات، ونظم هذا الأصل في أبواب فيها الكثير من التفاصيل المفيدة. منها شروط الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر وغيرها[1].

الكسب والقدر

الكسب والقدر من المسائل الدقيقة، التي طال الحديث فيها، وكثر النقاش حولها، إلا إن الأمر عندنا واضح جلي، اذ بت الإمام بصادق اعتقاده فيهما، لذا نختصر القول، بذكر ما قاله الإمام عبد القادر الكيلاني:

(إن أفعال العباد خلق الله ﷻ وكسب لهم خيرها وشرها، حسنها وقبيحها، ما كان منها طاعة ومعصية، لا على معنى إنه أمر بالمعصية، لكن قضى بها وقدرها).

وأضاف: (وإنما أثبتنا للعباد كسباً، لموضع توجه الأمر والنهي والخطاب إليهم، ثم استحقاق الثواب والعقاب لديه كما وعده، وضمن ﷻ، قال الله تعالى ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ السجدة/17، الأحقاف/14، الواقعة/24.

فعلق سبحانه الجزاء على أفعالهم، فأثبت لهم كسباً خلاف ما قالت الجهمية من إنه لا كسب للعباد[2].

أما عن القدر فقال: (على المسلم أن يؤمن بخير القدر وشره)

وأضاف الإمام: (وينبغي أن يؤمن بخير القدر وشره، وحلو القضاء ومره، وإن ما أصابه لم يكن ليخطئه بالحذر، وما أخطأه من الأسباب لم يكن ليصيبه بالطلب، وإن جميع ما كان في سالف الدهور والأزمان، وما يكون إلى يوم البعث والنشور بقضاء الله وقدره المقدور، وإنه لا محيص لمخلوق من القدر المقدور، الذي في اللوح المسطور)[3].

---

(1) مجلة التصوف الإسلامي، بغداد، العدد (4)2011م. ص14-4.

(2) الغنية: ج1. ص296.

(3) الغنية: ج1. ص300.

قـــال الله تعـــالى ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ سورة يونس- 107.

الباب السادس/ الأذكار والأوراد القادرية

1- شروط التمهيد للأذكار

2- الذكر القادري

3- أنواع الأذكار

4- الدعاء المستجاب والرقية الشرعية

الباب السادس

الأذكار والأوراد القادرية

هناك من يعتقد أن الأوراد للمبتدئ، وهذا خطأ كبير، لأن الورد والذكر عموماً ليس فيه مبتدأ أو منتهي، ولعل الواصل أحوج إليه، لضمان دوام مقامه وحاله، وكنا قد حررنا كتابا مستقلا بعنوان (صحيح الأذكار والأوراد والأدعية القادرية) وتصدينا فيه للزيادة والنقصان، وثبتنا الصحيح منها، ورجعنا إلى الأصول الصحيحة للأوراد القادرية، بعد تشذيب الإضافات التي دخلت إلى هذا الذكر، دون سند أو أصل. ولأننا نسعى هنا كما في باقي كتبنا، بالعودة إلى أصول الطريقة القادرية، كما أرسى أركانها مؤسسها شيخ الإسلام الإمام عبد القادر الكيلاني (قدس سره)، نرى من الضروري، إعادة تثبيت المبادئ العامة، للأذكار والأوراد القادرية، خوفا من الشطط، والحذر من الابتعاد بها عن جادتها الأصلية.

ونبدأ بعون الله تعالى فنقول: أعلى أنواع الذكر كتاب الله العزيز "القرآن الكريم"، لقوله تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ سورة يس-69-، وقوله تعالى ﴿صٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ سورة ص-1-.

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ سورة الأنبياء-50-، وأساس الذكر، ذكر الله تعالى باسم الذات أو بأسمائه الحسنى لقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ سورة الأحزاب -41-، وقوله تعالى ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ سورة البقرة-152- وما وردنا من الأثر الطيب للرسول الكريمﷺ، إنه كان ذاكراً لله تعالى في كل أحواله، في حال حركته وسكونه، وبداية شروعه بالعمل وأثنائه وبعده، ودعا عليه الصلاة والسلام أن يكون فم المسلم رطبا بالذكر، أي قبل أن يجف من ذكره الأول حتى يذكر ثانيه، وكذلك كان حال الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين، والسلف الصالح والتابعين، وكذلك حال أهل السلوك والتصوف ومشايخ القادرية،

فهم في دوام الذكر والثناء، لا يعوقهم عنه حال، ولا يؤخرهم مقال، ولا عرض من أعراض الدنيا.

ومن هنا نبدأ لنقول إن سر الأوراد والأذكار في المداومة عليها، فلو تحقق السالك في ورد قليل مع الدوام عليه، هو خير من ورد كثير متقطع.

كما يجب أن لا تتحول الأوراد إلى تمتمة لفظية فقط، فتسقط غاياتها السامية، لأن المطلوب من الورد لفظه باللسان وتذوقه بالقلب بصحبة الفهم، وبغير ذلك فهي أصوات وتمتمات، بينما الغاية من الذكر أن يطبع في القلب، فتفتح فيه الأنوار، فإذا علق الذكر باللسان فقط، فلا ينتظر صاحبه الفتوح والأنوار.

وأخيراً فإن للأوراد أعدادا، وفي العدد معرفة عميقة في رياضة القلب، توغل فيها المشايخ والأئمة وكشفوا النقاب عنها، فالتقييد بالأعداد ليس عبثاً، بل جدٌ في جد، وإذا ما وجد المريد في قلبه ميلاً استثنائياً للزيادة، فعليه مضاعفة العدد ليس إلا، على أن يعتبر ذلك (رخصة) مؤقتة، ليعود إلى العدد الأصلي لكل ورد عند الانتهاء من ميله سريعاً.

شروط التمهيد للأذكار والأوراد

التمهيد نقصد به كيفية دخول الشيخ مثلما المريد إلى بيت الورد وقصر الذكر، ولأن لكل بيت وقصر بابا، الواجب أن نأتي البيوت من أبوابها، وجب على الجميع التحقق في شروط التمهيد لأنها الباب، لضمان الدخول بسلام، وليتعرض الذاكر للخير والثواب، وبالتالي القبول، أما أركان وشروط التمهيد للأذكار والأوراد والأدعية، فلخصها الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) بنص صريح لا لبس فيه بقوله: (وجميع ما ذكرناه من صيام الأشهر والأضحية والعبادات من الصلاة والأذكار وغير ذلك، وما سنذكر إن شاء الله تعالى، لا يقبل إلا بعد توبة وطهارة القلب وإخلاص العمل لله تعالى[1] وهذا النص قطعي يشمل جميع العبادات، ومنها الأذكار والأوراد

(1) الغنية: ص81.

والأدعية، والتي وصفت بـ (مخ العبادة)، لذا فإن التحقق في هذه الشروط الثلاثة مهم للذاكرين والواردين. وأولها:

ـ 1 ـ التوبة

لا ذكر ولا دعاء قبل التوبة، التوبة النصوح، والتوبة لها معانٍ عدة. فمنها الرجوع إلى الله تعالى أي إلى أمره ونهيه، والرجوع عن كل مذموم شرعاً إلى الممدوح شرعاً، وكذلك التوبة تعني الطهارة من كل ذنبٍ ظاهر أو باطن، بمعنى طهارة الجوارح والقلب.

ومن المعاني الرائعة التي وصلتنا عن التوبة مفهوم (إرادة التدارك) التي جاء بها الإمام عبد القادر الكيلاني بقوله (وهو إرادة التدارك، فله تعلق بالحال، وهو موجب ترك محظور... وله تعلق بالماضي، وهو تدارك ما فرط بالمستقبل وهو المداومة على الطاعة وترك المعصية)[1].

ولتوضيح النص، فهو يشير أولاً إلى توبة الحاضر، وهو ترك جميع المعاصي في الحال. وثانياً: أما عن الماضي، فرد الحقوق، وتعويض العبادات الفائتة. ثالثاً: في المستقبل، النية في عدم العودة إلى معاصيه.

وليعلم القارئ الكريم: إن لكل ذنب في الماضي تبعة على الحاضر والمستقبل.

فالذنوب مبعدات من الله تعالى وعن مقام القرب، وبقدر الذنوب ونوعها يكون بعدك في الحاضر عن الله، وعليك التعويض أو (التدارك) لتقليص مسافة البعد، وكذلك للمستقبل حصته من كل ذنب، لأن الذنب سيئة، وللسيئة جزاء وعقاب في المستقبل، بينما للحسنات زيادة، فالحسنات يذهبن السيئات، فمن أراد التدارك، ليتدارك نفسه ووقته.

وأخيرا: التوبة النصوح طهارة، يدخل بها الذاكر والوارد إلى ذكره ووِرده، تشبه الوضوء بماء طاهر، قبل الدخول في الصلاة، وهي وضوء الذكر والورد.

---

(1) الغنية: ج2. ص557.

ـ 2 ـ إصلاح القلب

إصلاح القلب يعني حياة القلب، فالقلب الميت الغارق بغفلته يبدأ أول انعاش له ليعود إلى الحياة، بالعبادة والذكر، فإذا انتهى من غفلته وصحا، تأتي الخطوة الثانية وهي محبة الله ليكون قلباً صحيحاً ساكناً، يحب الله ﷻ، يقول الإمام الكيلاني (ﷺ): (إذا سكن حب الله قلب عبده أُنس به)[1].

ـ 3 ـ الإخلاص

الإخلاص في باب الحقائق: طرد كل شيء غير الله ﷻ من القلب.

والإخلاص في باب المعرفة: هو معرفة الله ﷻ.

والإخلاص في باب العمل: روح الأعمال الإخلاص، وآفتها الرياء والنفاق.

يقول الإمام الكيلاني (ﷺ): (لا تعيوا وتعملوا أعمالاً بلا أرواح، الأعمال لها أرواح وهي الإخلاص)[2] ويقول: (الإخلاص الكامل هو مما سوى الله ﷻ، ومعرفة الله ﷻ هي الأصل).

وبهذا النص ينطلق إلى المعرفة، كما وجدنا ذلك أيضاً في باب الأخلاق، فالمعرفة أساس الأخلاق والإخلاص.

وخلاصة القول: الذكر والورد من دون إخلاص كأنها عمل ميت لا روح فيه. عند ذلك تكتمل الصورة لدينا، بالشكل التالي: نتطهر بالتوبة لأنها وضوء الذكر، وبإصلاح القلب ندخل في الذكر والورد، ثم بالإخلاص نمنح الذكر روحاً ومعنى، ثلاثة أركان لا بد منها لنكون في صفوف الموصوفين بالذاكرين الواردين على الحقيقة.

---

(1) الفتح الرباني: ص22.

(2) المصدر السابق: ص114.

الذكــر القـادري كما نص عليه الإمام عبد القادر الكيلاني (رضي الله عنه)

هذا النص الذي بين أيدينا من أوثق النصوص، التي جاءتنا عن الذكر القادري، ومن مصدر موثوق، وبسند عالي الصلة، وهو بمثابة العمود الفقري للطريقة القادرية. والنص يتضمن قول الإمام عبد القادر الكيلاني (رضي الله عنه) في كتاب الغنية: ج2. ص986، قال: (وأفضل ما يشتغل به في هذا الوقت وفي كل يوم وليلة من الأذكار أن يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، مائتي مرة. وسبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة، ولا إله إلا الله الملك الحق المبين مائة مرة، اللهم صّلِ على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي مائة مرة، وأستغفر الله العظيم الحي القيوم وأساله التوبة مائة مرة، وما شاء الله لا قوة إلا بالله مائة مرة، فذلك سبعمائة مرة من أنواع الأذكار).

وبهذا البيان، والنص الواضح، يكون على القادرية واجب الالتزام به، أما من حيث الوقت والحال، فكل وقت عند السادة الصوفية هو حال، وقوله (في هذا الوقت) أي من الحال الذي أنت فيه، ولا يستثنى من ذلك أحد، وندرج هذه الأوراد وأعدادها للتأكيد:

1. لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحي ويميت، هو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير. 200 مرة
2. سبحان الله العظيم وبحمده. 100 مرة
3. لا إله إلا الله الملك الحق المبين 100 مرة
4. اللهم صّلِ على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي 100 مرة
5. استغفر الله العظيم الحي القيوم وأتوب إليه 100 مرة
6. ما شاء الله لا قوة إلا بالله 100 مرة

المجموع= 700 مرة

الأذكار والأوراد المستحبة

بعدما ثبتنا الذكر القادري الأساسي، ترد عندنا أوراد أخرى مساندة ومكملة لها ومنها:

1. التعوذ من الشيطان الرجيم (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) والإكثار والمداومة عليه.
2. ورد البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) قبل الشروع بالكلام والأفعال وقبل كل حركة وسكنة، والمداومة عليه. وهناك أوراد خاصة للإمام (ﷺ) تسمى أوراد البسملة[1].
3. أوراد خاصة ليوم الجمعة: وهي الصلاة على النبيﷺ ألف مرة وكذلك التسبيح ألف مرة: سبحان الله. والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر[2].
4. أوراد يوم الاثنين والخميس: الصوم، والإكثار من الاستغفار. قال الإمام الكيلاني (ﷺ) (هما يومان ترفع فيهما الأعمال إلى الله ﷻ).
5. الأيام التي يستحب إحياؤها: وهي سبعة عشر يوماً، يوم عرفة، ويوم عاشوراء، ويوم النصف من شعبان، ويوم الجمعة، ويوما العيد، والأيام المعلومات وهي عشر ذي الحجة، والأيام المعدودات وهي أيام التشريق، وأكدها يوم الجمعة وشهر رمضان[3].
6. الليالي التي يستحب إحياؤها: وهي أربع عشرة ليلة في السنة، وهي أول ليلة من شهر محرم، وليلة عاشوراء، وأول ليلة من ليلة شهر رجب، وليلة النصف

---

(1) أوراد الإمام الكيلاني (ﷺ) في البسملة والتعوذ ثبتنا نصوصها في كتابنا صحيح الأذكار والأوراد والأدعية القادرية. ص25.

(2) المصدر السابق: ص36. وذكرنا فيه ساعة الإجابة من يوم الجمعة قبيل الغروب.

(3) الغنية: ج2. ص740.

منه، وليلة سبع وعشرين منه، وليلة النصف من شعبان، وليلة عرفة، وليلة العيدين، وخمس ليال منها في شهر رمضان وهي وتر ليالي العشر الأواخر[1].

أوراد النهار الخمسة وأوراد الليل الخمسة

1. أوراد النهار: من أذان الفجر، تلاوة القرآن والتسبيح أو التعلم والتعليم ومثله بعد صلاة العصر، وغيرها[2].
2. أوراد الليل: وقتها ما بين العشائين، ثم التهجد والقيام والوتر، ثم يسبح مائة تسبيحة، والاستغفار في السحر.

أوراد أيام الأسبوع

لكل يوم ورد مخصوص، هو عبارة عن مناجات وثناء على الله ﷻ، فيها الكثير من العبارات الذوقية والمعرفية، وعلى عدد أيام الأسبوع، وكل ورد لا يشبه ورد اليوم الذي يليه. أو سابقه، نشرنا نصوصها كاملة في كتابنا (صحيح الأذكار والأوراد والأدعية القادرية) ولطولها نعتذر عن تكرارها[3].

أنواع الأذكار

(ذكر) و(أذكار): وهو الإتيان بألفاظ يراد منها الترغيب فيها، ويطلق ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه، كما التلاوة وقراءة الأحاديث ودرس العلم والنفل بالصلاة[4].

---

(1) الغنية: ج2. ص740.

(2) صحيح الأذكار: ص40.

(3) المصدر السابق: من ص42-47. الاطلاع عليها، وهي أوراد مفيدة وفيها خير كثير لمن يداوم عليها.

(4) انظر: الكليات ص456 وما بعدها.

واصطلاحاً عند السادة الصوفية، إقامة الذكر المنصوص عليه من شيخه، وينقسم الذكر عندهم، إلى ذكر فردي وذكر جماعي، والذكر الفردي فيه أنواع، يبدأ من ذكر اللسان، وذكر النفس، وذكر القلب، وذكر الروح، وذكر السر، وذكر الخفي، وذكر أخفى الخفي.

وفي حقيقة الأمر، فإن السالك يستطيع التحكم بثلاثة أنواع، تبدأ من ذكر اللسان ثم ذكر النفس وذكر القلب، والأخيران هما من الذكر السري، بينما ذكر اللسان جهري، وما تبقى من الذكر فطرفه ليس بيد السالك، لأن ذكر الروح هو مشاهدة أنوار ما تتجلى به الصفات، وذكر السر هو الآخر مكاشفات ربانية من عالم الأسرار، وفي الذكر الخفي تتعاقب أنوار جمال الأحدية، أما ذكر أخفى الخفي فهو لأهل الحقائق يسبح فيه ببحر الحقيقة.

والأربعة الأخيرة لا تحكم للسالك فيها، فهي هبات من الله ﷻ، إلا أن شرطها اجتياز الثلاثة الأولى. مع الدوام عليها، إلى أن ترفع الحجب المانعة شيئاً فشيئاً عن الأربعة الأخيرة. وتفتح عيون البصائر في موقع القلب ليرى بها المكاشفات والمشاهدات.

فلو أراد منشئ تصنيفها فهي أربعة (غير إرادية) بمنة وهبة من الله تعالى للسالكين في طريق طلب القرب منه ﷻ، وفي هذا ليتنافس المتنافسون. والسبق لأهل الإخلاص والصدق.

إلا إن هناك ذكرا آخر، وهو الذكر الجماعي، إذ تشكل حلقات ذكر صغيرة أو كبيرة، يقودها شيخ متمرس صاحب حال، لأن للحال في هذا الموضع أهمية، ليفيض منه على الحاضرين، ويحسه الآخرون، ثم يبدأ الذكر، ودائماً ما يكون جهريا، ويبدأ بتلاوة القرآن الكريم، والإكثار من قول لا إله إلا الله.

ويتخلل الذكر أبواب في الثناء على الله، والمدائح النبوية، جلوساً أو وقوفاً، ويفيد هذا الذكر في استدعاء الوجد، ورفع الحال، والانسجام بين المرداء والشيخ، ويؤثر فيمن هم من خارج دائرة السلوك، وفي الذكر القادري، يمنع ضرب (الدرباشة) أو إدخال الحراب والسيوف في الجسد وغيرها، وما يطلق عليه باللهجة

العامية (الدروشة)، لأنه لم يرد عن سيدنا عبد القادر الكيلاني (ﷺ) وأولاده وأحفاده، ولا رواية واحدة تؤكد ذلك، وكلما كان الذكر وقلوب أهله متجهة إلى الله تعالى، كانت فيه بركة وخير كثير، وكلما كان القصد الاستعراضات وطلب إعجاب الحاضرين، ذهبت بركته، مثلما نجد اليوم عند بعض المتصوفة.

والذكر القادري ذكر شرعي، لا يذكر فيه إلا اسم الله تعالى ونبيه الكريم ﷺ، وبمحددات شرعية أجازها الشرع، ومن إجازاته استخدام الدف، كما فعل الأنصار عند قدوم رسول الله ﷺ إليهم من الهجرة، على أن تستبعد باقي الآلات مثل الوتريات والنفخيات وغيرها، وكان قد أجاز بعضهم مثلما علمت، من أن هناك جماعة... تضرب على الطبل، وهذا باب يحتاج إلى دليل.

إلا أنه يجوز استخدام الألحان في الصوت البشري مثل المقامات العراقية في التلاوة وغيرها، فهي من أبواب التجويد والتحسين في القراءة، وكذلك الحال بالنسبة لمضمون الذكر. يجوز تحسينه ويجوز تقديم أصحاب الأصوات الجميلة والشجية في هذه الحلقات للتأثير على قلوب السامعين.

أما الحركات أثناء السماع، فتركها أفضل، فالحركات في السماع هي من حظ أهل البدايات، بعضها نفسي غير إرادي، والبعض الآخر لاستدعاء الوجد وطلب التواجد، أما الشيوخ الكُمل فحالهم مع الله دائم لا يحتاجون فيه إلى وجد ولا تواجد، ولا استدعاء ولا حركات، وهو الحال الأتم والأصح.

الدعاء المستجاب والرقية الشرعية[1]

من الأثر الطيب، إن قتادة بن النعمان (ﷺ) أصيبت عينه في أُحد، حتى وقعت على أعلى خده، فجاء رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي امرأة أحبها وأخشى

(1) لم تكن لدينا النية في كتابة هذا الموضوع، لولا طلب أخ عزيز علينا (السيد شاكر بن موسى الكيلاني) رعاه الله بعنايته .

إن رأتني تعذرني، فأخذها، أي أخذ عينه بيده وردها إلى موضعها وقال: اللهم اكسه جمالاً فكانت عينه المردودة أحسن عينيه.

وفي رواية أخرى إن أعمى قال: يا رسول الله أدع الله أن يكشف لي عن بصري، قال الرسول ﷺ: انطلق فتوضأ ثم صل ركعتين، ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة، يا محمد، إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف لي عن بصري، اللهم شفعه فيّ.قيل خرج وقد كشف الله عن بصره.

وكثيرة هي معجزات النبي ﷺ في هذا الباب، فكان ﷺ إذا ما نفخ أو نفث أو بصق أو مسح بيده، على مكان فيه عطب أو ضر أو ألم، صلح وطاب.

وما يهمنا هنا الأحكام، من إن الالتجاء إلى الرسول ﷺ في هذه الأحوال جائز، وثانيهما: من إن الرسول الكريم ﷺ كان يعالج الأمر بإذن من الله ﷻ. وثالثهما: التوجه إلى الله ﷻ بالنبي الكريم محمد ﷺ.

نعود فنقول إن الناس الذين يلتجئون إلى المشايخ والصالحين، أن لا يحيلوا الأمر لأنفسهم، وعلى المشايخ فهم الأمر على هذا النحو الشرعي، من أن الرقية باب من أبواب الدعاء.

وإجابة الدعاء، له ممهدات، منها الصلاح والتقوى والعبادة، وإخراج الصدقات قليلها أو كثيرها في السر أو العلانية، ولو بشق تمرة، ومن لم يجد فالكلمة الطيبة صدقة، والتهجد والقيام في الليل، والاستغفار في الأسحار، وإطعام الطعام، وصلة الأرحام، وأن لا يجف الفم واللسان من الذكر[1].

كل هذه الممهدات ضرورية ليكون الشيخ مجاب الدعوة.

وليعلم القارئ الكريم: إن الدعوة مجابة في كل الأحوال، بعهد من رب العزة ﷻ، لقوله تعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ سورة غافر -60-، وقوله ﷻ ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾ سورة البقرة -186-.

(1) انظر: شرح الشفا للقاضي عياض- شرح الملا علي القاري- دار الكتب العلمية: ج1. ص 650.

والأصل في ذلك كما هو ظاهر، إن دعاء المسلم مجاب، ولا يحتاج إلى واسطة في ذلك، ولا بأس من الطلب إلى المشايخ والصالحين من باب حسن الظن بدينهم، وتوقيراً للدين نفسه، والدعاء بظاهر الغيب لأخيك المسلم من المستحبات ووصلنا الكثير من الأثر الطيب، ما يفيد في هذا المقام:

1. في الكرب: قال النبي ﷺ: (من قرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة عند الكرب أغاثه الله تعالى) رواه ابن أنس عن أبي قتادة ﷺ.

وكان ﷺ إذا كربه أمر قال: (يا حي يا قيوم برحمتك استغيث) رواه الترمذي عن أنسٍ (ﷺ).

وكان ﷺ يدعو عند الكرب (لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب العرش الكريم).

رواه أحمد والبخاري ومسلم، عن ابن عباس (ﷺ).

وعن ابن أبي الدنيا، قال هذه كلمات الفرج.

2. المخرج من الضيق: قال النبي ﷺ (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل همٍ فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب) رواه أبو داود وابن ماجه عن ابن عباس (رضي الله عنهما).

3. طلب الكفاية: قال النبي ﷺ (قل هو الله أحد والمعوذتين، حين تمشي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه عن عبد الله بن حبيب (ﷺ).

4. الهم والحزن: كان الرسول ﷺ إذا صلى مسح بيده اليمنى على رأسه وهو يقول: (بسم الله الذي لا إله غيره، الرحمن الرحيم، اللهم اذهب عني الهم والحزن) رواه الخطيب عن أنس (ﷺ).

5. البلاء: قال النبي ﷺ (ألا أخبركم بشيء، إذا نزل بأحدكم كربٌ أو بلاء من أمر الدنيا، دعا بها فيغفر عنه. دعاء ذي النون "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" رواه الحاكم عن سعدٍ (ﷺ).

6. الوقوع في ورطة: قال النبي ﷺ: (إذا وقعت في ورطة فقل: "بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" فإن الله يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء) رواه ابن السني عن أنس (رضي الله عنه).

7. رقية جبرائيل (عليه السلام): قال النبي ﷺ (ألا أرقيك بُرقية: رقاني بها جبرائيل تقول: (بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داءٍ يأتيك، ومن شر النفاثات في العُقد، وشر حاسدٍ إذا حسد) ترقي بها "ثلاث مرات" رواه ابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

8. رقية النبي ﷺ عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال: مرضت فكان رسول الله ﷺ يعوذني فقال "بسم الله الرحمن الرحيم أُعيذك بالله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد من شر ما تجد" ثم قال: تعوذ بها فما تعوذت بمثلها" رواه ابن السني عن عثمان (رضي الله عنه).

9. رقية المريض: كان ﷺ: (إذا أتى مريضاً أو أتي له قال "أذهب البأس رب الناس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يُغادر سقماً" رواه البخاري ومسلم وابن ماجه عن عائشة (رضي الله عنها).

10. للألم: قال النبي ﷺ (ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل "بسم الله" ثلاثاً وقل سبع مرات "أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأُحاذر" رواه أحمد ومسلم وابن ماجه عن عثمان بن أبي العاص الثقفي (رضي الله عنه).

قال النبي ﷺ (ضعي يدك اليُمنى على ما يُؤذيك وقولي بسم الله اللهم داوني بدوائك واشفني بشفائك، واغنني بفضلك عمن سواك وأحذر عني أذاك) رواه الطبراني عن ميمونة بنت أبي (رضي الله عنها).

11. الحُمى: كان ﷺ يُعلمهم من الحُمى والأوجاع كلها أن يقولوا (بسم الله أعوذ بالله العظيم من شر كل عرف نعار، ومن شر حر النار) رواه أحمد والترمذي والحاكم عن ابن عباس (رضي الله عنه).

12. الدَين: قال النبي ﷺ (ألا أُعلمك كلماتٍ لو كان عليك مثل جبل صبير دين أداه الله عنك قل "اللهم أكفني بحلالك عن حرامك، وأَغنني بفضلك عمن سواك" رواه أحمد والترمذي والحاكم عن علي (رضي الله عنه).

13. الفقر: قال النبي ﷺ: (من قرأ قل هو الله أحد حين يدخل منزله نفت الفقر عن أهل المنزل والجيران) رواه الطبراني عن جرير (رضي الله عنه).

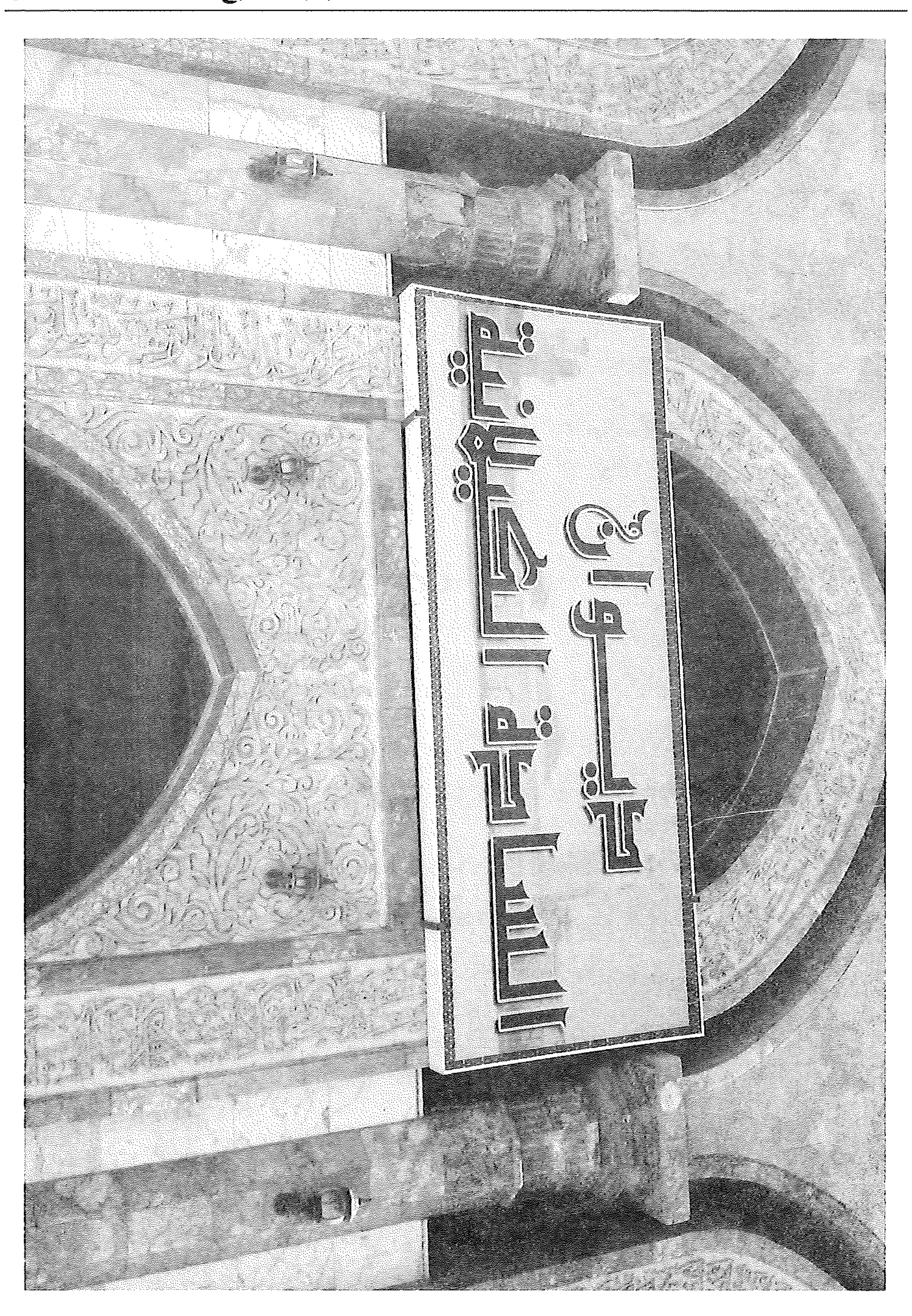
هذا وهناك الكثير من الأدعية تصلح لكل باب من أبواب الدنيا، وهمومها وحاجاتها، يحتاجها المسلم، مثلما يحتاجها الشيخ، والدعاء باب من أبواب العبادة فيه خير كثير.

الباب السابع/ أسماء الله الحسنى

1- عالم الأرواح والعلوم

2- التحقق والتخلق

3. قصيدة أسماء الله الحسنى

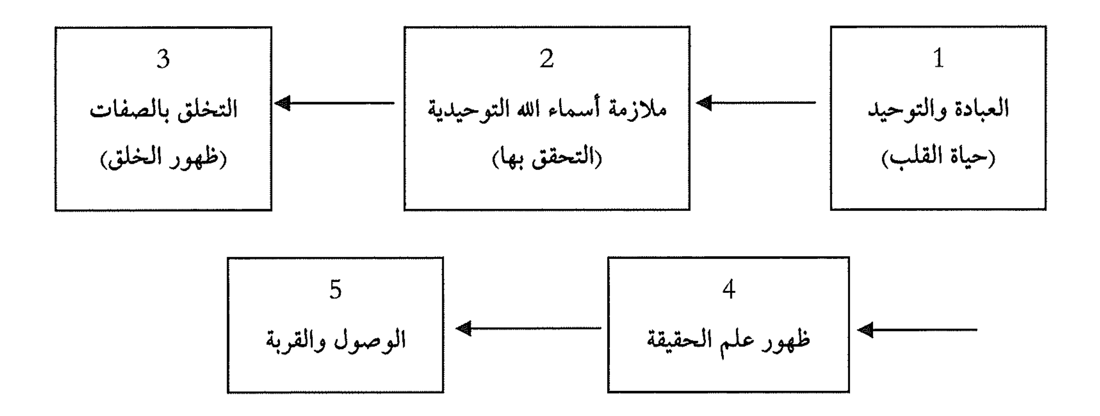


أسماء الله الحسنى

والأصل فيه قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ سورة الأعراف -180- وقوله تعالى ﴿أَيًّا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ سورة الإسراء-110- وقوله تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ سورة طه-8-.

وحديث الرسول الكريم ﷺ: (إن لله ﷻ تسعة وتسعين أسماً من أحصاها دخل الجنة)، فأسماء الله الحسنى أصل متين في هذا الدين، وعن هذا الأصل أخذ الإمام عبد القادر الكيلاني (رضي الله عنه) وركز عليه تركيزاً ملحوظاً، وله فيه منهج رائد تتلمسه في كتابه سر الأسرار قال: (رجوع الإنسان ووصوله إلى وطنه وهو القربة، بعلم الحقيقة) ثم يعرف علم الحقيقة (وهو التوحيد... في الدنيا بسبب عبادته... وهذا الشيء يحصل بعد حياة القلب بنور التوحيد وملازمة أسماء التوحيد). فهي المدخل إلى علم الحقيقة، وعلم الحقيقة أسنى العلوم عند السالكين، لذا نلخصها بالآتي:

1. ذكرنا مراراً، من أن (الإحصاء)، بنص حديث رسول الله ﷺ، ليس المقصود به العد والحفظ فحسب، بل التحقق بها. والاتصاف بصفاتها، وبحسب الاستعداد والقابلية لكل واحد.
2. والأسماء الحسنى، باب من أبواب علم الحقيقة من عالم القربة.
3. الطريقة القادرية ركزت على (التوحيد)، فدائماً ما تؤكد على (أسماء التوحيد) أي التي لها تعلق بحقائق التوحيد، بالرغم من كون الموحد ينظر إلى باقي الأسماء نظرة توحيدية أيضاً، إلا أن للأسماء اختصاصات متعلقة بالصفات.
4. النتائج المترتبة على الإحصاء والتحقق بالأسماء:



هكذا هو الأمر فالعبادة والتوحيد تنوران القلب (حياة القلب)،فإذا ما تحقق بعدهما بأسماء التوحيد ظهر علم الحقيقة الموصل إلى القربة وهو الوطن الأصلي عند أهل الحقائق وهو الجنة بتعبير الآخرين. هذا الاختصار تعمدناه، لاعتماده كمقدمة لكل ما كتب لحد الآن، في هذا الباب.

ومن هذه المقدمة التبسيطية نصل إلى عالم الأرواح، المتعلق بالعلوم ومعاملتها لأسماء الله الحسنى، فنصل بالمريد والسالك ونأخذ بيده إلى عالم القربة، الذي هو غاية الغايات.ونبدأ: "**عالم الأرواح والعلوم**".

ـ 1 ـ الروح الجسماني وعلم الشريعة

الروح الجسماني[1]: الأرواح خلقت في الوطن الأصلي في أحسن تقويم، ثم ردت إلى درك أسفل الكائنات، وهي الأجساد ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ سورة التين -5- وجرى ذلك في عالم اللاهوت.

عالم اللاهوت: ويسمى حجلة الأنس، وهو وطن الأرواح الأول الذي خُلقت فيه.

(1) الروح المحمدية أول الكائنات وأصلها، ومنها خلق الله الأرواح، لذا فإن الرسول محمد ﷺ هو أبو الأرواح، كما آدم أبو الاجساد.

الوطن الأصلي: الوطن الأول الذي جاءت منه الأرواح وهو بمثابة القرب، وكل الأرواح في حنين دائم للعودة إلى وطنها، وقيل هو وطن الفناء لقرب الفاني من الله تعالى.

علم الشريعة: هو العلم المفروض على كل مسلم ومسلمة، وهو علم الظاهر على الجوارح. وله محددات وهيئات.

هذه المقدمة لفهم جدول الأرواح[1] القادرية الأول.

	الحانوت	المكان	المتاع	المعاملة	الربح
1-	الروح الجسماني	البدن	علم الشريعة	المفروضات التي أمر بها الله تعالى من الأحكام الظاهرة	الولاية المكاشفة والمشاهدة

فيبدأ السالك بـ (لا إله إلا الله)[2] يرددها ليل ونهار حتى لا يجف لسانه منها، مع التمعن بالفهم والتذوق بالقلب، وأول علاماتها أن يبدأ وكأنها ثقيلة وينتهي إلى الاستلذاذ بها ويحس بخفتها على اللسان، ويرافق هذا الذكر الدائم، الالتزام بعلم الشريعة، علماً وحالاً، بالتفقه بالدين بقدر المستطاع والمتاح، مع الالتزام بالصلاة والصوم والسنن والنوافل والتهجد والقيام. ولأن معاملة الشريعة من المفروضات التي تقع على الجوارح، لذا كان اختصاصها البدن والروح الجسماني، وربح هذا

(1) نؤكد على أن الطريقة القادرية، لا تتعامل مع الأنفس أبداً، وكل نفس لديها هي نفس أمارة بالسوء، والمطلوب مجاهدتها إلى آخر يوم في الحياة الدنيا، وهي عدوة الإنسان وشريكة الشيطان، أما النفوس الأخرى مثل المطمئنة، وراضية ومرضية، فهي صفة النفس المسلم عند الموت وعودتها إلى بارئها، بل دعا الإمام الكيلاني (ﷺ) إلى ذبح النفس المطمئنة، ويقصد به موت النفس.

(2) لعل السائل يقول: إذا داوم على (لا إله إلا الله) فأين يقع باقي الذكر القادري، نقول العدد (700) من الذكر القادري ثابت والمواظبة عليه كل يوم، أما (لا إله إلا الله) فهي ملازمة له حتى لا يجف لسانه منها، مع العبادة.

الباب وهو من أهم الأبواب بالنسبة للسالك، بل ولا بد منه، سيرى بنفسه المكاشفات والمشاهدات القلبية، وهو ربح هذا المقام.

ـ 2 ـ الروح الرواني[1] وعلم الطريقة

الروح الرواني: هو نور من عالم الملكوت يكسو الروح الجسماني.

عالم الملكوت: عالم الأرواح والنفوس ويسمى بعالم الغيب أيضاً.

علم الطريقة: الطريقة هي السير بطريق طلب الله تعالى، والعلم المختص بها يسمى علم الطريقة وهو علم الباطن بما يظهر على القلب من أنوار وأحوال وغيرها.

يقول الإمام الكيلاني في سر الأسرار: (ثم أنزلهم بهذه الكسوة إلى عالم الملكوت ثم كساهم بنور الملكوت وهو الروح الرواني).

	الحانوت	المكان	المتاع	المعاملة	الربح	أسماء الله
2-	الروح الرواني	القلب	علم الطريقة	الاشتغال بأسماء الله الحسنى التوحيدية	حياة القلب ومشاهدته في عالم الملكوت - جنة النعيم	(الله) الواحد الأحد الفرد الصمد

وعلى السالك والمتفكر، أن يعتقد أن هذه العلوم تتوقف على الاستعداد والقابلية، وإن هذه القوابل موجودة في الإنسان، منذ البداية وهو لا زال في عالم الأرواح، فنور المعرفة وعلوم الباطن ومنها علم الطريقة موجودة، وكل ما يحتاجه هو التذكير والتنبيه بأسماء الله الحسنى، ولأن هذه العلوم من الباطن، كان

---

(1) الروح الرواني أو السرياني أو في بعض النسخ الروائي وهو شيء واحد، ويقصد بالسرياني، الساري في الأنحاء كلها.

اختصاصها القلب، والقلب يصدأ، وعلى السالك جليه بأسماء الله الحسنى. وإن اسم (الله)، اسم ذات جامع لكل الحقائق، ولو اكتفى السالك به لكفاه، حتى إن بعض المشايخ الكبار الواصلين، ذهبوا في ذلك إلى مذاهب، منها:

1. ملازمة اسم (الله) من البداية إلى النهاية. لأنه الاسم الجامع.
2. ملازمة اسم (الله الله)، بهذا التكرار الثنائي، يقصد بالأول اسم الذات، والثاني له مقاصد عدة، منها (الله هو الله) (والله لا إله إلا الله) وغيرها من المقاصد التي يطول الحديث فيها، وعليها يتوقف الفهم المكرر له.
3. ملازمة اسم (الله) ويتوجه بالمعنى إلى أي صفة لله يقصدها. مع الحذر بعدم الإجادة.

ثم نأتي إلى اسم (الواحد الأحد)[1]، منهم من أفردها لضمان التحقق أولاً في كل واحد منهما، ثم يعود ليجمع، ومنهم من اجتهد في جمعها من البداية، ونوضح المعنى في ذلك، لأن الوصول يتوقف على فهم المعنى والتذوق، أما ترديد الكلمات والأسماء دون معرفة معناها ودلالتها فتحد وتضعف من فتح الأنوار في بيت القلب.

(الأحد- الأحدية): اسم ذات توحيدي يقطع ما عداه.

قال الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإخلاص-1-، والأحدية لله تعالى، وهي نفي كل شريك له، كل كثرة في اختصاص الإله وغيره، ولها تعلق (بالواحد).

(الواحد): اسم ذات توحيدي، فيه إشارة إلى إن الحق واحد، وإنه إله واحد، فهو الواحد في صفاته.

و(الأحد) تفرد إلى الذات، والواحدية تفرد في الصفات ومنها الوحدانية.

---

(1) اطلعت على كتاب اعتذر عن ذكر عنوانه ومؤلفه، قال (أسماء التوحيد سبعة أصلية: لا إله إلا الله، هو، حي، واحد، عزيز، ودود، والفرعية حق، قهار، قيوم، وهاب، مهيمن، باسط). نقول فيها الصحيح، وداخلتها أسماء أخرى، وفاته أعظم اسم هو (الله).

فإذا جمع (الواحد الأحد) فهو توحيد للذات الإلهية والصفات وبما يحتمله فهم المريد وقابليته، وإذا ما تم التفريق أولاً ثم الجمع ثانياً، فلا يقدح في استعداد السالك.

(الفرد): فإذا ما تحقق السالك في اسم (الله) ثم (الأحد والواحدية)، يأتي الفرد ليكمل الإشارة التوحيدية، والفرد من التفرد أو من تفرد بشيء، والله تعالى تفرد بواحديته، ومن هنا يأتي المعنى والفهم، بما لا يخرجه من دائرة التوحيد.

(الصمد- الصمدية): يشير إلى توجه الوجود إليه، والأخرى بالسالك عند التحقق بهذا الاسم أن يتوجه بقلبه. وقد ذكر الإمام البيهقي (رحمه الله تعالى): الحديث النبوي الشريف، إن الرسولﷺ، تشهد وقال: (أشهد إنك فرد أحد صمد)، وبهذا التشهد العظيم جمع الأسماء التوحيدية لهذا الباب كما أشرنا إليها. على أن يذكر السالك الصمد بكثير من الافتقار إليه والاستغناء به، فهو أنفع في الفهم، وأسرع في قطع المراحل.

ـ 3ـ الروح السلطاني وعلم المعرفة

هذا المقام من المقامات السامية الرفيعة، واختصاصها الفؤاد، والفؤاد بصيرة تفتح في القلب، وهو من اختصاص أهل الولاية والواصلين:

الروح السلطاني: نور تُكسى به الروح بين الحرمين، بين عالم اللاهوت وعالم الجبروت. وهو نور الجبروت.

عالم الجبروت: عالم أوسط بين اللاهوت والملكوت وهو عالم تجري فيه الأحكام الإلهية، لذا سمي جبروتي.

المعرفة: عالم العارفين بالله من أوليائه، بما حدثتهم أسرارهم من الحق.

	الحانوت	المكان	المتاع	المعاملة	الربح	الأسماء
3-	الروح السلطاني	الفؤاد	المعرفة	ملازمة الأسماء الأربعة المتوسطة	يعد من العارفين بالله- جنة الفردوس	الحي القيوم، ذو الجلال والإكرام هو (الله)

هبة رسول الله ﷺ للمسلمين بتكرار ذكر (يا أرحم الراحمين) و(يا ذا الجلال والإكرام) في كل الأحوال، ومن المشايخ كما وجدنا في (الواحد الأحد) من يذهبون إلى الفصل بين الحي والقيوم، ومنهم من يدمج بحسب القابلية والاستعداد. أما في (الجلال والإكرام) فالفهم يركز على الجلال والجمال، وكل جلال دون جمال، جلال مطلق، بما لا يطيقه البشر، وكذا الحال بالنسبة للإكرام.

ومن علامات المنتهي من هذا المقام، المشايخ الذين لا يؤثر فيهم شيء، لا بلاء ولا نعمة، ولا يحركهم سماع ولا وجد، ولا دنيا ولا خلق.

ـ 4 ـ الروح القدسي وعلم الحقيقة

وهو نهاية سلوك السائرين، ومنتهى مقامات العارفين، خاص بأهل الحقائق والتحقيق، ومقام القرب:

الروح القدسي: نور من الحق تعالى تُكسى به الروح في عالم اللاهوت. أي عالم الأرواح والنفوس.

علم الحقيقة: مجمع العلوم، العلم والمعرفة والحقائق، وخلاصة علم الظاهر والباطن، يتحدث عن الحق وكأنه يشاهد الحقائق بعيني رأسه، وفيه إطلالة على الأقدار وما ستئول إليه الأمور، وصاحب هذا المقام يكون قد عاد من فنائه الكلي، بالبقاء به، فوجوده من الله وبالله لله، وكل غايته من العودة، تعريض الخلق للخير

وأخذهم إلى باب الله، والناس في جذب دائم إليه، وهو لا فضول له في الدنيا ولا للخلق ولا ما في أيديهم. وهو مقام الأنبياء والأقطاب.

	الحانوت	المكان	المتاع	المعاملة	الربح	الأسماء
4-	الروح القدسي	السر	علم الحقيقة	ملازمة أسماء التوحيد الأربعة الأخيرة	ظهور طفل المعاني- والنظر بعين السر	العزيز القهار الوهاب الباسط

والأسماء معلومة، إلا إن وردها غير معلوم، ووقتها وحالها فيه سر لا يعلمه إلا الله تعالى، ولأننا لا ندعي مقاماً فنترك شرحها لأهل المقامات السنية، ومن ادعى مقاماً لنفسه لم يتحقق به سُلب حاله، وأعوذ بالله تعالى من سلب الحال، والحمد لله رب العالمين.

(التحقق والتخلق)

يبقى أن نشير إلى إن التحقق في كل اسم، قد يطول أو يقصر، هذا متوقف على الشيخ المرشد وقابلية المريد، فإذا طبع الاسم في القلب، ظهر على الجوارح وفي الأخلاق، فلا ينتقل المريد ولا يستعجل عند بداية الظهور، بل يداوم عليه، حتى يكون تخلقه بذلك التحقق وكأنه عادة له لا فكاك منها، ولو أراد هو ذلك لا يستطيعه، وهو التحقق الصادق. فيكون تحققه فوق ما يريد.

فنسخ الصفات القديمة المذمومة، بصفات متحققة بأسماء الله الحسنى، يشبه ترك عادات سيئة، واكتساب عادات حسنة، فيفعلها رغماً عنه، وهو التحقق الكامل. وبغير هذا الحال، عليه العودة وتكرار الحال.

تنبيه

لمن لاحظ جداول الأرواح، سيعلم إن مفاتيحها على التوالي (لا إله إلا الله) ثم (الله) ثم (هو) ثم (العزيز) وإلى ذلك نلفت انتباه كل سالك فطن محب.

قصيدة أسماء الله الحسنى

للإمام عبد القادر الكيلاني (رضي الله عنه)[1]

شرعت بتوحيد الإله مُبسملاً ... سأختمُ بالذكرِ الحَميد مُجملاً

وأشهدُ أن الله لا ربَّ غيرهُ ... تَنَزهَ عَن حَصرِ العُقولِ تكمُّلاً

وأرسَلَ فينا أحمد الحق مقتدى ... وأَظهر فينا العِلمَ والحِلمَ والولا

فيا طالباً عزاً وكنزاً ورفعةً ... من الله فادعُه بأسمائِهِ العُلا

وقل بانكسار بعد طهر وقربةٍ ... فأسألك اللهم نصراً معجلاً

بحقك يا رحمن بالرحمة التي ... أحاطت فكن لي يارحيم مجملاً

ويا مالك قدوس قدس سريرتي ... وسلم وجودي يا سلام من البلا

ويا مؤمن هب لي أماناً محققاً ... وستراً جميلاً يا مهيمن مسبلاً

عزيزٌ أزل عن نفسي الذل واحمني ... بعزك يا جبار ما كان مُعضلا

وضع جملة الأعداء يا متكبر ... ويا خالق خذ لي عن الشر معزلا

ويا بارئ النعماء زد فيض نعمة ... أفضت علينا يا مصور أولا

رجوتك يا غفار فاقبل لتوبتي ... بقهرك يا قهار شيطاني اخذلا

وهب لي يا وهاب علماً وحكمة ... وللرزق يا رزاق كن لي مسهلا

وبالفتح يا فتاح نور بصيرتي ... وعلماً أنلني يا عليم تفضلا

---

(1) هذه القصيدة الطويلة للإمام الكيلاني (رضي الله عنه) لها أهميتها عند مشايخ القادرية لما فيها من خير وبركة عند قراءتها في محافل الذكر، ففيها أسماء الله الحسنى، مع التنزيه والثناء الكثير، كما ويشير في خاتمتها إلى أصله الشريف.

ويا قابض اقبض قلب كل معاند   ويا باسط ابسطني بأسرارك العُلا

ويا خافض اخفض قدر كل منافقٍ   ويا رافع ارفعني بروحك أسالا

سألتك عزا يا معز لأهله   مذل فذل الظالمين مُنكلا

وعلمك كاف يا سميع فكن إذن   بصيراً بحالي مصلحاً متقبلاً

ويا حكم عدل لطيف بخلقه   خبير بما يخفى وما هو مُجتلا

فحلمك قصدي يا حليم وعمدتي   وأنت عظيم عُظم جودك قد عَلا

غفور وستار على كل مذنب   شكور على أحبابه كن موصلا

على وقد أعلى مقام حبيبه   كبير كثير الخير والجود مجزلا

حفيظ فلا شيء يفوت لعلمه   مُقيت يُقيت الخلق أعلى وأسفلا

فحكمك حسبي يا حسيب تولني   وأنت جليل كن لخصمي منكلا

إلهي كريم أنت فأكرم مواهبي   وكُن لعدوي يا رقيب مُجندلاً

دعوتك يا مولى مُجيباً لمن دعا   قديم العطايا واسع الجود في الملا

إلهي حكيم أنت فاحكم مشاهدي   فودك عندي يا ودود تنزلا

مجيد فهب لي المجد والسعد والولا   ويا باعث ابعث جيش نصري مهرولا

شهيد على الأشياء طيب مشاهدي   وحقق لي يا حق المواردِ منهلا

إلهي وكيل أنت فاقض حوائجي   ويكفي إذا كان القوي موكلا

متين فمتن ضعف حولي وقوتي   أغث يا ولي من دعاك تبتلا

حمدتك يا مولى حميداً موحدا   ومحصي زلات الورى كُن مُعدلا

إلهي مُبدي الفتح لي أنت والهدى   مُعيد لما في الكون إن باد أو خلا

سألتك يا محيي حيا هنيئة   مميت أمت أعداء ديني مُعجلا

ويا حي أحيِ ميت قلبي بذكرك الـ   قديم وكُن قيوم سرى موصلا

ويـا واجـد الأنـوار أوجـد مـسرتي ويـا ماجـد الأنـوار كُـن لـي مُعـولا

ويـا واحـد مـا ثـم إلا وجـوده ويـا صمـد قـام الوجـود بـه عـلا

ويـا قـادر ذا البطـش أهلـك عـدونا ومقـتدر قـدر لحُـسادنا البـلا

وقـدم لـسري يـا مُقـدم عافنـي مـن الـضر فـضلاً يـا مـؤخر ذا العـلا

وأسـبق لنـا الخـيرات أول أولاً ويـا آخـر اخـتم لـي أمـوت مُهـللا

ويـا ظـاهر أظـهر لـي معارفـك التـي ببـاطن غيـب الغيـب يـا باطـن ولا

ويـا والٍ أول أمرنـا كـل ناصـح ومُتعـال أرشـده وأصـلح لـه الـولا

ويـا بـر يـا رب البرايـا وموهـب الـ ـعطايـا ويـا تـواب تُـب وتقـبلا

ومنتقـم مـن ظالمـين نفوسـهم كـذاك عفـو أنـت فأعـف تفـضلا

عطـوف رؤوف بالعـباد ومـسعف لمـن قـد دعـا يـا مـالك الملـك أجـزلا

فالبـس لنـا يـا ذا الجـلال جـلالةً فجـودك بالإكـرام مـا زال مهـطلا

ويـا مقـسط ثبـت علـى الحـق مُهجتـي ويـا جامـع اجمـع لـي الكمـالات فـي المـلا

إلهـي غنـي أنـت فاذهـب لفاقـتي ومغـنٍ فاغـن فقـر نفـسي لمـا خـلا

ويـا مـانع امنعنـي مـن الـذنب واشفـني مـن الـسوء ممـا قـد جنـيت تعـملا

ويـا ضـار كُـن للحاسـدين موبخـا ويـا نافـع انفعنـي بـروح مُحـصلا

ويـا نـور أنـت النـور فـي كـل مـا بـدا ويـا هـادِ كُـن للنـور فـي القلـب مُـشعلا

بـديع البرايـا أرتجـي فـيض فـضله ولـم يبـق إلا أنـت بـاق لـه الـولا

ويـا وارث اجعلنـي لعلمـك وارثـا ورشـدا أنلـني يـا رشـيد تجـملا

صـبور وسـتار فوفـق عزيمـتي علـى الـصبر واجعـل لـي اختيـارا مُـزملا

بأسـمائك الحـسنى دعوتـك سيـدي وآياتـك العظمـى ابتهلـتُ توسـلا

فأسـألك اللهـم ربـي بفـضلها فهـيئ لنـا منـك الكمـال مُكـملا

وقابـل رجـائي بالرضـا منـك واكفنـي صـروف زمـانٍ صـرت فيـه محـولا

اغـث واشـفني مـن داء نفـسي وأهـدني إلـى الخـير واصـلح مـا بعقلـي تخـللا

إلهـي فـارحم والـدي وإخوتـي ومـن هـذه الأسـماء يدعـو مُرتـلا

أنـا الحسنى الأصـل عبـد القـادرِ دُعيـت بمحيـي الـدين فـي دوحـة العُـلا

وصـل علـى جـدي الحبيـب محمـد بأحلـى سـلام فـي الوجـود وأكمـلا

مـع الآل والأصـحابِ جمـعاً مؤيـداً وبعـدُ- فحـمدُ الله ختـماً وأولا

الباب الثامن/ المعرفة

1- المعرفة عند الصوفية

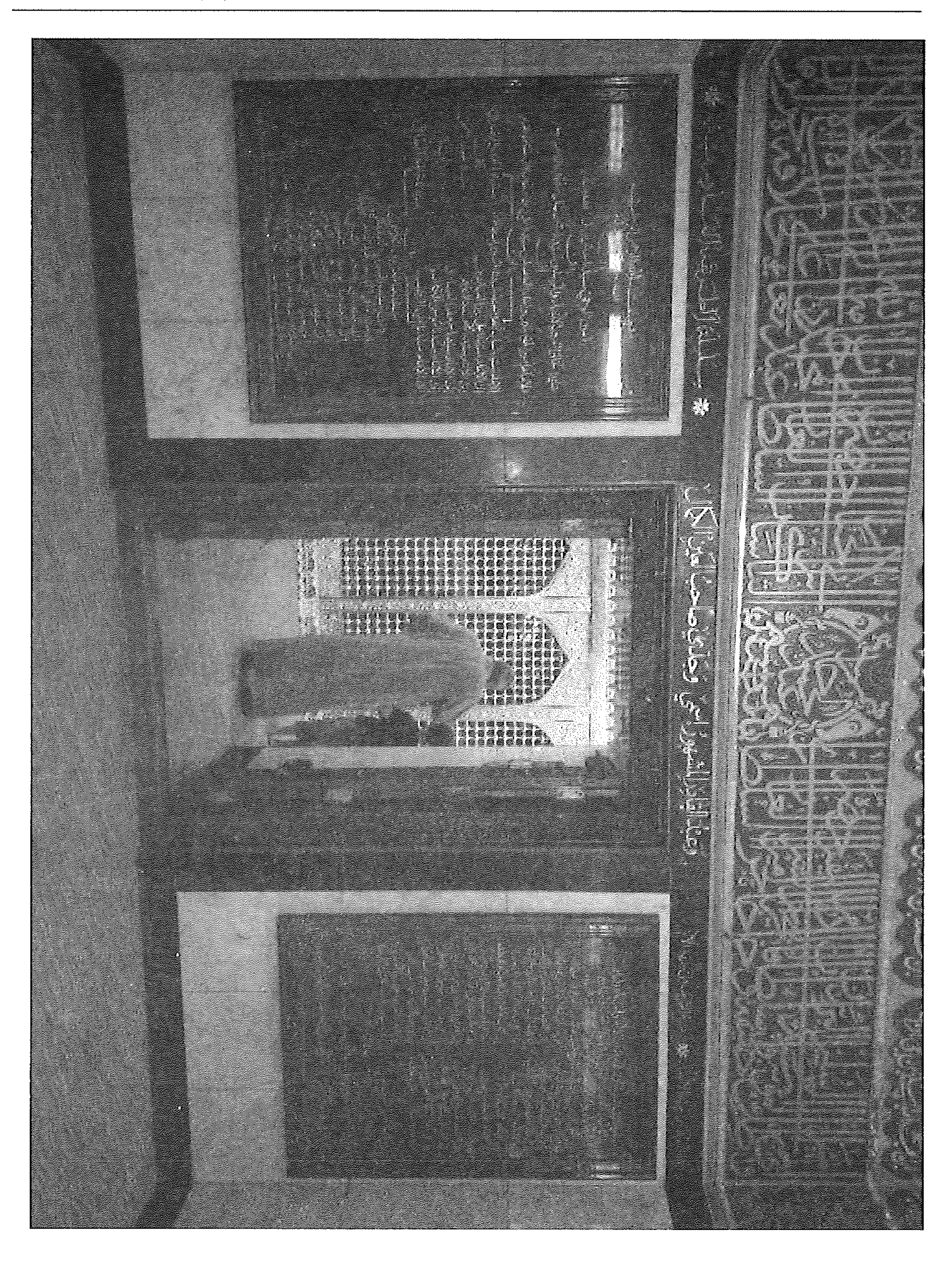
2- المعرفة والفناء

3- المعرفة عند الإمام عبد القادر الكيلاني (رضي الله عنه)

4- المعرفة والدرجات

5- المعرفة والذوق

6- المعرفة القادرية



صورة رقم (9) ضريح الإمام عبد القادر الكيلاني

الباب الثامن

المعرفة

مصطلح المعرفة، متشعب ومتنوع، عند أهل اللغة وعلم الكلام والعقائد، ويمكننا اختصاره بأنه (التصور) في اللغة، بينما ذهب الفقهاء إلى أن المعرفة (فرض عين) بالدليل الإجمالي ولا مخرج عنه لأحد من المكلفين، وبالتفصيل (فرض كفاية) لا بد أن يقوم به البعض، وقالوا المعرفة أول فرض فرضه الله على خلقه في قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ سورة الذاريات/56 وقيل المراد من ذلك المعرفة الإيمانية لا معرفة حقيقية. أما أصحاب علم الكلام فتشعبوا في الفروق بين العلم والمعرفة، وهو فعلاً فرق قائم، لذا لا بد من الوقوف عليه، كمدخل لمسألتنا، من خلال هذا الجدول التبسيطي:

جدول الفروق بين العلم والمعرفة[1]

العلم	المعرفة
1. يقال لحصول صورة الشيء عند العقل.	1. يقال لتصور شيء.
2. للاعتقاد الجازم المطابق.	2. لأنواع المشاهدات والمكاشفات
3. للإدراك الكلي وللإدراك المركب.	3. تقال للإدراك المسبوق بالعدم، وللإدراك الجزئي والبسيط.
4. يقال لما يدرك ذاته.	4. يقال لما تدرك آثاره ولا يدرك ذاته.
5. يقال فيما يعرف وجوده وجنسه وكيفيته وعلته.	5. يقال فيما لا يعرف إلا كونه موجوداً فقط.
6. في التفكير والتدبر والعيان وغيره.	6. يقال فيما يتوصل إليه بتفكير وتدبر

(1) هذا الجدول مستنبط من معجم الكليات، فهو بذلك ينحو منحى لغويا كلاميا، ولا يسحب على مفهوم المعرفة عند أهل التصوف. إنما أردنا به الوقوف على الأصل اللغوي للمعرفة.

المعرفة عند السادة الصوفية

المعرفة هي: إدراك ما له وما عليه[1]، وإنها أول المنازل العشرة التي يشتمل عليها قسم نهاية المنازل. وقسموا المعرفة إلى معرفة النفس ومعرفة الرب، استناداً إلى الحديث النبوي الشريف "من عرف نفسه عرف ربه"، وإن هذه المعرفة هي غاية الغايات.

وذكر القاشاني عن النهايات قال: فأول المنازل العشرة التي يشتمل عليها هذا القسم المسمى بالنهايات: المعرفة ثم الفناء ثم البقاء... الخ[2] أما مقام الإحسان فهو مقام التحقق بمعرفة الربوبية والعبودية.

وهكذا يتبين لنا الأمر، إن المعرفة مقترنة بمقام الإحسان ونهاية غاية السالكين، وإن المعرفة هي معرفة النفس ومعرفة الرب[3].

أما المعرفة عند الكمشخانوي وهو من المتأخرين قال: المعرفة، هي الإحاطة بعين الحقيقة بالحقيقة [4] على ما هي عليه، وقسمها:

1. في البدايات: معرفة الحق بالنعوت والصفات.
2. في الأبواب: وجدان ذلك المعتقد بقوة اليقين وصفاء العقل.
3. في المعاملات: بناؤها على اليقين العلمي القريب من العيني.
4. في الأخلاق: معرفة النعوت الكمالية والأخلاق الإلهية.
5. في الأصول: تنور السر بمعرفة صحة الطريق.
6. في الأدوية: حصول العلم اللدني والحكمة الإلهية بالبصيرة والإلهام.

---

(1) هذا القول للإمام الجنيد ونقله القاشاني في لطائف الأعلام. ص422.

(2) المصدر السابق: ص450.

(3) سنجد فرقاً عن هذا التعريف عند الإمام الكيلاني (ﷺ) بعد قليل.

(4) الكمشخانوي- جامع الأصول: ص426 غامر الكمشخانوي بهذا الرأي بقوله (الإحاطة بعين الحقيقة) لأن العبد مهما وصل لا يحيط بالحقيقة الكلية فكيف يحيط بعين حقيقة، لذا أسعفه الحظ في الفقرة (9) بالتوضيح.

7. في الأحوال: العيان الموجب للذوق والعشق.
8. في الولايات: التمكن من شهود الذات وراء أنوار الصفات.
9. في الحقائق: شهود الحق بالحق مع بقية الخفاء المنور بنور الذات وشعاع شمس الوجه الأبدي.

وعرف الإمام القشيري المعرفة بأنها: نور ومكاشفة باطنية بقلبك على الحقيقة، فلا تحتاج معها إلى وصف للأشياء، لذلك قيل المعرفة هجوم الأنوار على الأسرار، أو كشف لا يدركه وصف، ونعت لا يخلفه كيف[1].

أما الإمام الخراز وهو من الرعيل الأول من الصوفية، قال: المعرفة يعني من عرف الله ﷻ، بكمال القدرة، أسقط عنه الالتفات إلى من ليس له قدرة.

وكلا التعريفين جاءا من جهة الوصف، فالأول يصف هجوم الأنوار، والثاني يصف صفات القدرة، ولم يتوغلا أكثر إلى عمق المعرفة وتشريحها.

إلا إن الإمام عبد الرحمن البكري خطا إلى أبعد من ذلك، وبين في كتابه (الأنوار في عالم الأسرار) الفرق بين العلم والمعرفة وجاء بكل جديد، بقوله: (العلم والحكمة قرينان، والمعرفة واليقين قرينان... إن عرفته من جهة الإيمان أطعته، وإن عرفته من جهة العلم أجللته، وإن عرفته من جهة المعرفة أحببته)، ويخلص البكري إلى القول: (الناس كلهم موتى إلا من أحياه الله بالإيمان، وأهل الإيمان في غفلة إلا من أيقظه الله بالعلم، وأهل العلم في حجاب إلا من أوجد المعرفة، وأهل المعرفة في تحير إلا من آواه الحق إلى العلم به)[2].

ومن نص البكري هذا فإن الطريق كله من الله سبحانه وتعالى وبه وإليه، وهو قول ذي النون المصري- سئل بم عرفت ربك؟ قال: عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي.

---

(1) الإمام القشيري- كتاب منشور الخطاب: ص67.

(2) عبد الرحمن البكري- الأنوار في عالم الأسرار: ص108- ص199.

المعرفة والفناء

الفناء والبقاء، علم أرسى أسسه الإمام الخراز (رحمه الله تعالى)، وكان يرى أن لا طريق إلى المعرفة إلا عن طريق الفناء. ومن أقوال هذا الإمام الجليل: (بقاء المعرفة في ثلاثة أشياء، فبالأول بقاؤه بفناء غيره، والثاني بقاؤه في بقاء السر، والثالث بقاؤه في بقاء العلم).

وأوضح ذلك في مقولة ثانية: (أول مقامات أهل المعرفة التحير مع الافتقار ثم السرور مع الاتصال، ثم الفناء مع الانتباه، ثم البقاء مع الانتظار، ولا يبلغ المخلوق ما فوق هذا)[1].

أ. أراد القول: أول المعرفة حيرة تقترن بالافتقار لطلب توضيح حيرتهم لما عرفوه، ثم يحدث السرور أي (الأنس) من خلال الوصول و(الاتصال)، عندها يكون من أهل الفناء، وهذا يصاحبه الانتباه، بعدم الالتفات لغيره، ثم يعود بعد فنائه في رحلة البقاء به، وهو في حال من الانتظار، انتظار ما يرد عليه، فهو مخلوق قائم على الانتصاب بين يدي الله تعالى دون غفلة.

إلا أننا أثناء تصنيفنا لكتاب (الإمام الخراز)، وجدنا إن له نظرة خاصة لمفهوم العلم والمعرفة، وحذرنا من التعاطي معها دون دراية، إلا بعد فهمها تماماً، لأن الإمام الخراز يرى نهاية المعرفة العلم، بينما يرى السادة الصوفية العلم أولاً ثم السلوك وصولاً إلى الغاية وهي المعرفة، وهذا المفهوم الخاص بالعلم عند الإمام الخراز، يختلف عنه عند الآخرون، فهو العلم المتحقق وكأنه علم العيان، وهو بذلك يتحدث عن مقامه هو، بينما الآخرين يتحدثون عن العلم الشرعي ثم السلوك للوصول إلى المعرفة. لذا يمكننا القول: إن العلم عند الإمام الخراز هو (علم المعرفة). ولأجله وجب التنبيه.

---

(1) الخراز – كتاب الفراغ: ص46، انظر: كتابنا، الإمام الخراز شيخ الفناء والبقاء– دار الكتب العلمية – بيروت– مواضع متفرقة.

المعرفة عند الإمام عبد القادر الكيلاني (رضي الله عنه)

نقول بوضوح، بأن موضوع المعرفة عند الإمام الكيلاني لم يكتب عنها لحد الآن، لسبب نجهله، إنما نرجح الصعوبة والتعقيدات الموضوع وراء هذا الإغفال، أو الابتعاد عن الخوض فيه، ومن هنا كان توجهنا في تبسيط المسألة، وتسهيل الطرح، على أن يأتي من يفصل فيه مستقبلاً، لذا سيقتصر دورنا هنا على تيسير الأمر، وفتح الأبواب، وإيجاد المدخل الصحيح.

أنواع المعرفة

تميز الإمام عبد القادر الكيلاني (رضي الله عنه) في طرحه لمسألة المعرفة بتقسيمه المتعدد لها، ففي الوقت الذي قسمها الآخرون إلى قسمين، كما وجدنا ذلك قبل قليل، ذهب بها الإمام إلى أربعة أقسام، في إضافة نوعية، وفي تناول أصيل لم يسبقه إليه أحد، وهي:

1. معرفة الله تعالى: أو معرفة الخالق الصانع[1]، من قبل المسلم والسالك، وأن يتيقن بهذه المعرفة، وتبدأ بالوحدانية، من أن الله واحد أحد فرد صمد ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ سورة الإخلاص 3-4، وإن من شيء نظير له، ولا شيء مثله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ سورة الشورى -11-، ولا عون له ولا ظهير، ولا شريك ولا وزير، ولا ند ولا مشير. معرفة تنزيهية توحيدية، حتى تستقر هذه المعرفة الإيمانية في القلب، فالمعرفة عنده تبدأ بالإيمان، وترتقي إلى الإيقان، مع التأكيد على التنزيه في التوحيد، فهو سر بداية المعرفة ومدخلها الصحيح. فاعتبر هذا المدخل للمعرفة

(1) انظر كتاب الغنية: ص225-451، وحاول في هذا الباب الرد، على كل الفرق والعقائد، التي تمس التنزيه بناحية من النواحي. وكتاب المقالات الذوقية: ص15، ص52، مثل مقالة (عقيدة الباز الأشهب) ومقالة الحبيب الأعظم، ومقالة (التنزيه) ومقالة (اسم الله الأعظم).

أساس الاعتقاد الإسلامي السليم، الذي سيؤثر على المسلم فيما بعد في كل النواحي.

2. معرفة عدو الله: أي معرفة الشيطان الرجيم، وكل عمل مستقبح، وعلى المسلم معرفة جند الشيطان وأتباعه، وكل المبعدات عن الله تعالى، والوقوف على طرق ومداخل الشيطان، وأساليبه ووسائله، وأدواته وآلاته[1].

وطالب الإمام، بأن يكون السالك عدواً لابليس عدو بني آدم، لأنه مجتهدُ في إلحاق العطب بالآدمي، وإن له مصائد شهية متعددة، ولعل النفس التي بين أضلع الإنسان تتحالف معه، من خلال الهوى والشهوات وغيرها، فتفتح له منافذ الدخول، وإن الوقوف على معرفة هذه المنافذ، معرفة لا بد منها، ومجاهدة النفس واحدة من أساليب المعرفة، وإعلان الحرب على أعداء الله، بفنون يجب أن يجيدها المسلم، وبعلوم يتزود بها، وهذه الحرب حرب دائمة، ما دام هناك شيطان يلاحق بني آدم.

ولعل القارئ يجد هنا خطاباً مختلفاً، عما بدأنا به في باب المعرفة، لذا نطالبه بالتمهل قليلاً، لأن المعرفة عند الإمام الكيلاني (ﷺ) كما هو الحال في باقي الفنون لديه، يبدأ بطبقة بعد طبقة، فلازلنا في الطبقة الأولى، ونقصد بذلك لازلنا بحدود المعرفة في نطاق علم الشريعة، وبعدها تأتي باقي الطبقات على مستوى الذوق والحقيقة. لذا وجب التنبيه.

3. معرفة النفس: كما أشرنا سالفاً من أن السادة الصوفية ترى إن معرفة النفس طريق لمعرفة الرب، وإن للنفس البشرية خبايا ودهاليز، مجهولة عند الكثيرين، تظهر واضحة للبعض وتخفى عن بعضهم، لذا فإن معرفتها والوقوف على مطالبها وأهوائها، لا تقل أهمية عن التفكر في خلق الله مثلاً، وأهم معرفة في هذا الجانب، معرفة آفات النفس، من عجب وكبر وهوى وشهوة وطمع، والتي تقود صاحبها مجتمعة أو منفردة، إلى الغفلة والكسل والجشع، وإلى كل

---

(1) الغنية: ج2، ص478. ولهذا الموضوع علاقة مباشرة بالسالك، في كيفية تمييزه بين خواطر الحق عن خواطر الشيطان، التي تلقى في القلب.

المهالك التي يمكن أن يتخيلها الإنسان، فعلم تربية النفس: من مجاهدة ورياضة، وخلوة وعزلة، وزهد وورع،وغربة وسياحة، كلها رياضات صوفية يقصد منها، ترويض النفس لتكون طوع يديه، بموافقة شرع الله، ثم تبدأ مرحلة جديدة معها، في إلحاقها بالقلب كمستقر للمعرفة، فإذا استقر في مقامه هذا، أمات الله نفسه، وهو الموت المعنوي لها، وبهذه النهاية يكون الأقرب إلى مقام القرب، ويعد من بين الشيوخ الكمل الواصلين، الذين لا تصرفهم شهوة ولا يؤثر فيهم هوى، عن طاعة أمر بها، وذلك هو مقام الإحسان.

قال سبحانه وتعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ سورة النازعات-40-41.

وقال تعالى ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ سورة الكهف-28-

وقال تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ سورة الشمس-7-8.

4. معرفة العمل لله ﷻ.

ونلخصها بما يلي:

أ. علم العبد بأوامر الله ونواهيه، وإن أمره هو الطاعة، وما نهى عنه إنما نهى عن المعصية والباطل.

ب. العمل بإخلاص في هذا السبيل، لأن روح الأعمال الإخلاص، بنهج الكتاب والسنة.

ت. من علم وعمل بالصدق والإخلاص، يورثه الله العلم ورفع الدرجات، ليصل إلى درجة الولاية والعرفان[1].

بهذا التوضيح فإن المعرفة عند الإمام الكيلاني (رضي الله عنه) أربعة، وليست اثنتين كما جاءت عند الآخرين، وكأنها معرفة تحيط بالجهات الأربع، ولتحقيق هذا التكامل،

(1) الغنية: ج3- ص1332.

جمع فيــها ما بين العلم الشرعي وبين علم المعرفة، فــي إطار رائع، يمكن تسميته بـ (جمع الأضداد) في المعرفة، من خلال:

معرفة الله تعالى (عكس) معرفة عدو الله.

معرفة العمل لله (عكس) معرفة النفس الأمارة بالسوء.

لأن النفس الأمارة بالسوء تقف تماماً عكس معرفة العمل لله، كون العمل لله فيه مشقة ومجاهدة ورياضة، بينما النفس ترغب بالهوى والكسل والشهوات، وهكذا فإن المعرفة عند القادرية تتعدى معرفة الخير والقُرب، إلى أضدادها من شقاوة وشر وبعد، ولعل السبب وراء ذلك، في إن معرفة الآفات التي تعيب طريق السالكين الطالبين لطريق الحق ﷻ، فيه عقبات وصعاب وكمائن وأعداء، ومن لم يقف عليها ويعرفها، سيسقط في أول الدرب ولا يستطيع الإكمال، أما من عرف هذه الآفات وفقه النفوس، فإنه سيضع لها الجواب والمعالجة والدواء الشافي، ليواصل طريقه إلى النهاية، وسيمضي سالماً إلى غاياته. ترافقه السلامة. ببركة هذه المعرفة.

المعرفة والدرجات

تسلسل الإمام الكيلاني (ﷺ) في درجات الترقي، من بداية الشروع وصولاً إلى المعرفة، في سلسلة متصلة لا يمكن قطع إحدى حلقاتها بقوله: (فإذا ترقت درجة العبد من الإسلام إلى الإيمان، ومن الإيمان إلى الإيقان، ومن الإيقان إلى المعرفة)[1] ويضيف في مقالة أخرى يبين فيها، كيفية الوصول إلى هذه المعرفة: (إنما تحصل معرفة الله ﷻ، بعد العمل بحكمه، بعد التصديق والصدق، بعد التوحيد لله ﷻ والثقة به، بعد الخروج من الخلق في الجملة)[2] بهذه الممهدات الواضحة نصل إلى المعرفة، واشترط في مكان آخر الزهد كأساس للوصول إلى المعرفة بقوله: (فارق ما سوى الحق ﷻ بمجاهدتك وزهدك، ونظف قلبك من غير ربك

(1) الفتح الرباني: ص18.

(2) المصدر السابق: ص144.

ﷻ... الزهد إذا دام... فيورث في القلب حزناً وفي البُنية نحولاً... فإذا تحقق هذا الحزن جاء الفرج من الحق ﷻ بالفرح به والمعرفة به)[1]. ويعود ويكرر في مواضع أخرى، شرط معرفة الله تعالى في: الخروج من الخلق وإسقاطهم من القلب بقوله (إن أردت أن تعرف الله ﷻ فاسقط قدر الخلق من قلبك)[2].

ومن المعرفة يشتق اسم العارف، وهو المتحقق بالمعرفة، وعن العارفين بالله يقول الإمام: (العارف بالله العالم به، قائم معه لا مع غيره، موافق له لا لغيره، حي به ميت عن غيره)[3]، وهؤلاء أصحاب المعرفة هم الذين صحت بهم العبودية، يقول: (من عرف ربه ﷻ عرف الأشياء كلها، به تصح له العبودية، والعتق عن عبودية غيره)[4].

فالمعرفة غاية الدرجات وأسناها، بها تتم معرفة الرب ﷻ، بل تعرف الأشياء كلها.

المعرفة والذوق

وفي مقالة[5] رائعة للإمام عبد القادر الكيلاني (رضي الله عنه) عن المعرفة، في معرض تعريفه لها بقالب ذوقي رفيع قال: (هي الاطلاع[6] على معاني خفايا مكامن المكنونات[7]، وشواهد الحق في جميع المشيئات[8]، بتبليغ كل شيء منها على

---

(1) المصدر السابق: ص174.

(2) المصدر السابق: ص173.

(3) المصدر السابق: ص92.

(4) المصدر السابق: ص129.

(5) المقالة في مخطوطة بهجة الشيخ ورقة (73).

(6) الاطلاع: أنوار تطلع على القلوب لأهل السلوك تشبه رزق القلوب.

(7) هذا الاطلاع تدرك منه (معاني في خفايا) المعاني غير المعروفة والخافية عن الآخرين على (مكامن) مكان خزن هذه (المكنونات) الخفية.

(8) المشيئات: من المشيئة، والمقصود به مشيئة الله ﷻ.

معاني وحدانيته[1]، واستدراك علم الحقيقة في فناء كل فان[2]، عند إشارة الباقي إليه[3]، بتلويح هيبة الربوبية[4]، وتأثير أثر البقاء فيما أشار إليه الباقي، بتلميع جلال الإلهية مع النظر بعين القلب[5]).

المعرفة القادرية[6]

يطلق على العلم المجرد الخالي من المعاملة علماً، ويسمون العالم به عالماً، ويسمون العلم المقترن بالمعاملة والسلوك والحال معرفة,. وهنا يكمن الفرق الجوهري عند الصوفية.

وحددوا للمعرفة مستويات ثلاثة:

الأول: معرفة الصفات والنعوت، وهي معرفة العامة وينعقد شرطها باليقين.

---

(1) (بتبليغ) وصول هذه المشيئة، (على معاني وحدانيته) يفسر العارف بالله، كل مشيئة لله تعالى بمعاني وحدانيته، فهي إشارات متكررة في كل شيء جامعها الوحدانية.

(2) (علم الحقيقة) أي الحقائق، (استدراك) استدراك ما فاته من هذا العلم (فناء كل فان) كون علم الحقائق والمعرفة من اختصاص أهل الفناء.

(3) (عند إشارة) في لحظة ظهور مشيئة الله تعالى، فهو (الباقي).

(4) (بتلويح) أدنى من التصريح لأنه يتحدث عن إشارات، (هيبة الربوبية) صفة الربوبية عند مظهر الهيبة.

(5) (جلال الإلهية) لأنها الأليق مع (هيبة الربوبية)، لأن الجلال يتولد منه هيبة وخوف، وكما ذكرنا ذلك في مواضع عدة من هذا الكتاب، فيتولد عن هذا الجلال لمعان، وهو اطلاع قصير، لأن الجلال لو دام النظر إليه يولد الطيش والغيبة، لذا قال تلميع، (مع النظر) برؤية (بعين القلب) عين تفتح بالقلب، في قلوب العارفين، تنظر إلى لمعان الهيبة، والاطلاع على المعاني الخفيات، وهي خلاصة المعرفة.

(6) نقول: بعض القادرية، وان شاء الله هم قلة، لم يلتفتوا إلى جانب المعرفة رغم إنها غاية السالك، ونهاية طريق أهل الله تعالى، وهذه غفلة ما بعدها غفلة، فأنصح نفسي أولاً ثم المشايخ، بالالتفات إلى هذا الجانب الأصيل، وعدم إهماله. لأن في إهماله إهمالا لمقاصدنا الأساسية.

الثاني: معرفة الذات، ويثبت بعلم الجمع، بإسقاط التفريق بين الذات والصفات.

الثالث: معرفة في التعريف، وهي خاصة بالخواص.

(جدول مستويات المعرفة)

	المستوى	طريق التحقيق	شروطها
1.	معرفة العامة	معرفة الأسماء والصفات	نفي التشبيه والتعطيل والتأويل.
2.	معرفة الخاص	معرفة الذات	جمع الذات والصفات
3.	معرفة خاص الخواص	الاستغراق	مشاهدة القرب

الباب التاسع/ علم الحقيقة

1- طفل المعاني

2- القرب

3- الوصول

4- تفصيل العلوم

الباب التاسع

علم الحقيقة

علم الحقيقة يبدأ من الروح القدسي وملازمة أسماء التوحيد الأخيرة ويهتم بقطع هذه المراحل، ليُفضي في النهاية إلى ولادة (طفل المعاني). وسنوضح ذلك: من أن مفهوم (طفل المعاني) وكذلك (الإنسان الكامل)، كلاهما صدرا عن الطريقة القادرية[1]، فطفل المعاني جاء به الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) في سر الأسرار، وتلقفه ابن سبطه الإمام عبد الكريم الجيلي (رحمه الله) ليطوره إلى فهوم (الإنسان الكامل) وهو عنوان كتابه الشهير، فالإمام عبد الكريم الجيلي قادري الطريقة ودرس في المدرسة القادرية ببغداد، إلى أن بلغ العشرين من عمره تقريباً، ثم غادرها في سياحة وغربة طويلة ثم عاد إلى بغداد نهاية حياته وتوفي بها.

ومرقده اليوم ببغداد ظاهر يزار، غير بعيد عن مرقد الإمام عبد القادر الكيلاني (رحمهما الله تعالى).

طفل المعاني

طفل المعاني مفهوم رائد وأصيل، أول من طرحه سيدنا عبد القادر الكيلاني (ﷺ)، وجهر به، وصنفه على أنه ولادة، لبداية علم الحقيقة، مثلما يلد النوع الواحد من نوعه، فإن السالك لا يلد إلا من نوعه، وهو الطفل المسمى (طفل المعاني)، الذي من شأنه أن يترعرع في أحضان السر، بغذاء أسماء الله التوحيدية، فيظهر ناطقاً بلسان علم الحقيقة.

---

(1) أردنا القول من أن مفهوم (طفل المعاني) و(الإنسان الكامل) صدرا عن عائلة واحدة، إلا أننا فضلنا القول بأنهما من مدرسة واحدة، انظر: عبد الكريم الجيلي- الإنسان الكامل- مطبعة محمد علي صبيح- القاهرة.

يقول الإمام الكيلاني (ﷺ) عن ظهور طفل المعاني، في سر الأسرار (والمراد من الروح القدسي الإنسان الحقيقي، الذي أودع في لب القلب، ويظهر وجوده بالتوبة والتلقين، وملازمة كلمة لا إله إلا الله، بلسانه أولاً، وبعده بحياة القلب، وبعد حياة القلب يحصل بلسان الجنان، وتسميه المتصوفة طفل المعاني، لأنه من المعنويات القدسية.

هذا النص الرائع تضمن أشياء كثيرة، فالروح القدسي هو الإنسان الحقيقي ومن هنا تبدأ المسألة:

1. مفهوم (الإنسان الحقيقي) عند الإمام الكيلاني (ﷺ) هو (الإنسان الكامل) الذي سيظهر فيما بعد عند الشيخ عبد الكريم الجيلي (رحمه الله) ابن سبط الإمام الكيلاني (ﷺ). فهو البداية في الانطلاق إلى كل المفاهيم العميقة عن الإنسان عند السادة الصوفية فيما بعد.
2. الروح القدسي كما ذكرنا قرارها ومستقرها في السر، إلا أنه في هذا النص قال (في لب القلب)، ولب القلب هو السر.
3. سُمي الروح القدسي لاستمداد نوره من عالم اللاهوت (من عالم الأرواح والنفوس) فكل من نطق عن هذا المقام، يكون قد نطق عن عالم محجوب تماماً عن الآخرين.
4. من أجل ظهور (طفل المعاني) يبدأ الذاكر (بلسانه) أولاً ثم (بحياة القلب)، بمعنى انتباه القلب من غفلته لينطبع فيه الذكر، وسبق وإن ذكرنا ذلك في شروط التمهيد.
5. أما عن التلقين: فالتلقين عند السادة الصوفية، هو آلة قطع السوى، أي ما سوى الله سبحانه وتعالى، والتلقين يبدأ من شيخ ملقن بسلسلة متصلة إلى الرسول الكريمﷺ. وذكرنا ذلك في باب سر التلقين وسنده.
6. الإنسان عند السادة الصوفية منح درجة الخلافة من الله سبحانه وتعالى، في عين الوقف فإن الغاية من خلقه (ليعبد)، فالإنسان الخليفة عليه أن يعكس (مرآة الحق) أي الحقائق، وهذا لن يتم إلا بعد استحواذه على علوم الباطن والظاهر

مثل المرآة العاكسة المجلية التي تعكس الضوء، عندها يكون إنسان الحقائق، أو (الإنسان الحقيقي).

والسادة الصوفية الكبار بعد الإمام الكيلاني (ﷺ) التقطوا هذا المفهوم وأضافوا إليه كما سنجد ذلك عند الشيخ الأكبر ابن عربي[1] والشيخ الجيلي والقاشاني وغيرهم، إلا إن البداية بدأت من هنا.

نعود إلى طفل المعاني، لنبين صفاته وسبب هذه التسمية، بالرغم من وجود تسمية أخرى له هي (الإنسان الحقيقي) في النص الآنف، وكأنه أراد القول إن بداية ظهوره في لب القلب، على هيئة طفل للمعاني (المعنويات القدسية)، فأما من حيث النوع فهو من نوع الإنسان الحقيقي وهو الغاية، أما صفات هذا الطفل كما ذكرها الإمام الكيلاني (ﷺ) بنفسه:

1. تولده من القلب كتولد الطفل من الأم. ليتولى القلب تربيته.
2. والتعليم غالب للأطفال، أما طفل المعاني فيجري تعليمه علم المعرفة.
3. كما الطفل مطهر من أدناس الذنوب، فهذا كذلك مطهر من دنس الشرك والغفلة وغيرها.
4. منح اسم (طفل) للطافته ونظافته، وتشبهه بالبشر، ومن ثم قابليته على النمو والبلوغ، ليكون الإنسان الحقيقي.
5. ونؤكد هنا مرة أخرى إن طفل المعاني هو عين الإنسان الحقيقي. ولكن في بداية تولده يدعى طفلا، ثم عاد الإمام ليتحدث لنا عن الإنسان الحقيقي، فذكر إن المراد من وجود الإنسان التفكر، وهو علم الفرقان وهو التوحيد، وبه يصل العارف إلى معروفه، ومن نتيجة علم العارف الطيران بالروحانية إلى عالم القربة، ويجري هذا الطيران في باطن العارف الذي هو الإنسان الحقيقي[2].

---

(1) انظر: سعاد الحكيم- المعجم الصوفي- ص152.

(2) سر الأسرار: ص14.

وعاد الإمام في باب ربح الروح القدسي، وقال: (وأما ربحه فظهور طفل المعاني ومشاهدته ومعاينته، ونظره إلى وجه الله تعالى جلالاً وجمالاً بعيني السر)[1] وهذا النص في غاية الأهمية. فإذا كانت المشاهدة مفهومة للجميع، وهي المشاهدة القلبية، (فالمعاينة) المقصود بها هنا الرؤية، وهنا يتحدث الإمام بأسرار وكلمات لطالما سكت عنها، ولم يبح بها، وأحالها إلى الأسرار، ومنها هذه المعاينة، على إنه علق ذلك على (الجلال والجمال) والتناوب بينهما، فتارة الظلمة الجلالية وتارة النور الجمالي، ولولا هذه الموازنة لما حدثت المعاينة، بعين السر إلى الحقائق.

وهذا يقودنا إلى (علم الحقيقة)، وهو علم بطن البواطن، ودائرة الحقيقة التي لا مدخل إليها من شيطان قبيح، لأن الدخول إليها احتراق، والوصول إلى هذه الدائرة، لا بد من الفناء بالكلية، وذهاب الصفات البشرية، ولا نعني بذلك ذهاب الوجود البشري، بل الصفات فحسب، عندها يمكن للفاني الإطلالة على هذه الحقائق، وينقل لنا الإمام الكيلاني (ﷺ) نصاً جامعاً ملخصاً للموضوع بقوله: (وينبغي للعالم أن يحصل معنى حقيقة الإنسان المسمى طفل المعاني، ويربيه بملازمة أسماء التوحيد، ويخرج من عالم الجسمانية إلى عالم الروحانية، وهو عالم السر ليس فيه غير الله ديار[2]). ويضيف مكملاً (وطفل المعاني يطير فيها، ويرى العجائب والغرائب فيها، لكن لا يمكن الإخبار عنها، وهي مقام الموحدين الذين فنوا من تعيينهم في عين الوحدة، فليس لهم في السر إلا رؤية نور جمال الله تعالى، كما لا يرى إلا الله نفسه).

ثم يفصل القول في ذلك ويذكر لنا قابلية الإنسان، والذي أكدنا عليها مراراً من إن لكل إنسان قابلية بقوله: (تولد الطفل المعنوي الروحاني من حقيقة قابلية الإنسان، وهو سره، يظهر وجوده وعلومه من اجتماع نور علم الشريعة والحقيقة، لأن الولد لا يحصل إلا من اجتماع نطفتين من الرجل والمرأة)[3].

---

(1) المصدر السابق: ص18.

(2) سر الأسرار: ص21.

(3) المصدر السابق والصفحة.

والنص واضح ولا يحتاج إلى شرح، بالرغم من أهميته البالغة.

فليتمعن فيه القارئ، وخاصة في اجتماع الشريعة والحقيقة، فهو مقصودنا من هذا الكتاب.

القرب

ليس للسالك، مقاصد دنيوية، وحتى أخروية، غير طلب الله ﷻ والوصول إلى عالم القرب، فهي الغاية المنشودة عند السادة الصوفية، فينفقون وقتهم ويصرفون جهدهم ويكابدون من أجل الوصول إلى المنتهى إلى القرب، وعالم القرب أو (القربة) له مرادفات، هي:

1. القرب هو الفناء.
2. القرب هو مقام قاب قوسين.
3. القرب هو المشاهدة القلبية لقرب الله تعالى[1].

والقرب عند الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) نهاية محطات السالكين وغاية مقامات السائرين في طريق الله، يقول أثناء استعراضه لحال المريد بعد أن جاهد

---

(1) ذكر الإمام السراج في كتابه اللمع، في باب حال القرب: قال حال القرب لعبد شاهد قلبه قرب الله منه، فتقرب به إلى الله تعالى بطاعته، وجميع همه بين يدي الله تعالى بدوام ذكره في علانيته وسره. وذكر قول أبي يعقوب السوسي: مادام العبد يكون بالقرب لم يكن قرب حتى يغيب عن القرب بالقرب ثم أضاف السراج: وحال القرب يقتضي حال المحبة وحال الخوف. وجاء ذكر هذا المقام في الفتوحات: ج2-ص24. بقوله (مقام القربة للأفراد دون نبوة التشريع في المنزلة عند الله، وفوق الصديقية في المنزلة عند الله، وهو المشار إليه بالسر، الذي وقر في صدر أبي بكر ففضل به الصديقين). بينما أشار الكمشخانوي في كتابه جامع الأصول ص145: القرب هو عبارة عن الفناء بما سبق في الأزل من العهد الذي بين الحق والعبد، في قوله تعالى ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ الأعراف 172. وقد يخص بمقام قاب قوسين. وعند الإمام الكيلاني (ﷺ): هو مقام يتحقق فيه الفاني بالفناء الكلي، وهو أعمق من عرف هذا المقام، لأن ما تبقى هي مقاربات ووصف.

نفسه وشيطانه ودنياه، وتحقق بالعبادة، وفارق كل شيء، عندئذ يفتح أمامه باب الأبواب، وهو الرضا بالقضاء، ثم (يفتح تجاه هذا الباب باب يسمى باب القربة إلى المليك الديان)[1].

وفي هذا الباب تعقد مجالس الأنس[2] ويجلس على كرسي التوحيد، فيدخل دار الفردانية[3] ويكشف عنه الجلال والعظمة، فإذا وقع بصره على الجلال بقي بلا هو، وتحقق في الفناء، فحينئذ يسمى صوفياً[4].

الوصول

للوصول إلى عالم القربة، اجتياز عوالم وعلوم أربعة، والأصل في الوصول هو ترك كل شيء مما سوى الله تعالى، بحيث لا يبقى في نفسه لنفسه شيئاً، وأن لا يسع في قلبه غيره، وأن يكون اعتقاده خالصاً لله ومعرفة الله والوصول إليه، لأن الله تعالى خلق الإنسان لهذا الغرض لقوله تعالى﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ سورة الذاريات -56-. [5]

---

(1) الغنية: ج3، ص1272.

(2) الأنس: قال الإمام القاشاني في كتابه لطائف الأعلام. ص90: الأنس يعبرون به عن روح القرب... ويشيرون أيضاً بالأنس إلى حصول الصحو بالحق. ولهذا قالوا "كل مستأنس صاح" - وأضاف - والأنس من قسم الأصول، أحد المنازل العشرة التي يشتمل عليها قسم الأصول... والواصل إلى هذه المنزلة على وفق الحكمة البالغة التي لا أبلغ ولا أحكم منها... وصاحب هذا المنزل... لا يغتم لحادثة، ولا يؤثر فيه سماع ما يكره، ولا رؤية ما لا يلائم، بل يكون دائم الأنس بربه. وذكر في ص91: الأنس: هو الراضي بالحق، فهو لا يسخط شيئاً، ولا يستوحش من شيء.

(3) وهو شهود الحق ولا شيء معه، فيشهده منفرداً وذلك لفناء الشاهد. وقيل دار الفردانية: الذين اختصوا بالله ﷻ من الأفراد الواصلين. والمعنى واحد.

(4) بهذا المعنى، فالصوفي هو الواصل إلى مقام القرب.

(5) انظر سر الأسرار: ص37. علماً هناك من يدمج بين المعرفة والحقيقة.

ولأجل اختصار مسائل العوالم والمعالم، عمدنا إلى جدولتها في هذا الجدول المبسط.

الجدول

	العلم	التجليات	العقل	الأرواح
1.	علم الشريعة	تجلي الآثار	عقل معاشي	روح جسماني
2.	علم الطريقة	تجلي الأفعال	عقل عادي	روح رواني
3.	علم المعرفة	تجلي الصفات	عقل زماني	روح سلطاني
4.	علم الحقيقة	تجلي الذات	عقل كلي	روح قدسي

تفصيل العلوم[1]

فالعلوم كما ذكرنا في الجدول السابق أربعة وتفاصيلها:

1. علم الشريعة: وهو ظاهر الشريعة من الأمر والنهي وسائر الأحكام، وآفة هذا العلم المخالفات، ووساوس النفس في دائرة الشريعة. وفيه عمل الجسمانية.
2. علم الطريقة: هو باطن الشريعة. وآفته الموافقات تلبيساً كدعوى النبوة والولاية.

---

(1) العلم: في الكليات ص610، هو معرفة الشيء على ما هو به... والعلم بمعنى إدراك الشيء بحقيقته. أما المعرفة أو العرفان: فهو ما تدرك آثاره ولا تدرك ذاته. وعند القاشاني في لطائف الأعلام ص321 وما بعدها: العلم عبارة عن حقيقة حاصلة للعالم، وعلم الشريعة: هو العلم الذي يتعلق به تكميل الهيئات من الأفعال والأقوال... مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج... مما يتعلق بالسير الجسماني، وعلم الطريقة: هو العلم المتعلق بتكميل الهيئات النفسانية والروحانية، وعلم الحقيقة: هو معرفة الحق تعالى، وأسمائه الحسنى وصفاته العلى، والعلم العرفاني: بأنه ينبت في الأسرار الطاهرة في الأبدان الزاكية بماء الرياضة الخالصة- وهنا نلاحظ التفريق بين علم الحقيقة والمعرفة-.

3. علم المعرفة: هو باطن الطريقة. وآفته الشرك الخفي كدعوى الربوبية.
4. علم الحقيقة: هو بطن البواطن. ولا مدخل للشيطان فيها.

وذكر الإمام الكيلاني (ﷺ) في هذا الصدد قال: (فالعالم لا يدخل بمجرد علم الظاهر إلى حرم القدس والقربة... فالعبد الذي يعلم العلمين الظاهر والباطن يصل إلى ذلك العالم)[1].

والنص صريح وواضح، لا يصل عبدٌ إلى القرب، ما لم يجمع علم الظاهر وعلم الباطن، أي باجتماع العلوم، حالاً وتحقيقاً.

(1) سر الأسرار: ص19.

الباب العاشر/ العلوم الذوقية

1- الذوق عند السادة الصوفية.

2- الحواس الذوقية.

3- الذوقية عند القادرية.

4- نماذج من المقالات الذوقية.

الباب العاشر

العلوم الذوقية

الذوق لغةً: تعرف الطعم باللسان، ثم كثر حتى جعل عبارة عن كل تجربة، وقد استعمل الإذاقة في الرحمة والإصابة في مقابلتها، قال تعالى ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً ﴾ سورة يونس -21-.

وأضاف صاحب الكليات: والذوق والطبع قد يطلقان على القوة المهيئة للعلوم، من حيث كمالها في الإدراك، بمنزلة الإحساس من حيث كونها بحسب الفطرة، وقد يخص الذوق بما يتعلق بلطائف الكلام، لكونه بمنزلة الطعام اللذيذ الشهي لروح الإنسان المعنوي.

ومنه (التذوق الأدبي)، مثل تذوق قصيدة شعرية من بين القصائد، فتقع معانيها وألفاظها، وقعاً طيباً.

الذوق في القرآن الكريم: قوله تعالى ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾ سورة الأعراف -22-، وفي هذه الآية الكريمة دلائل عظيمة، ومعنى جامع شامل، إذ بدت لهما سوءآتهما بعد الذوق، ويعني بذلك إن المعرفة والإدراك حصلا بعد التذوق، وهو لب مفهوم الذوقية، وجاء كذلك مفهوم الذوق في القرآن، في الرحمة وضده في قوله تعالى ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً ﴾ سورة الروم-33- وضده ﴿نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ سورة النساء-56-.

وهنا سعة في التحسس لدرجة الذوق، فالألم وكذلك الرحمة حصلا بعد أن تحسسها بشكل مادي ملموس، بحرق جلودهم، أضاف إليها ألم الإدراك والمعرفة لما يحدث لهما، فصار الألم حسيا معرفيا في آن واحد، والرحمة حسية ومشاهدة معرفية كذلك. وذلك ذروة التذوق عند اجتماع الحواس الظاهرة والحواس الباطنة.

الذوق عند السادة الصوفية: التعريفات الأساسية للذوقية عند السادة الصوفية متنوعة، بسبب تنوع أحوال المتذوقين، ومنها:

1. الذوق: علوم لا تُنال إلا لمن كان خالي القلب. وهو أول مبادئ التجليات، وإن العلم الحقيقي لا يتم بدون الذوق.
2. أهل الذوق: الذين حكم تجلياتهم نازل من مقام أرواحهم وقلوبهم، إلى مقام نفوسهم وقواهم فيجدون ذلك حساً ويدركونه ذوقاً[1].
3. ومنهم من دمج (البرق بالذوق) فالأول هو ما يبدو من أنوار التجليات فيدعو العبد إلى الدخول في الولايات. وفيه انفعال لقوى النفس، والثاني هو ثبات البرق، وزيادة السرور والابتهاج، وبقاء الوقت ونسبة صوره[2].
4. ومنهم من عرف الذوق على إنه بداية (الشرب والري) فقال: الذوق حال العبد الواصل في سيره في منازل القرب، فذاق أول قطرة نازلة من البرق الصادق، وهو أول مبادئ التجليات، ثم الشرب أوسطها ثم الري نهايتها. وأن الذوق علوم لا يمكن إدراكها. إلا بقلبٍ خالي، وتمثلوا ذلك بما للسان، فالمريض لا يستطيع تذوق طعم الطعام لأن آلته أصابها خلل. فهكذا حال القوة المدركة للحقائق عند الإنسان. فإنها ما لم تكن خالية وفيها صفاء لا تتذوق. ومن هنا كان الصوفية يطلقون على علومهم (الذوقية)، لأنهم يدركونها بسبب الصفاء وخلو قلوبهم من أي شيء، فعلومهم الحقيقية لا تتم بدون الذوق[3].

وأخيراً أوجدوا للمعاني ذوقا كما جاء في الرسالة القشيرية للإمام القشيري (رحمه الله)، قال: (الذوق والشرب: ويعبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلي، ونتائج الكشوفات، وبوادة الواردات) وأضاف (وأول ذلك الذوق، ثم الشرب ثم الري، فصفاء معاملاتهم يوجب لهم ذوق المعاني)[4].

---

(1) انظر: المقالات الذوقية: ص8.
(2) جامع الأصول: ص418.
(3) لطائف الأعلام: ص218.
(4) الرسالة القشيرية: ص153.

خلاصة الذوقية

1. الذوق: هو ثمرة ما يرد على السالك من تجليات وكشوفات. وهي البداية، فإذا استمرت الذوقية تحولت إلى شرب ثم إلى ري دائم، وهذا يشبه الوقوف على نبع ماء صافي، فأول التناول قطرات للتمييز وهذا تذوق، فإذا غرف منه غرفات فهو شرب، وإن استمر بالشرب والشبع فهو الري.
2. ولأن التجلي والكشوفات تختلف من واحد إلى آخر، من حيث صفة التجلي، واختلاف صفات أصحابها من جهة أخرى، عندئذ صار الذوق يختلف بينهم، من حالة إلى أخرى، لذا فالتذوقات ما لا نهاية لها.
3. قال الإمام الكيلاني (ﷺ): (من ذاق عرف)، الذوق أساس المعرفة له صلة بعلم الحقائق، فمن ليس له ذوق، كيف تكون له معرفة؟ لذا اختص أهل السلوك بالعلوم الذوقية، وصارت معارفهم خاصة، وإن كل نتاج ذوقي لا يعرفه إلا أهله.

الحواس الذوقية

هذا الجانب لم يتطرق إليه أحد، إلا إننا مررنا عليه مرور الكرام في مقدمة كتابنا (المقالات الذوقية)، وذكرنا إن السالك المتحقق، سيلاحظ في البداية ظهور حواس، كانت مضمرة سابقاً، وهذه الحواس بالأساس مودعة في الإنسان، إلا إن الغفلة والصدأ والران، جعلها حواس مهجورة مهملة، وتبدأ بالظهور عند السالك حال جليها، كما تجلي الأذكار والأوراد القلب، ولعلنا نُبسط الأمر أكثر، فنقول إن معظم من يصابون بالعمى تقوى لديهم حواس أخرى، مثل السمع واللمس، وكما هو معروف للجميع، والحال كذلك بالنسبة للسالك، فعندما يغلق عينيه وسمعه وقلبه عن الدنيا والخلق والعلائق والأسباب، ستظهر لديه حواس باطنة لم يكن يعرفها، هذه الحواس بعضها شخصت باسم (المشام) كمصطلح متداول إلا أن الأكثر دقة

هو (اجتماع الحواس) لأن الحواس الباطنة ليس لها آلة، كما هو حال الحواس الظاهرة، مثل آلة الأذن للسمع، والعين للبصر وما إلى ذلك، وإنما تجتمع حواسه الباطنة فتكون أبعد وأقوى، من الحواس الظاهرة أولاً، وتبدأ ذوقية عالية بالظهور لدى صاحبها، يستطيع بها التعرف على معارف غير متاحة لغيره.

ومن هنا تبدأ العلاقة بين الذوق والمعرفة، علاقة فهم وتماثل في الإدراك، فهي وسيلة للوصول، بينما عدها آخرون أسلوباً، نقول من جانبنا هذا صحيح في البداية فحسب، إلا إنها تتحول فيما بعد إلى (منهج) قائم بذاته، إذا ما تحقق صاحب هذا الحال في مقامه، ونقصد إذا تحول الذوق إلى شرب، بمعنى استمرارية الذوقية ودوامها.

ومن ثمار بقاء المنهج ورسوخه، ليكون علماً قائماً بذاته، إذا صار يغرف من عين لا تنضب، فصاحب الذوقية العالية، لا حدود لمعرفته، لأنه يغرف من عالم لا حدود لحقائقه، عند ذلك يصح القول، إن الذوق منهج لتناول العلوم الذوقية.

فإذا ما كانت الحواس الباطنة التي ظهرت عند السالك هي الوسائل، فالذوقية هي الأسلوب. ومن اجتماع الوسائل والأساليب، يتشكل المنهج، إلا إنه مع الأسف الشديد- أهمل- هذا الجانب، لسبب نجهله، بالرغم من أهميته البالغة.

الذوقية عند القادرية

(من ذاق عرف)- الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ)

الذوقية خصت بعناية خاصة في الطريقة القادرية، ويرجع الفضل في ذلك، إلى مؤسسها الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) حين أطلق مقولته النفيسة الرائعة (من ذاق عرف)، فكانت الذروة في الذوقية، والسنام بين كل المقولات، وهذه المقولة أطلقها

في أحد مجالسه ببغداد، وكررها مراراً على مسامع الخاصة من كبار مشايخ التصوف، وعلى مسامع العامة في مجالس وعظه [1].

والمقولة هذه تختصر لنا الكثير من الشرح في هذه المسألة، من إن الذوق هو الطريق إلى المعرفة، وبدونه تصبح المسألة شائكة، عند تناول المعرفة، وتحدث في مجالس عدة شارحاً لها، مستعرضاً تفاصيلها، بقوله: (من ذاق هذا فقد عرفه، هذا شيء لا يجيء بالصدفة، هو شيء من وراء معقول الخلق كلهم، إلا آحاد أفراد منهم)[2]. فهو يشير بوضوح، إلى إن أصحاب المقامات السامية من آحاد البشر والأفراد الواصلين، هم من يعرفون الذوق ويتعاطونه، وإن الذوقية هي (من وراء معقول الخلق)، أراد القول هي لمن عبروا هذه الحواس الظاهرة إلى الحواس الأخرى الباطنة، ليتم لهم ذلك بها، وبالتالي فهي من أوصلتهم إلى منهل المعرفة. لينهلوا منها ما شاءوا.

وكان رحمه الله تعالى يكرر الدعوة إلى اتباع هذه الذوقية في مجالسه فهو يخاطب الحضور بالقول:

(يا أصحاب الصوامع والزوايا تعالوا ذوقوا من كلامي ولو حرفاً واحداً)[3].

ويقول: (رحم الله المؤمن الذائق لما أقول)[4].

ودعا الله تعالى إلى إنزال هذه التذوقات من بروجها العالية، إلى العبادات اليومية ليكون المؤمن في حالة تذوق دائم، فتحدث في أحد مجالسه عن الصلاة وضرب مثلاً: (كان معاذ (ﷺ) يقول للصحابة: قوموا نؤمن ساعة. أي قوموا ذوقوا ساعة، كان يشير إلى الاطلاع على أشياء غامضة، يشير إلى النظر بعين اليقين)[5].

---

(1) ذكرت هذه المقولة في مجالس الفتح الرباني: ص82 وص194. وكررها في مجالس فتوح الغيب. ص140.

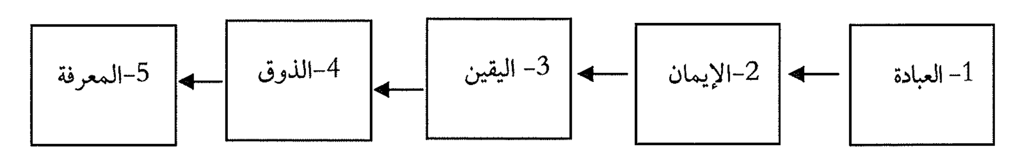
(2) جلاء الخواطر (مجالس شيخ الإسلام): ص140.

(3) جلاء الخواطر- ص53.

(4) المصدر السابق- ص104.

(5) الفتح الرباني- ص85.

فعلاقة الذوقية بالإيمان هي علاقة تولد، أي إن الذوقية تتولد من (عين اليقين) واليقين هو ذروة الإيمان، ومن هذا الأساس الإيماني تأتي، وإذا ما رافقت هذه الذروة عباداتنا من صلاة وصوم وغيره، ستكون نافذتنا على (أشياء غامضة)، ويقصد بذلك الاطلاع على المعرفة وبهذا التسلسل يصل المسلم العادي إلى حالة من الذوق عن طريق الإيمان، وهو طريق فتحه الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) وتفرد به.



﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ سورة الحجر-99-.

فإذا جاءك اليقين بالعبادة، صرت من أهل الذوق، وحصلت على المعرفة.

ومن هذه التنزلات القادرية، صار يدعو إلى عين الذوق، وطعام الذوق، وشراب الذوق، بمعنى أن تكون لك ذوقية في كل شيء في الحياة، وأن تتذكر في مقابل كل شراب وطعام دنيوي شراب وطعاما معرفيا عليك تذوقه، فهو أعلى طعماً وأسنى ذوقاً، مما هو مطروح عليك في الدنيا، وكل ما تحتاجه هو الوصول إلى ذلك، بحواس أخرى، غير حاسة آلة اللسان وآلة العين التي في الرأس، بل إلى حواس أخرى مقابلة لها في باطن المسلم.

يقول الإمام الكيلاني (ﷺ): (لو ذقت طعام الخالق لزهد قلبك وسرك في طعام الخلق)[1]

(العارفون... قد سقاهم ربهم شراب الشوق إليه، شراب الأنس به، شراب الطلب له، شراب الغفلة عن الخلق واليقظة به)[2].

---

(1) جلاء الخواطر:ص74.

(2) الفتح الرباني: ص163.

ويقسم العين وحاسة البصر مثلاً إلى أقسام فيقول: (عين الرأس يُنظر بها إلى الدنيا، وعين القلب يُنظر بها إلى الآخرة،... وعين السر يُنظر بها إلى الحق وتبقى مع الحق)[1]

وحدد لنا الإمام الكيلاني (ﷺ) عن طريق (الانقلاب) في باطن الإنسان، والترقي في المراتب من المرتبة النفسية إلى المرتبة القلبية إلى مرتبة السر، عند ذلك يبلغ أعلى المراتب والمقامات، يقول: (تكون نفوسكم على باب الدنيا، وقلوبكم على باب الآخرة، وأسراركم على باب المولى. إلى حين تنقلب النفس قلباً وتذوق مما ذاق، وينقلب القلب سراً ويذوق مما ذاق، وينقلب السر فناء فيه، لا يذوق ولا يذاق)[2].

عبارة (لا يذوق ولا يذاق) في منطقة السر فقط، والذي فيه الاتصال، لأنه عندها يكون في عالم الحقائق.

ثم يدخلنا الإمام (ﷺ) إلى عالم الجلال والجمال، وهنا تبلغ الذوقية أسمى مراتبها بقوله: (ناظر إلى جلاله وجماله، إذا نظرت إلى جلاله تفرقت، وإذا نظرت إلى جماله اجتمعت، تخاف عند رؤية الجلال، وترجو عند رؤية الجمال، تنمحي عند رؤية الجلال، وتثبت عند رؤية الجمال، فطوبى لمن ذاق هذا الطعام)[3].

الجلال خوف، فإذا كان عند مقداره المناسب، يكن سبباً للتقوى والورع والزهد والالتزام والانتباه، أما إذا زاد عن حده، صار خوفاً، يهلك صاحبه ويدخله في القنوط، وكذلك الجمال، إذا كان مقداره مناسباً كان الرجاء والأمل في العفو والمغفرة للمذنبين والتائبين والراجعين إلى طريق الله تعالى، فإذا فرط الرجاء صار لا مبالاة وكسل ورخص، وتذهب بصاحبه إلى اللين والميوعة في الدين، والحل

(1) جلاء الخواطر: ص77.

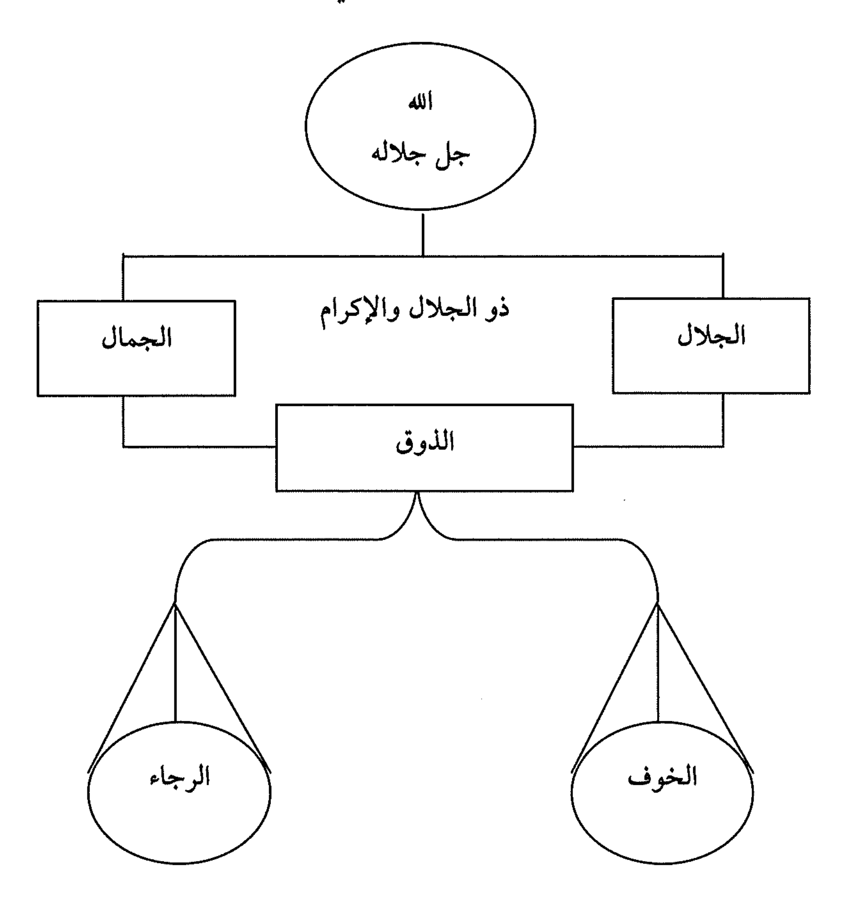
(2) الفتح الرباني: ص154.

(3) الفتح الرباني: ص85.

كل الحل في الموازنة والمقايسة، بين الخوف والرجاء، والسؤال المهم: إذن من يحكم المعيار وهذه والموازنة الإيمانية السليمة؟

الجواب: يحكمه الذوق في الموازنة بين الخوف والرجاء .

عندئذ صارت الذوقية أساس الطريق ومعياره وميزانه، وبهذه الأهمية البالغة، فإن الالتفات إلى هذا الجانب الحساس، والانتباه إلى هذا الإلهام القادري، واجب ملزم للقادرية جميعاً شيوخاً ومرداء وسالكين، وفي كل الأحوال والمقامات.



(الذوق هو الميزان)

ميزان الذوقية معيار الموازنة بين الجلال والجمال

نماذج من المقالات الذوقية

مقالات قالها الإمام عبد القادر الكيلاني (رضي الله عنه) في مجالسه[1]:

(كل شيء قائم فقيامه بديمومية أزله، وكل حي فحياته مستفادة بأمره، إن ضرب العقل لعزته مثلاً، أو جال العلم في جلاله جدلاً، وقف الفهم مذهولاً، ودهش الفكر كللاً، ولاح التعظيم جللاً، ولم يجد للتنزيه بدلاً، ولا عن التوحيد حولاً، وجاءت جيوش التقديس قبلاً، تسلك سبل التفرد ذللاً).

ومن مقالة "النبي إبراهيم (عليه السلام)"

(الحركات والسكون، والظهور والكمون، والألوان والأكوان، والمباني المثاني، والمألوف والتأليف، والطوالع واللوامع. من أوصاف المنشآت بعدم العدم، بيد إرادة القدم، فلا تقس الأفعال الأزلية على قياس فعلك، ولا تمثل الأوصاف الأحدية بما يتراءى لعين عقلك).

ومن مقالة "خلق الآدمي"

(العقول المنورة سرج الفحول في كل ظلمة، والأفكار الصافية أدلة أرباب المعارف، والعناية السابقة تكشف عن وجوه اليقين نقاب الشك، إذا تزاحمت الظنون، والإرادة اللاحقة تقطع أفكار الباطل بيد الحق إذا تقاصرت الأدلة).

ومن مقالة "النبي الأكرم محمد ﷺ "

(وكان الشخص المحمدي والشكل الأحمدي، هاشمي المناسب، واحدي المناقب، ملكوتي الآيات، غيبي الإشارات، شرف بخصائص الكرم، وخُص بجوامع

---

(1) قمنا بجمع هذه المقالات في كتاب مستقل بعنوان (المقالات الذوقية). طبع في دار الكتب العلمية- بيروت.

الكلم، بشرفه قام عمود خيمة الكون الكلي، ولجلاله انتظم سمط الوجود العلوي والسفلي، وهو سر كلمة كتاب الملك، ومعنى حرف فعل الخلق، وقلم كاتب إنشاء المحدثات، وإنسان عين العالم، وصانع خاتم الوجود).

ومن مقالة "الولاية".

(الولاية ظل النبوة، والنبوة ظل الإلهية، والنبوة مستفادة من وحي الملك وغيب الأزل، فالولاية مطالعة روح الكشف، وملاحظة البيان بصفاء، يذهب كدورة البشرية، وطهارة تنقي دنس الأسرار، فالأنبياء مصادر الحق، والأولياء مظاهر الصدق).

الباب الحادي عشر/ مفاهيم قادرية

الباب الحادي عشر

مفاهيم قادرية

من أجل الوقوف على ساحل الفكر القادري، لا بد من الإطلالة على مفاهيم عامة، قالها الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) هنا وهناك، في مجالس وعظه أو لمردائه، وأحياناً أخرى في مجالس كبار مشايخ الصوفية والقادرية، وهذه الإطلالة لا بد منها، كحد أدنى لفهم الطريقة وروحها، وسنحاول هنا اقتطاف اقتباسات صغيرة، على أن يأتي من يجمعها ويمسحها مسحاً كاملاً، على شكل مجموعة، ليشكل منها معجماً كاملاً نافعاً للجميع:

ـ 1 ـ الإسلام والاستسلام

قال الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ): (حقيقة الإسلام الاستسلام)
(صفوا ظواهركم بالإسلام، وبواطنكم بالاستسلام)[1]

التعليق:

الإسلام على الظاهر والاستسلام على الباطن، والحقيقة هي حال القلب وباطن المسلم، (صفوا) من الصفاء ولا يصفو الإسلام إلا بأن يكون شرعه ملازماً لكل حركة وسكنةً للمسلم، في العبادة والأخذ والتعامل، أما صفاء الباطن فلا يتم إلا بالاستسلام لله تعالى، فتريد ما يريد، وتؤمن بقضائه وقدره، وترضى به فيك وفي غيرك. فإذا تكامل الظاهر مع الباطن عند ذلك يكون التحقق بالإسلام الحقيقي، أو بحقيقة الإسلام وهو الاستسلام.

---

(1) جلاء الخواطر: ص135.

ـ 2 ـ المؤمن

قال الإمام: (المؤمن من خرج من بيت نفسه وهواه وطبعه، قاصداً إلى ربه ﷿)[1].

التعليق:

(المؤمن) هو المتحقق بالإيمان، (خرج من بيت نفسه) لم تعد لنفسه ولاية عليه في مطالبها وهواها وطبعها، (قاصداً) الخروج من بيت نفسه، ونيته في ذلك، (ربه ﷿) لأن النية خير من العمل، فالمقاصد هذه مقاربة للنية.

ـ 3 ـ الرجل العامي

حدد الإمام الكيلاني (ﷺ) مفهوم الرجل العامي بالحدود التالية:

1. من لم يعرف الله ﷿.
2. من لا يخاف الله ﷿ ولا يرجوه.
3. من لا يتقيه في خلوته وجلوته.
4. من لا يعمل وإن كان حفظ كل العلوم[2].

ـ 4 ـ الأدب

(الأدب في حق العارف فريضة... وكل من ليس له أدب فهو ممقوت من الخالق والخلق، وكل وقت ليس فيه أدب فهو مقت)[3].

---

(1) جلاء الخواطر: ص193.

(2) المصدر السابق: ص227 وذكر أن هناك رجلا عاميا ثم الخاص ثم خاص الخواص.

(3) الفتح الرباني: ص245.

التعليق:

لكل شيء أدب، ولكل حركة وقول وفعل أدب، (ممقوت) مبعد ومكروه، ليس له قبول، (وكل وقت) أي كل حال، وأدب الوقت هو أدب الحال، ولا يخلو حال من أدب.

ـ 5 ـ حفظ الحال

قال الإمام: (الخير كله في حفظ الحال والرضا به، وترك الالتفات إلى ما سواه)[1].

التعليق:

حفظ الحال هو حفظ ما أنت فيه، ومن أجل حفظه وعدم سلبه (الرضا به)، (وترك الالتفات إلى ما سواه) إلى ما سوى الله تعالى، والالتفات بأن ترى لغيره النفع والضر والقوة والقدرة. والالتفات أيضاً الطمع في حال هو غير حالك المقسوم لك.

ـ 6 ـ الأخذ والرد

قال الإمام: (الأخذ مع وجود الهوى من الأمر عناد وشقاق، والأخذ مع عدم الهوى وفاق واتفاق)[2].

التعليق:

(الأخذ) التعاطي والمعاملة مع الخلق والدنيا، (مع وجود الهوى) بحضور هواك في التعاطي والتعامل، (عناد وشقاق) لأنك أخذت بهواك وشهوتك، (وفاق واتفاق) وأخذك وتعاطيك مع كل شيء بأمر الله ونهيه، وبما يوافق الشرع فهو (وفاق) و(اتفاق).

(1) فتوح الغيب: ص7.

(2) بهجة الشيخ: ورقة (75).

ـ 7 ـ الموحد والقيام

(الموحد قائم)

(تطهير القلب والقيام معه وله)[1]

التعليق:

(تطهير القلب) بالتوحيد والتوبة، (القائم) القائم مع الله تعالى، القائم مع شرعه وإرادته وبما يوافق أحكامه وقدره وقضاءه، وقيامه هذا (له) فلا يطلب من هذا القيام إلا وجهه الكريم سبحانه وتعالى.

ـ 8 ـ المصالح والمكاره

قال الإمام: (المصالح في طي المكاره)[2]

التعليق::

(المكاره) البلايا والأهوال والأقدار والمصاعب، فإذا صبر عليها المسلم كان من الصابرين، وإذا صاحب هذا الصبر شكر، كان من الشاكرين، وهي أعلى درجات الإيقان، وباب من أبواب الولاية، وبهذا فإن في بطون البلوى مصالح ومنافع للخلق.

ـ 9 ـ الأضداد

قال الإمام: (لكل شيء ضد، العافية والبلية)[3].

(1) جلاء الخواطر: ص210، ص211.

(2) جلاء الخواطر: ص201.

(3) المصدر السابق: ص200.

التعليق:

هذه من أهم المرتكزات، فكل شيء في الحياة له ضد، الدنيا والآخرة، الحياة والموت، ومن هنا يتم التعاطي والمعاملة، بإجادة التعامل مع الأضداد، في تفريقها مرة، وجمعها أخرى.

ـ 10 ـ الكنز الأعظم العظماء

قال الإمام: (الكنز الأعظم كن فيكون) (من خلع الكرامة وهو كنز لا ينفد، فيه أمن وشفاعة وتفويض في الملك، ويدعون في الملكوت عظماء).

(فوض إليهم ملك الدنيا والآخرة من وراء معقول الخلق)[1]

التعليق:

النص واضح (كن فيكون) وهو الأمر الإلهي، (والعظماء) الذين حصلوا على تفويض من مالك الملك، وهذا الأمر ذوقي معرفي (من وراء معقول الخلق). وهؤلاء العظماء هم أهل الولاية أولياء الله الصالحون، الذين جاء ذكرهم في كتابه، كيف نقلوا عرش بلقيس وغيره، هؤلاء لم يفعلوا ما فعلوا بقدرتهم، بل بتفويض من الله ﷻ.

ـ 11 ـ الإحضار

قال الإمام: (إذا أحضر الخالق ذهب الخلق، وإذا أُحضرت الآخرة ذهبت الدنيا)[2].

التعليق:

هذا أمر مهم في التربية، فالمطلوب الإحضار (الحضور) الدائم في القلب للخالق ليغيب الخلق عنه، والإحضار الدائم في القلب للآخرة لتذهب الدنيا، ومن تحقق بهذا الحضور صار من أهل الطريق.

---

(1) المصدر السابق: ص210.

(2) جلاء الخواطر: ص200.

ـ 12 ـ التهيئة

قال الإمام: (إذا أرادك لأمر هيأك له، هذا أمر باطن، وهو القدر والسابقة والعلم)[1].

التعليق:

قلنا الاستسلام في الباطن لإرادته، عندها سيأتي حكمه وأمره فيك، وأنت له مراقب، فإذا أرادك لأمر معين ومخصوص، (هيأك له) جعلك متمكنا منه، وجعل الإمكان من حولك موافقاً لك كذلك، وهذا الأمر الذي هيأك له، هو قدرك ومكتوب في العلم السابق.

ـ 13 ـ باب الباطن (السر)

قال الإمام (ﷺ) وهو يتحدث عن باب الباطن والسر: (يفتح لك من غير حولك وقوتك وظنك)[2]

التعليق:

باب الباطن (السّر) مفتوح على الحق، مغلق عليك، إلا إذا طرقته، وطرقه يتم بالذكر الدائم، والوقوف مع الله تعالى في كل أحوالك، عند ذلك، يفتح لك، إلا أن هذا الفتح لا يأتي بتوقيتك أنت، بل بتوقيت رباني.

ـ 14 ـ بداية الطريق ونهايته

قال الإمام: (هذا الطريق محو وفناء، في البداية مع ضعف الإيمان لا إله إلا الله، وفي النهاية عند قوة الإيمان لا إله إلا أنت، لأنه مخاطب حاضر مشاهد)[3].

---

(1) المصدر السابق: ص185.

(2)المصدر السابق: ص193.

(3) الفتح الرباني: ص248.

التعليق:

الفناء عن كل مذموم ومحو كل مستقبح، و(الطريق) طريق أهل الله، فتنتقل من الخطاب العام في البداية، إلى الخطاب بـ (أنت) وكأنك مشاهد له حاضر، (واعبد ربك كأنك تراه) ومن يرى بالمشاهدة القلبية يخاطبه بـ (أنت). وهو مقام الإحسان العظيم.

ـ 15 ـ القيامة العامة والقيامة الخاصة

قال الإمام (يوم موتك قيامة خاصة في حقك، ويوم القيامة في حقك وغيرك)[1] .

التعليق:

(القيامة العامة) قيامة مشتركة في حق الخلق جميعاً، أما (القيامة الخاصة) فهي في حق كل واحد، وهو الموت، عنده ينقطع عملك، أراد بذلك: أن يحث المسلم نفسه للعمل، وأن يقوم على نفسه قيامته، بالموت عن نفسه وهواها، وعن الدنيا، ويحاسب نفسه كل يوم بقيامته الخاصة.

ـ 16 ـ حياة القلب

قال الإمام (في دوام ذكر الله ﷻ، وإذا داوم القلب على ذكر الله ﷻ، جاءته المعرفة والعلم والتوحيد)[2].

التعليق:

النص واضح ولا يحتاج إلى تعليق .

---

(1) جلاء الخواطر: ص136.

(2) جلاء الخواطر: ص244.

ـ 17 ـ الهم

قال الإمام: (على قدر همك تعطى، وعلى قدر همك تُمنع)[1].

التعليق:

(الهم) من الهمة وهو العزم السابق للإرادة، وصاحب الهمة يعطى على قدر همته، وقوة عزمه، وإصراره.

ـ 18 ـ النبي والولي

قال الإمام: (الولي من شرطه الكتمان، والنبي من شرطه الإظهار)[2].

التعليق:

(الكتمان) كتمان الولاية والكرامة والحال من قبل الولي، أما (النبي) فشرطه (الإظهار) أي الظهور بنبوته وبمعجزاته ودعوته وشريعته. وهذا الجانب مهم لأهل السلوك.

ـ 19 ـ الإفراغ

قال الإمام (تفريغ القلب لله تعالى وحده)[3]

التعليق:

هذه من أهم أدوات السلوك القادري، وهي الإفراغ، فالمريد السالك في بدايته مليء بتعلقات وأسباب،تعلقت به من الدنيا والخلق، فيقوم الشيخ بإفراغ هذه العلوم والتعلقات، وبعد (تفريغ) القلب منها، يملأها بالتوحيد والذكر وعلوم الشريعة والطريقة.

---

(1) المصدر السابق: ص228.

(2) المصدر السابق: ص104.

(3) جلاء الخواطر: ص221.

ـ 20 ـ الحكم والعلم

قال الإمام: (الحكم مشترك والعلم خاص).

(الحكم إيمان والعلم عيان).

(إذا لم تتبعوا الحكم فلا وصول لكم إلى العلم).

(الحكم يفرق والعلم يجمع).

(من تهذب بالحكم آنسه بالعلم).

(الحكم باب مشترك، والعلم باب خاص)[1].

التعليق:

الحكم حكم الله تعالى في الخلق وفي كل واحد، ويشمل جميع البشر لذا فهو مشترك، أما العلم فهو إما بالتحصيل فهو فردي لكل واحد، أو لدني، وهو علمُ من لدن الله، يهبه لخصوص خلقه. فمن آمن بحكم ربه وصل إلى العلم، فالحكم يحتاج إلى الإيمان بأحكام الله، بينما يحتاج العلم إلى الحجة والعيان مع ملاحظة إن العلم هنا ليس مطلق، بل هو خاص.

وهذه المقولات عظيمة لم يمعن النظر فيها. وأدعو إلى دراستها والتوغل فيها، والوقوف على خباياها من قبل الدارسين وكذلك السالكين، لأن فيها إجابات على الكثير من الأسئلة المهمة.

ـ 21 ـ الفاني

قال الإمام: (الفاني عن نفسه وصفاته، عن حوله وقوته وحركته وإرادته ومناه ودنياه وأخراه... فلا يحكم عليه غير القدر، ولا يوجده غير الأمر، موجود لمولاه)[2].

---

(1) المصدر السابق: ص190، ص238، ص250.

(2) الغنية: ص1272.

التعليق:

(الفاني) من الفناء، وهو الذي أوقف حاله ونفسه بكليته على (مولاه) ﷻ، بعد أن خرج من (نفسه) وهواها.

ومن (صفاته) أي فناء صفاته المذمومة بصفات محمودة، عن (حوله وقوته) لا حول ولا قوة إلا بالله، (وحركته وإرادته) لا إرادة إلا ما أراد الله وكذلك فعله، (ومناه) لا منى له إلا مطلوبه، (ودنياه وأخراه) لا يريد دنيا وآخرة إنما يريد وجه الله تعالى.

ـ 22 ـ طريق الفناء

قال الإمام: (علامة فنائك عن إرادتك بفعل الله أنك لا تريد مراداً قط، وعلامة فنائك عن هواك ترك التكسب والتعلق بالسبب في جلب النفع ودفع الضر)[1].

التعليق:

الفناء عن الإرادة، بأن تكون مع إرادة الله، والفناء عن الهوى بترك رؤيتك للأسباب والأفعال في جلب النفع والضر لك، لأنه لا كاشف للضر إلا الله، ولا مانع يمنع منافع الله من الوصول إليك.

ـ 23 ـ الوصول هو الفناء

قال الإمام: (ومعنى الوصول إلى الله ﷻ، خروجك عن الخلق والهوى والإرادة والمنى، والثبوت مع فعله من غير أن يكون منك حركة فيك، ولا في خلقه بك، بل بحكمه وأمره وفعله، فهي حالة الفناء يعبر عنها بالوصول)[2].

(1) فتوح الغيب: ص67.

(2) فتوح الغيب: ص75.

التعليق:

توضحت في هذه العبارة معنى الوصول عند السادة الصوفية، وكذلك مضمون الفناء، فالفناء هو الوصول، وطريقه ترك كل ما سوى الله تعالى.

ـ 24 ـ الفناء والمعرفة

قال الإمام: (عتبة الفناء، وهو الوصول إلى قرب الله ﷻ والمعرفة به)[1].

التعليق:

قلنا الوصول والفناء شيء واحد، وأضاف إلى ذلك المعرفة، لأن من نتائج القرب والوصول (المعرفة به)، وهذه المقالات على قصر عباراتها تُركز المعنى لمفاهيم كبيرة، استغرق بها السادة الصوفية طويلاً.

ـ 25 ـ الجلال والجمال

قال الإمام: (فالجلال والعظمة يورثان الخوف والقلق، والوجل المزعج، والغلبة العظيمة على القلب بما يظهر على الجوارح).

وقال: (مشاهدة الجمال فهي تجلي القلوب بالأنوار والسرور والألطاف)[2]

التعليق:

عن الأثر النبوي الطيب للرسول الكريم ﷺ:

1. في الجلال: إنه ﷺ كان إذا دخل الصلاة يسمع من صدره أزيز، لرؤيته الجلال، وخشوعه وخوفه.
2. وفي الجمال: إنه ﷺ كان يقول لبلال (رضي الله عنه): أرحنا يا بلال لندخل بالصلاة، وكان يقول ﷺ (جعلت قرة عيني في الصلاة).

---

(1) المصدر السابق: ص126.

(2) فتوح الغيب: ص71.

وهذا مقام النبي الأكرمﷺ في مناوبة الجمال والجلال.

في عبادة واحدة وهي الصلاة، فما بالك في غيرها.

والحمد لله رب العالمين

نزهة الخاطر الفاتر
في ترجمة الشيخ عبد القادر
قُدّس سرّه الباطن والظّاهر

للعلّامة الكبير الملّا علي القاري
المتوفى ١٠١٤هـ سنة

ترجمة مختصرة لمؤلف الكتاب العلامة الملا علي القاري (رحمه الله تعالى)

هو العلامة الملا علي بن سلطان محمد الهروي القاري الحنفي، نور الدين، ولد في هراة، ورحل إلى مكة المكرمة واستقر بها إلى أن توفي بحدود (1014هـ/1606م)، له تصانيف كثيرة تعد بعشرات الكتب والرسائل، كتب في كل علم ولون وفن، في الفقه والحديث والأدب، وأشار إليه الشوكاني في البدر الطالع وذكر علو منزله واجتهاده.

ومن مؤلفاته هذا الكتاب الرائع (نزهة الخاطر الفاتر في ترجمة الشيخ عبد القادر قُدس سره الباطن والظاهر) والذي أشار إليه حاجي خليفة في كشف الظنون: ج5. ص600 بعنوان (نزهة الخاطر الفاتر في ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلي).

وذكر له عشرات الكتب الأخرى منها: (الاستئناس بفضائل ابن عباس) و(حاشية على تفسير الجلالين) و(حاشية على فتح القدير) و(المورد الروي في المولد النبوي).

وعن الشوكاني قال: له (شرح المشكاة) و(شرح الشمائل) و(شرح الشفا) طبع هذا الكتاب في دار الكتب العلمية، و(شرح الوترية) و(شرح الجزرية) و(شرح النخبة) و(شرح الشاطبية).

وذكره عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين: ج7- ص10، وسرد عناوين بعض من مؤلفاته: (مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح) و(تلخيص القاموس باسم الناموس) و(شرح الرائية في رسم المصحف) و(شرح الرسالة القشيرية في التصوف) في مجلدين، و(أنوار القرآن وأسرار الفرقان).

وكتب الملا علي القاري كثيرة متنوعة أكثر من حصرها في هذا المختصر رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته.

نزهة الخاطر الفاتر في ترجمة الشيخ عبد القادر قدس سره الباطن والظاهر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل أولياءه السادة النجباء أقطابًا وعمادًا وللأرض

وللجبال أعلامًا وأوتادًا وصيرهم للخلق غوثًا وأبدالًا وأمدادًا [illegible]

والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وسند الأصفياء وسند العلماء هداية وإرشادًا وعلى

آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه الذين جعلهم الله لتقوية الدين أعوانًا وأسنادًا أما بعد فيقول

راجي بركة العالمين من ربه الباري علي بن سلطان محمد القاري إنه بلغني أن بعض الجهلة بمقام

مولانا وسيدنا تاج المفاخر الذي خضع له رقاب الأكابر القطب الرباني والغوث الصمداني الشيخ

عبد القادر الجيلاني قدس الله روحه وفتح علينا فتوحه قال إن الشيخ ليس بسيد في النسب

وإنه لم يعقب أولادًا حتى [illegible] إليه أن بعض [illegible] في الكتب انتهى وهو كلام

العامة حيث لم يوفق بتحقيق الخاصة وكان حقه أن يقول لا أدري فإنه نصف العلم كما جاء في الخبر

المروي وأما المبادرة في باب النسب بنفي أو إثبات من غير نقل عن عدول وأثبات فغير لائقة

لأرباب العلوم والديانات إذ يخشى منه في مقام المجازاة [illegible] ما أورد [illegible] على

[illegible] فأحببت أن أذكر بعض ما يتعلق بنسبه الشريف وحسبه اللطيف

فإنه ممن جمع بين الأمرين من الشرفين [illegible] وغريب الشهود في الكونين أما بيان

نسبه إجمالًا فقد ذكر مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامي قدس الله سره السامي في نفحات

الأنس من حضرات القدس أن الشيخ سيد ثابت النسب الجامع بينه وبين [illegible] فإنه

علوي حسني من جانب الأب [illegible] من جانب الأم سبط أبي عبد الله الصومعي أحد المشايخ

العظام والأولياء الكرام له الأحوال السنية والكرامات الجلية وأما تفصيلًا فقال الشيخ عبد الله

ابن أسعد اليافعي اليمني الشافعي في تتمة روض الرياحين في حكايات الصالحين أن الشيخ محيي الدين

أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن

داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بضم الجيم يعني الأسود لقب موسى ابن عبد الله المحض

وهو لقب ومعناه الخالص ابن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

سبط أبي عبد الله الصومعي الزاهد [illegible] الرحمة والرضوان قال

وأمه

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة

(نزهة الخاطر الفاتر في ترجمة الشيخ عبد القادر

قُدس سره الباطن والظاهر) للعلامة الكبير الملا علي القاري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل أولياءه السادة للسماء أقطاباً وعماداً، وللأرض والجبال أعلاماً وأوتاداً، وصيرهم للخلق عوناً[1] وإمداداً، وكثرهم لظهور الحق بكونهم أبدالا وأعداداً، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء، وسند الأصفياء، ومسند العلماء، هداية وإرشاداً، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه، الذين جعلهم الله لتقوية الدين أقواماً وأجنادا، أما بعد: فيقول راجي بركة الصالحين من ربه الباري علي بن سلطان محمد القاري[2]: بلغني أن بعض الجهلة بمقام مولانا وسيدنا تاج المفاخر، الذي خضع رقاب الأكابر القطب الرباني والغوث الصمداني الشيخ عبد القادر الجيلاني، قدس الله روحه وفتح علينا فتوحه.

نسبه الشريف

فأحببت أن أذكر بعض ما يتعلق بنسبه الشريف، وحسبه اللطيف، فإن من جمع بين الأمرين ومن اللونين[3] (عزيز الوجود) وغريب الشهود في الكونين.

أما بيان نسبه إجمالاً، فقد ذكر مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامي (قدس الله سره السامي) في نفحات الأنس من حضرات القدس[4]: إن الشيخ سيدنا ثابت

---

(1) القطب: محور أهل السلوك ومركزهم، فإذا تحقق في الالتجاء صار قطباً غوثاً.

(2) المعروف باسم الملا علي القاري.

(3) يقصد جمع شرف النسب مع شرف العلم والتقوى.

(4) عبد الرحمن الجامي شيخ الإسلام الهروي الأديب الصوفي (ت 898هـ)، يعد كتابه (نفحات الأنس في حضرات القدس) في طبقات المشايخ، حاجي خليفة- كشف الظنون: ج5- ص433.

النسب، الجامع بينه وبين الحسب، فإنه علوي حسني من جانب الأب، وهو من جانب الأم سبط أبي عبد الله الصومعي أحد المشايخ العظام، والأولياء الكرام، له الأحوال السنية، والكرامات الجلية.

وأما تفصيلاً، فقال: الشيخ عبد الله ابن أسعد اليافعي اليمني الشافعي[1]، في تتمة روض الرياحين لحكايات الصالحين، إن الشيخ محيي الدين أبا محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون (بضم الجيم يعني الأبيض وهو لقب) ابن عبد الله المحض (وهو لقب ومعناه الخالص) بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم)[2].

سبط أبي عبد الله الصومعي الزاهد، وبه يعرف حين كان بجيلان عليه الرحمة والرضوان، قال: وأمه أم الخير فاطمة بنت أبي عبد الله الصومعي، وكان له حظ وافر من الخير والصلاح[3].

---

(1) صنف الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي كتابا في مناقب الإمام عبد القادر الكيلاني سماه (أسنى المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر) وله كتاب آخر لنفس الغرض، سماه (خلاصة المفاخر في أخبار الشيخ عبد القادر).

(2) النسب الشريف للإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ)، موثق كما لم يوثق نسب آخر مثله، من خلال عشرات الكتب والوثائق والمستندات التاريخية، وهو نسب حسني خالص نقي طاهر، وثقه ابن رجب الحنبلي في طبقاته، والسيد حسن بن عبد الرحمن الأهدل الحسيني اليمني في تاريخه المختصر، وعبد الرؤوف المناوي في الكواكب الدرية، والعلامة محمد بن شاكر الكتبي في تاريخه فوات الوفيات ذيل ابن خلكان، وزين الدين عمر ابن الوردي في تاريخه المسمى (تاريخ ابن الوردي) وعبد الوهاب الشعراني في الطبقات الكبرى، والعلامة الكبير المفسر أبو الثناء محمود الآلوسي في كتابه الطراز المذهب، والبكري الفاسي في كتابه نتيجة التحقيق، وكتابنا تاريخ النقباء وهناك أكثر من مئة مصدر ومرجع يوثق هذا النسب الشريف، وبما لا يدع شكا لمتصيد طاعن.

(3) توفيت والدته في جيلان ودفنت هناك، وأم أم الخير سعدة بنت أبي البسام الجيلية جدة الشيخ لأمه، كان لها قدم صدق في هذا الأمر رضي الله عنها: انظر مخطوطة بهجة الشيخ العلي علاء الدين الكيلاني.

وعمته المرأة الصالحة أم محمد عائشة، ذات الكرامات الظاهرة والمقامات الباهرة[1].

قال: ولقب عبد الله بالمحض[2]، لأن أباه الحسن بن الحسن بن علي، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي، وهي نسبة حالة من الموالي أو خالصة في الشرف العالي.

وبه يتبين إن الشيخ ﷺ، سيد شريف من الطرفين[3]، بحسب الابتداء الذي عليه مدار الانتهاء.

وقال الشيخ العلامة، زروق في قواعده[4]، المتضمنة لموائد فوايده، لما تكلم في النسب المصطفوي إن المعتبر أصل النسب الديني وفرعه مجرداً، ثم إن انضاف إلى الطيبين كان له مؤكداً، فلا تلحق رتبة صاحبه بحال أبدا، وبذا أجيب عن قول الشيخ أبي محمد عبد القادر: قدمي هذه على رقبة كل ولي في زمانه[5]، لأنه جمع من علو

---

(1) انظر تاريخ النقباء: ص28. ومن هذه وغيره يستدل على أن الإمام نشأ في عائلة صوفية من أهل السلوك والطريق، ولهم قدم في هذا السلوك قديم.

(2) عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم جميعاً)، وذكره المصعب الزبيري في كتاب قريش ص51 قال: فولد الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب: محمداً ... وعبد الله بن حسن وفيه البقية...، وكان الحسن بن الحسن خطب إلى عمه الحسين بن علي، فقال له الحسين: يا ابن أخي، قد انتظرت هذا منك انطلق معي. فخرج به حتى أدخله داره، ثم أخرج بنتيه فاطمة وسكينة، فقال: اختر، فاختار فاطمة، فزوجه إياها. انتهى فهو محض خالص نقي من جهة الأب وجهة الأم.

(3) والإمام عبد القادر الكيلاني كذلك شريف من الطرفين، فوالده شريف حسني، ووالدته علوية حسينية. كما هو ثابت بالأدلة والأسانيد القطعية.

(4) يقصد به الشيخ أحمد بن احمد بن محمد زروق وكتابه قواعد التصوف، مطبوع: وهو من أهم الكتب المعتبرة في التصوف.

(5) هذه المقولة (قدمي هذا على رقبة كل ولي) شرحت وفسرت كثيراً، وخلاصة ذلك (قدمي هذا) أي طريقتي هذه ومنهجي هذا، (على رقبة كل ولي) واجبة الإتباع لمن يدعي الولاية، أي إنها ذمة برقبة الأولياء في أتباعها والسير على هذا القدم وبهذا المنهج.

النسب وشرف العبادة والعلم، ما لم يكن لغيره من أهل وقته، إلا ما ترى ما روي من احتلامه في ليلة واحدة سبعين مرة، واغتساله لكل منها. وفتيا الملك، حلف ليعبدن الله بعبادة لا يشركه فيها غيره، بإخلاء المطاف، بعد وقوف الكل دونه في ذلك، انتهى.

الفتوى

ولا يخفى إن الشيخ حنبلي المذهب في أصل بيانه، وكان يفتي في المذاهب الأربعة من زمانه، وإنما أفتي بتخلية المطاف للسلطان في تلك الأوقات، بناءً على إن الضرورات تبيح المحظورات، فلا ينافي ما حكي أن المهدي[1] لما قدم مكة لبث ما شاء الله، فلما أخذ من الطواف نُحي الناس عن البيت، فوثب عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه وقال له: انظر ما تصنع، من جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البعد، حتى إذا صاروا عنده حلت بينهم وبينه، والحكاية في الإحياء[2].

أولاده

وأما بيان أولاده، ففي آخر فتوح الغيب[3]، أنه لما مرض مرضه الذي مات فيه، قال له ابنه عبد الوهاب أوصني يا سيدي بما اعمل به بعدك؟

فقال: عليك بتقوى الله، ولا تخف أحداً، ولا ترج سوى الله، وكل الحوائج كلها إلى الله، ولا تعتمد إلا عليه، وأطلبها جميعاً منه، ولا تثق بأحد غير الله.

ثم سأله ولده عبد العزيز عن ألمه وحاله؟

فقال: لا يسألني أحدٍ عن شيء، ها أنا أتقلب في علم الله.

---

(1) المهدي: يقصد به الخليفة العباسي المهدي.

(2) لعله يقصد إحياء علوم الدين للإمام الغزالي.

(3) كتاب فتوح الغيب، وهي مجالس للإمام عبد القادر الكيلاني، طبع طبعات كثيرة، ومنها طبعة دار الكتب العلمية.

وسأله ولده عبد الجبار: ماذا يؤلمك من جسدك؟

قال: كل أعضائي تؤلمني، إلا قلبي فما به ألم، وهو صحيح مع الله ﷻ.

هذا ويفهم مما سبق من تكنيته بأبي محمد، أن له ولداً يسمى محمد[1]، ومن تكنية زوجة الشيخ بأم يحيى، أن له ولدا مسمى بيحيى[2].

وفي رواية لأم ولده يحيى صريحاً.

وللشيخ عبد الهادي السودعي اليمني في مدحه:

أبا صالح لله ثم رسوله أغثني فإني صرت كالحوت في البر

فهذا يفيد أنه كان له ابن اسمه صالح[3]، وكانت له بنت تزوجها ابن الشيخ أبي الحسن بن احمد الطفسونجي[4]، وهو من المشايخ الكبار. وحين احتضر قال له ولده أوصني، قال: أوصيك بحفظ حرمة الشيخ عبد القادر، فلما توفي جاء ابنه إلى الشيخ، فأكرمه وألبسه خرقته، وزوجه ابنته، وصار من الأولياء العارفين، كذا في الذيل ملخصا، وفيه أيضاً عن الشيخ أبي بكر بن عبد الرزاق، وعن أبي صالح نصر، قال سمعت عمي أبا عبد الله عبد الوهاب، فهذا يدل على كون أبي بكر وأبي صالح وأبي عبد الله أسباطا للشيخ[5]، فيكون له ذرية طيبة.

---

(1) ذكرنا ترجمة السيد محمد بن سيدنا عبد القادر الكيلاني، في مقدمة كتابنا أبواب التصوف.

(2) نعم له ولد اسمه يحيى وهو أصغر أولاده، سافر إلى مصر وأعقب ولداً يدعى عبد القادر، وعاد إلى بغداد.

(3) صالح بن سيدنا عبد القادر الكيلاني، مرقده كان في كرخ بغداد، ثم نقل إلى الحضرة القادرية.

(4) له من البنات: خديجة وفاطمة عائشة، ونجهل أسماء الأخريات.

(5) الصحيح أحفاد وليس أسباط، لأن السبط ابن البنت، وهؤلاء الذين أشار إلى أسمائهم، وهم أبو صالح قاضي القضاة ابن عبد الرزاق بن عبد القادر الكيلاني وأشقاؤه عبد الرحيم وإسماعيل وفضل الله وشقيقاته سعادة وعائشة هم احفاده انظر: تاريخ النقباء: ص64.

وروي عن الشيخ إنه قال إذا ولد لي ولد أخذته على يدي وقلت: هذا ميت فأخرجه من قلبي، فإذا مات لم يؤثر عندي موته شيئاً لأني قد أخرجته من قلبي، أول ما يولد.

قال الراوي: فكان يموت من أولاده الذكور والإناث ليلة مجلسه، فلا يقطع المجلس، ويصعد الكرسي ويعظ الناس، والغاسل يغسل الميت، فإذا فرغوا من غسله، جاؤوا به إلى المجلس، فينزل الشيخ ويصلي عليه.

وله أخ اسمه الشيخ أبو أحمد عبد الله، سنه دون سنه، نشأ صالحاً في العلم والخير، ومات شاباً.

وكان له أخت اسمها عائشة أم محمد بنت عبد الله[1]، ذات الكرامات الظاهرة والآيات الفاخرة، روي أن بلاد جيلان أجدبت مرة، واستسقى أهلها فلم يُسقوا، فأتى الشيوخ إلى دارها وسألوها الاستسقاء لهم، فقامت إلى رحبة بيتها وكنست الأرض وقالت: يا رب أنا كنست فرش أنت، فلم يلبثوا أن مطرت السماء كأفواه القرب، فرجعوا إلى بيوتهم يخوضون في الماء. وقد عمرت وماتت بجيلان رضي الله عنها. وقد ثبت أن له ولدا اسمه عيسى تفقه على والده وغيره، ودرس ووعظ، وأفتى وصنف الكتاب المسمى (بجواهر الأسرار ولطائف الأنوار) في علوم الصوفية، وقدم مصر وحدث بها[2].

ومن تفقه على الشيخ من أولاده عبد الوهاب وعبد العزيز وعبد الجبار وعبد الرزاق[3]، وقد حدث وأملى ووعظ وأفتى، وإبراهيم رحل إلى واسط وتوفي بها،

---

(1) وقع خلط بين عمته وأخته. وهذه الحادثة لعمته عائشة.

(2) عيسى بن سيدنا عبد القادر الكيلاني، تفقه على والده وعلى ابن صرما، وتخرجت على يده طبقة من أهل مصر، ودخل الشام سنة 563، وتوفي بمصر سنة 573 هـ، التادفي قلائد الجواهر: ص247. وقيل دفن في القاهرة، وله عقب منهم في حلب.

(3) الشيخ عبد العزيز توفي سنة 602هـ، ودفن في جبل حيال في الموصل وقبره ظاهر يزار، وعبد الجبار توفي 575هـ ببغداد وقبره ظاهر يزار، وعبد الرزاق توفي ببغداد 603هـ، ودفن بـ باب حرب.انظر الدبيثي- ذيل تاريخ مدينة السلام: ج4. ص169.

ومحمد وعبد الله[1].

ويقال انه حدث وهو أسن أولاده ويحيى وقد حدث وقدم مصر وانتفع به ودرس وحدث بدمشق وعمر وانتفع به، ودخل مصر واستوطن دمشق وتوفي بها، وهو آخر من مات من أولاده.

وغالب موت أولاد الشيخ ببغداد، ولهم تربة معروفة قريبة من تربة الشيخ فهؤلاء عشرة من أولاده[2].

الأسباط

ومن الأسباط الذين تفقهوا على جدهم، عفيف المبارك الناسخ، وعبد السلام ابن عبد الوهاب وأخوه الشيخ سليمان وقد حدث[3].

وأما الشيخ نصر بن عبد الرزاق فقد تفقه على والده وعمه، وحدث وأملى، ووعظ وأفتى، وتولى القضاء بمدينة السلام، وتوفي ببغداد، ومن أخوته عبد الرحيم ابن عبد الرزاق، سمع المشايخ وحدث وتوفي ببغداد، ودفن بمقبرة الإمام أحمد.

وأبو المحاسن تفقه على والده وغيره، وسمع منه ومن عمه عبد الوهاب، وأبي الفتح وغيرهم، وتوفي شهيدا بأيدي التتار في بغداد.

---

(1) إبراهيم بن سيدنا عبد القادر الكيلاني توفي في واسط 590 هـ وهناك مرقد في قلعة أربيل شمال العراق يعتقد أهل المدينة أنها للسيد إبراهيم، ومحمد ذكرنا ذلك، انظر: التادفي- قلائد الجواهر: ص249، المنذري- التكلمة: ترجمة 1567 الذهبي- تاريخ الإسلام: ج12. ص421. الشطنوفي- بهجة الأسرار: ص115 الدروبي- المختصر في تاريخ شيخ الإسلام: ص115، وكتابنا تاريخ النقباء من ص61-72.

(2) ولد للإمام عبد القادر الكيلاني تسعة وأربعون ولدا وبنتا، منهم من توفى في حياته وأثناء طفولته، ومنهم من لا نعرف عنه شيئا.

(3) عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الكيلاني، تولى عمادة بغداد وتوفي 618هـ، وأخوه سليمان توفي 611هـ، وللأخير ذرية منهم داود له تفسير للقرآن الكريم في أربع مجلدات. توفي 648هـ. ودفن في الحلبة. انظر: إبراهيم الدروبي- الباز الأشهب: ص19. وكتابنا تاريخ النقباء ص66.

وأختاه سعادة وعائشة سمعتا من الشيخ وحدثتا.

وعبد الرحمن حدث عن جده وغيره، وأخوه عبد القادر تفقه على عمه عبد الرزاق وغيره[1].

ومحمد بن عبد العزيز، سمع من غير واحد، وأخته زهراء أجاز لها عبد الحق وعبد الرحمن ابنا عبد الخالق وغيرهما، وحدثت وتوفيت ببغداد.

وداود بن عبد الوهاب، تفقه وسمع وحدث، وتوفي ببغداد ودفن عند أبيه قريباً من جده.

ومحمد بن نصر، تفقه على والده وسمع وحدث، وله كلام حسن على لسان أهل الحقيقة، وله شعر بديع في بيان الطريقة، وقد سُئل عن التمكن.

فأنشد وقال:

يسقى ويشرب لا تلهيه سكرته عن النديم ولا يلهو عن الكأس

أطاعه سكره حتى تحكم في حال الصحوة ذا من أعجب الناس

فهؤلاء أربعة عشر من أسباطه ذرية طيبة، على طرف بساطه كلهم بلغوا مرادهم في وادي نشاطه وانبساطه، فحق أن يقال له في حق من أنكر أن شانئك هو الأبتر، وبهذا يتبين أن نسب أولاد مولانا الحسن، أمر محقق لا مرية فيه، بل إنه غير منقطع إلى يوم القيامة.

---

(1) الشيخ عبد الرحيم بن عبد الرزاق بن عبد القادر الكيلاني، حدث وانتفع به خلق كثير توفي 606هـ ودفن بباب حرب، وأشقاؤه: إسماعيل تفقه وحدث توفي ببغداد، وفضل الله أبو المحاسن تفقه وحدث استشهد على يد المغول سنة 656هـ، وأبو صالح نصر قاضي القضاة فقيه محدث، قيل عنه شيخ الوقت، وبعد القضاء درس في مدرسة جده، وصنف كتاب (إرشاد المبتدئين) في الفقه توفي 633هـ ودفن بدكة الإمام أحمد بباب حرب. انظر: التادفي- قلائد الجواهر: ص53. وعلي الكيلاني مخطوطة بهجة الشيخ. والدبيثي- ذيل تاريخ مدينة السلام: ج4. ص89. وتاريخ النقباء ص78.

حليته وخلقته

وأما بيان حليته وأصل خلقته، فقال الشيخ الإمام العلامة أبو عبد الله بن أحمد ابن محمد بن قدامة، كان شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر الجيلي ﷺ، نحيف البدن، ربع القامة، عريض الصدر، عريض اللحية، أسمر مقرون الحاجبين، ذا صوت جهوري، وسمت بهي، وقدر علي، وعلم وفي، وفهم ذكي، وقد شمر عن ساق الاجتهاد في طلب فروعه وأصوله، وقد قصد الأشياخ الأئمة، وأعلام الهدى من علماء الأمة، فاشتغل بالقرآن حتى أتقنه، وعم بدراسته سره وعلنه، وتفقه بأبي الوفا علي بن عقيل وغيره، من العلماء مذهباً ومشرباً وفروعاً وأصولاً، ومعقولاً ومنقولاً.

وسمع الحديث من جماعة المحدثين كما سيأتي أسانيده فيما جمعت له من الأربعين.

وقرأ الفن الأدبي على يحيى بن علي التبريزي.

وصحب المشايخ الكرام، والأولياء العظام، كما سيأتي، فيما يكون أليق من هذا المقام، حتى فاق أهل زمانه وبرع من بين أقرانه، وقد تجرع الغصص ومر الشدائد والبلوى، ورفض العوائق بالخلائق.

وتصدر للتدريس والمواعظ والفتوى، ولقب بإمام الفريقين أو موضح الطريقين، ومعلم الطرفين، فأصبح الزمان مشرقة به مناكبه، والدين مشرفة به مناسبه، والعلم عالية به مراتبه، والشرع منصورة به كتائبه، وانتمى إليه جمع عظيم من العلماء، وتلمذ له خلق كثير من الفقهاء، ولبس الخرقة من جمع لا يحصون من الفقراء والمشايخ الكبراء، والعلماء الخبراء.

وجمهور شيوخ اليمن يرجعون في لبس الخرقة إليه، فبعضهم لبسها من يده راحلين إليه، والأكثرون من رسوله الذي أرسله إليهم بين يديه.

وقد فضل الشيخ المحقق أبو مدين المشرق على المغرب، لوجود الشيخ عبد القادر من ذلك الجانب المشرق.

مؤلفاته

ثم علم إن للشيخ مصنفاً مسمى (الغنية) وهو كتاب جليل، فيه المنية، ومنها فتوح الغيب وهو خلاصة التصوف المبرأ من العيب، ومنها جلاء الخاطر في الباطن والظاهر، ومنها مكاتيب بالفارسي لبعض أصحابه من الأعاجم، فيها فوائد لأولي الإفهام، ومنها أشعار لطيفة، متضمنة لأسرار شريفة، مشتملة على مقامات منيفة[1].

ولادته ووفاته

وبلده كيلان- بكسر الكاف- وعرب بالجيلان، وقد يُقتصر ويقال الجيلي.

وولادته سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، ووفاته عام واحد وستين وخمسمائة، فعمره مستو، موافقاً لعمره ﷺ، في إحدى روايات المحدثين الأعلام وقد ورد السعيد من سعد في بطن أمه وهو يحتمل أن يكون باعتبار الانتهاء، وأن يكون من أول الابتداء كالأنبياء وبعض الأولياء، ومنهم الشيخ فإن أمه أم الخير الملقبة بأمة الجبار، حكت إن ولدها عبد القادر، لما تولد لم يشرب في نهار رمضان من لبنها، حتى وقع اشتباه في هلال رمضان، من جهة الغمام، فُسئلت أمه، فقالت: إنه لم يشرب. فتبين في آخر الأمر، إن ذلك اليوم كان من أول رمضان، قالت: واشتهر ببلدنا في ذلك الوقت، إنه ولد للأشراف ولد لا يرضع في نهار رمضان.

وروي عن الشيخ إنه قال: كنت صغيراً وخرجت يوم عرفة إلى الصحراء، وتبعت بقرة للحراثة في ذلك الفضاء، فتكلمت البقرة: يا عبد الله ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت، فخفت ورجعت، وطلعت فوق سطح لنا، فرأيت الحجاج واقفين

---

(1) كتاب الغنية لطالبي طريق الحق ﷺ، طبع في ثلاثة مجلدات، وله فتوح الغيب، والفتح الرباني، وجلاء الخواطر، وديوان شعر، والأربعون الكيلانية، وكتاب الأمر بالمعروف، وكيمياء السعادة، والمختصر في علوم الدين، ومكاتباته قمنا بتحقيقه ونشره باسم (مكاتبات سيدنا عبد القادر الكيلاني وشرحها) دار الكتب العلمية. ومقالاته الذوقية أيضاً طبع في نفس الدار.

بعرفة، فدخلت على أمي، وقلت اعتقيني لله، واتركيني في سبيله، وأذني لي لأن أذهب إلى بغداد لخدمة العلماء العاملين، وزيارة المشايخ الصالحين.

فسألتني عن الداعي إلى ذلك، فذكرت لها ما رأيت هناك، فبكت وقامت ودخلت البيت، وأخرجت ثمانين ديناراً من إرث والدي، وتركت أربعين لأخي، وخيطت أربعين تحت إبطي من خرقتي، وأذنت لي في السفر، وعهدت إلي بالصدق في السفر والحضر، وخرجت مودعة لي وقالت لي: يا ولدي اذهب فقد خرجت عنك لله، هذا وجه لا أراه إلى يوم القيامة، فتوجهت مع القافلة إلى بغداد، ولما تجاوزت عن همذان، ظهر ستون راكباً من قطاع الطريق، وأخذوا القافلة ولم يتعرض لي أحد، إلى أن مر عليّ واحد منهم وقال: ما معك يا فقير.

فقلت: أربعون ديناراً، قال: فأين هي؟ قلت: مخيط تحت إبطي، فتوهم استهزاءاً ومزاحاً، فتركني وراح عني، ثم مر آخر وجرى من السؤال والجواب ما جرى، فتكلما بمقولي عند رئيس القوم، فطلبني فوق تل كان يقسم فيه أموال القافلة بينهم، وسألني مثلهما، وأجبت له بما قدمت لهما، فأمر أن يفتش ثوبي، فوجد مطابقاً لقولي، فقال: ما حملك على هذا الاعتراف؟ فقلت: عهد أمي لي حال الانصراف، فبكى وقال: أنا تركت في جميع عمري عهد ربي في أمري، وتاب على يدي، وتبعه أصحابه، وردوا الأموال على أهل القافلة، وروي أن أهل القافلة تابوا على يد الشيخ أيضاً، وقاسموا المال بينهم وبين القوم، وكانوا من أول التائبين على يده في ذلك اليوم.

بغداد

وقد وصل إلى بغداد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، واشتغل بتحصيل العلوم من القراءة الحديث والفقه، والعلوم الأدبية المهمة في اللغة العربية، على علماء زمانه حتى فاق على أقرانه، من عظمة شأنه وظهور حجته وبرهانه.

وفي سنة إحدى وعشرين وخمسمائة جلس لوعظ الخلق، بدعوة الحق.

كراماته وإجازته

وأما كراماته فقد قاربت التواتر، ومعلوم بالاتفاق أنه لم يظهر ظهور كراماته وخوارق عاداته لغيره من شيوخ الآفاق، وقد لبس الخرقة من يد الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن يوسف القرشي[1] الهكاري، وهو لبسها من يد الشيخ أبي الفرج الطرسوسي، وهو من يد الشيخ أبي الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي، هو من يد الشيخ أبي بكر الشبلي قدس الله أرواحهم وآنس أشباحهم[2].

الخرقة والقطبية

هذا ومن مشايخه حماد الدباس- بتشديد الموحدة- وكان أُميّاً- وفتح عليه باب المعارف والأسرار، وصار قدوة للمشايخ الكبار. روي أن يوماً كان عبد القادر في خدمته، ولما غاب عن حضرته.

قال: إن لهذا قدماً يكون على رقاب أولياء الله، ويصير مأموراً من عند مولاه، بأن يقول هذه قدمي على رقبة كل ولي لله، ويتواضع له جميع أولياء الله في زمانه، ويعظمونه لظهور شأنه.

---

(1) لبس الخرقة الصوفية من القاضي أبي سعيد المبارك المخرمي، ولقبه المخرمي نسبة إلى محلة مخرم من بغداد، وتوفي القاضي سنة 513هـ. وكان المخرمي قد أنشأ مدرسة في باب الأزج، وفوضها قبل وفاته إلى الإمام عبد القادر الكيلاني، وفي هذه المدرسة بدأ الإمام الوعظ، وقيل في بداية أمره لم يجلس إلى وعظه سوى الرجل والرجلين، فترك ذلك، ودخل في خلوة طويلة، واشترط على نفسه أن لا يعظ، إلا بعد إذن، وفي هذه السنة أي 521 عاد إلى الوعظ بعد رؤيته للرسول الكريم ﷺ. انظر كتابنا: قطب بغداد: ص25.

(2) والشيخ أبي بكر الشبلي وهو من يد سيد الطائفة الجنيد البغدادي وهو من يد السري السقطي وهو من يد معروف الكرخي وهو من يد داود الطائي وهو من يد حبيب العجمي وهو من يد الحسن البصري وهو من يد الإمام علي بن أبي طالب وهو من يد الرسول الكريم نبينا محمد ﷺ.

روي أنه كان يوماً في منبر رباطه جالساً في بساطه، لوعظه وانبساطه، وكان عامة المشايخ قريباً من خمسين ولياً حاضراً عنده، إذ جرى على لسانه في أثناء بيانه، قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فقام رئيس المشايخ الشيخ علي الهيتي[1]- بكسر الهاء- وصعد المنبر وأخذ قدمه ووضعها على رقبته، تحقيقاً لمقالته وتسليماً لحالته، وكذا فعله بقية المشايخ الحاضرين، وكذا من غاب عنه، وانكشف له من العارفين، فإنهم تواضعوا له، حتى ذكر أن الشيخ أبا مدين المغربي[2]، في أثناء درسه لأصحابه آنسه خضع رقبته.

وقال: سمعاً وطاعة، فسئل عن ذلك، فأجاب بما جرى لعبد القادر هناك، وحكي أن واحداً من العجم امتنع من الانقياد له، فسلبت الولاية عنه، وهذا تنبيه نبيه على إنه قطب الأقطاب، والغوث الأعظم في هذا الباب[3].

كرامات أتباعه

ومن جملة كرامات الشيخ علي الهيتي، إن من ذكره عند توجه الأسد إليه انصرف عنه، ومن ذكره في أرض مبقاة اندفع البق منه بإذن الله سبحانه.

---

(1) الشيخ علي بن الهيتي، ولقب نسبة إلى مدينة هيت غرب العراق، استوطن زريران قرية من بغداد وهناك مرقده، كان من أقرب المقربين إلى سيدنا عبد القادر الكيلاني، وصفته المصادر بأنه من أكابر مشايخ العراق، وأعيان العارفين وهو أحد أركان الطريقة القادرية، وقيل هو أحد الأربعة من مشايخ العراق يسمونهم البراءة، بمعنى يبرؤون الأكمه والأبرص. توفي 564هـ انظر الشطنوفي- بهجة الأسرار: ص295.

(2) أبو مدين شعيب المغربي، من أعيان مشايخ المغرب، عالم صوفي كبير، وذكرت الروايات أنه التقى الإمام عبد القادر الكيلاني في الحج ولبس منه الخرقة وأرسل مريده صالح الدكالي لبغداد فدخل الخلوة على يد الإمام.انظر ترجمته في بهجة الأسرار للشطنوفي ص357.

(3) ذكرنا في عدد من كتبنا من إن الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) تحقق في القطبية الغوثية حتى وصل إلى مقام (المخدع) وهو الذي تعطى فيه النوالة إلى الأقطاب.

سبب وفاته في ربيع الآخر

وتوفي الشيخ في ربيع الآخر، ولعل الحكمة في تأخره عن ربيع الأول، إشعاراً بأن الولي أحط رتبة من النبي، بدرجة واحدة، أما كون وفاته في ليلة الحادي عشر أو يومه، فلم أره منقولاً، وان كان يقتضي وجهاً معقولاً[1].

من كلامه

ومن كلامه الموجز في مرامه: (لا بد لكل مؤمن في سائر أحواله من ثلاثة أشياء: أمر يمتثله، ونهي يجتنبه، وقدر يرضى به).

وقال: (من عامل مولاه بالصدق والنصاح، استوحش مما سواه، في المساء والصباح).

وقال: (الأخذ مع وجود الهوى من غير الأمر عناد وشقاق، والأخذ مع عدم الهوى وفاق واتفاق، وتركه رياء ونفاق).

وقال: (ينبغي لكل مؤمن أن يجعل حديث ابن عباس مرآة قلبه شعاره ودثاره، وحديثه، فيعمل به في جميع حركاته وسكناته، حتى يسلم في الدنيا والآخرة، ويجد العزة فيهما برحمة الله ﷻ، وهو أنه قال: بينما أنا رديف رسول الله ﷺ، إذ قال لي:

يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، جف القلم بما هو كائن، ولو جهد العباد أن ينفعوك بشيء، لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بشيء لم يقضه الله لك، لم يقدروا عليه، فإن استطعت أن تعمل لله بالصدق في اليقين فاعمل، وان لم تستطع فإن في الصبر، على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم إن النصر مع الصبر، والفرج مع

(1) الولي مهما بلغت درجته أحط رتبة من النبي، والملا علي القاري في هذا القطع يجتهد بشكل مبدع، بأن وفاة الإمام في ربيع الثاني بعد النبي بشهر وفي نفس اليوم، له دلالة في الولاية.

الكرب، وان مع العسر يسرا). والحديث مذكور في الأربعين، وقد شرحناه والله المعين.

ومن كلامه: (ما سأل الناس من سأل إلا لجهله بالله، وضعف إيمانه ومعرفته ويقينه، وقلة صبره، وما تعفف من تعفف عن ذلك إلا لوقوف علمه بالله، وقوة إيمانه ويقينه، وتزايد معرفته بربه في كل لحظة، وحيائه منه ﷻ).

ومن كلامه: (كن مع الله ﷻ، كأن لا خلق، ومع الخلق كأن لا نفس، فإذا كنت مع الله ﷻ بلا خلق، وجدت وعن الكل فنيت، وإذا كنت مع الخلق بلا نفس عدلت واتقيت، ومن التعب سلمت).

ومن كلامه: (بيني وبينكم وبين الخلق كلهم، بعد ما بين السماء والأرض، فلا تقيسوني بأحد، ولا تقيسوا علي أحدا، يعني ما لا يقاس الملوك بالحدادين) وهذا كله من فتوح الغيب.

ومن كلامه: (خطوتان وقد وصلت إلى الله، النفس والخلق) وفي رواية (الدنيا والآخرة ألا إلى الله تصير الأمور).

التوبة

وفي الغنية، عن أبي وائل ابن مسعود: من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر، فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، فإنها تسعة عشر حرفاً، ليجعل الله تعالى كل حرف منها جنة عن واحد منهم.

وقال: (من جلت مرتبته، وعظمت منزلته عند الله ﷻ، فليس عنده صغيرة، بل كل مخالفة كبيرة، وأنشد لبعضهم:

خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقي

وأصبح كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقـرن صغيرهـــا

إن الجبـال من الحصـــى

وقيل: إن الذنب إذا صغر عند العبد، عظم عند الله، وإذا استعظمه العبد صغر عند الله. وفي الحديث: (إن المؤمن يرمي ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرمي ذنبه كأنه ذباب طار على أنفه فأطاره).

وقال بعضهم الذنب الذي يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا، وهذا من نقصان إيمانه وضعف معرفته وإيقانه، وقلة علمه بجلال الله وعظمة شأنه، ولو كان عنده علم بذلك لرأى الصغير كبيرا، والحقير عظيماً، كما أوصى الله تعالى إلى بعض أنبيائه، لا تنظر إلى قلة الهدية، وانظر إلى عظم مهديها، ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها.

وقال بعض الصحابة لأصحابه من التابعين رضوان الله عليهم أجمعين، إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعرة، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات.

وعن ذي النون المصري: توبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من الغفلة، فشتان بين تائب يتوب من الزلات، وتائب يتوب من الغفلات، وتائب يتوب من رؤية الحسنات، وتائب يتوب من طمأنينة القلب إلى غير خالق البريات وعن ابن عباس في قوله تعالى ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾[1].

يعني يقدم ذنوبه ويؤخر توبته، ويقول سأتوب حتى يأتيه الموت على شر ما كان عليه، فيموت لديه.

وقال أبو علي الدقاق: التوبة وهي الرجوع إلى الله من الغيبة إلى الخطوة، على ثلاثة أقسام، أولها التوبة وأوسطها الإنابة وآخرها الأوبة، فكأن من تاب لخوف العقوبة كان صاحب التوبة، ومن تاب طمعاً في الثواب كان صاحب إنابة، ومن تاب عن الغفلة كان صاحب الأوبة.

---

(1) سورة القيامة آية5.

وقيل التوبة صفة المؤمنين، قال تعالى ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]. الإنابة صفة الأولياء المقربين.

قال تعالى ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾[2]، والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين.

قال تعالى ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[3].

التقوى

وقال الجنيد: دخلت يوماً على السري، فرأيته متغيراً فقلت له ما لك؟

فقال: دخل على شاب فسألني عن التوبة فقلت له أن لا تنسى ذنبك فعارضني وقال بل التوبة أن تنسى ذنبك، فقلت إن الأمر عندي ما قاله الشاب، فقال لم قلت لأني إذا كنت في حال الجفاء فنقلني إلى حال الوفاء، فذكر الجفا في حال الصفا جفاء، فسكت.

وقال عمر بن عبد العزيز: ليس التُقى صيام النهار وقيام الليل، والتخليط فيما بين ذلك، ولكن التقوى ترك ما حرم الله. وإدامة ما افترض الله، فما رزق بعد ذلك فهو خير إلى خير.

وقال ابن خفيف: التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله.

وقال النوري: المتقي هو الذي يتقي الدُنيا وآفاتها.

وقال أبو يزيد: المتُقي من إذا قال قال الله، وإذا سكت سكت الله، وإذا ذكر ذكر الله.

وقيل: التقوى أن الله لا يراك حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك.

وقيل: من علامات أهل التقوى الصبر عند البلاء، والشكر عند النعماء، والرضا بالقضاء.

---

(1) سورة النور- آية 31.

(2) سورة ق- آية 33.

(3) سورة ص- آية 44.

وقيل: التقوى أن تزين سرك للحق، كما تزين علانيتك للخلق.

وقال أبو الدرداء:

يريـــد المـــرء أن يُعطـــى منـــاه ويأبـــى الله إلا مـــا أرادا

يقـــول المـــرء فائـــدتي ومـــالي وتقـــوى الله أفـــضل مـــا اســـتفادا

وقال الكتاني: قُسمت الدنيا على البلوى، وقُسمت على التقوى، وجاء في تفسير قوله تعالى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ هو أن يُطاع فلا يُعصى. ويُذكر فلا ينسى، ويُشكر فلا يكفر.

وقال بعضهم: من تحقق في التقوى هون الله على قلبه الإعراض عن الدنيا.

الأربعون الكيلانية[1].

أربعون حديثا نبويا شريفا.

الصوم

ومن كلام شيخ الأنام، في آداب الصوم، أنه يتبع أن يجرد صومه من الأنام، لما أخبرنا به الشيخ هبة الله قال: أخبرنا الشيخ الحسن بن أحمد بن عبد الله الفقيه الحنبلي قال: أخبرنا محمد بن أحمد الحافظ قال: أخبرنا الحسين بن جعفر الواعظ قال: أخبرنا أحمد بن عيسى الشكني قال: أخبرنا ابن إسحق الملقب بالحسام قال: أخبرنا إسحق بن رزين الواسني قال: أخبرنا إسماعيل بن يحيى قال: أخبرنا مشعر بن كدام عن عطية يعني العوفي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: (رجب من الشهور الحرام، وأيامه مكتوبة على أبواب السماء السادسة، فإذا صام الرجل منه يوماً وجرد صومه بتقوى الله ﷻ نطق الباب ونطق اليوم، وقالا يا رب اغفر له وإذا لم يتم صومه بتقوى الله لم يستغفر له، وقالا أو قيل له خدعتك نفسك)[2].

(1) أربعون حديثا نبويا شريفا انتقاها المؤلف الملا علي القاري معظمها من كتاب الغنية، قاسمها المشترك الدعاء والرقية. وهو انتقاء ذكي مفيد في بابه.

(2) في الغنية ص727: ما أخبرنا به هبة الله بإسناده عن أبي حازم، عن سهل بن سعد ﷺ عن النبي ﷺ إنه قال "ألا إن رجب من الأشهر الحرم، وفيه حمل نوحاً في السفينة، فصامه نوح =

أخبرنا الشيخ أبو نصر محمد بن البناء قال حدثنا عبد الله قال حدثنا جعفر بن محمد الحمال قال حدثنا سعيد بن عتبة قال أخبرنا بقية بن خلف قال حدثنا محمد بن الحجاج، عن خاقان عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ (خمس يفطرن الصائم وينقضن الوضوء، الكذب، والنميمة، والغيبة، والنظر بشهوة، واليمين الكاذبة)[1].

أخبرنا أبو النصر عن والده بإسناده عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ (ما صام من ظل يأكل لحوم الناس)[2].

أخبرنا أبو النصر عن والده بإسناده عن حذيفة بن اليمان قال: (من تأمل خلف امرأة من فوق ثيابها بطل صومه)[3].

أخبرنا أبو النصر بإسناده عن سليمان بن موسى قال جابر بن عبد الله: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك من الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ويوم فطرك سواء.

حدثنا الشيخ أبو نصر عن والده بإسناده عن أبي فراش إنه سمع عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: (صام نوح الدهر إلا يومين الفطر والأضحى، وصام داود نصف الدهر وصام إبراهيم ثلاثة أيام من كل شهر صام الدهر وأفطر الدهر)[4].

=

في السفينة، وأمر من كان معه بصيامه، فأنجاهم الله تعالى وأمنهم من الغرق، وطهر الله الأرض من الكفر والطغيان بالطوفان". في التبصرة: 8/2، واللآئى المصنوعة: 116/2 وفي الدر المنثور 235/3.

(1) في الغنية: ص752: أخبرنا الشيخ أبو نصر محمد بن البناء، قال أخبرنا والدي الشيخ أبو علي ابن الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء قال أخبرنا محمد الحافظ، قال حدثنا عبد الله... الخ.

في الجامع الصغير 9/2، والديلمي في الفردوس.

(2) الغنية: ص752، في الدر المنثور 96/6.

(3) في المخطوطة (من تأمل خلق) والصحيح (من تأمل خلف).

(4) حديث صحيح، في الجامع الصغير: 71/2، رواه الطبراني في الكبير، والحاكم في مستدركه.

أخبرنا الشيخ أبو نصر عن والده بإسناده عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله (إن رجلاً جاء النبي ﷺ قال: يا نبي الله جعلني الله فداك، أخبرني عن رجل يصوم الدهر كله، قال لا صام ذلك ولا أفطر، فقال: يا رسول الله أخبرني عن رجل يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، قال ذلك صوم الدهر كله، فقال يا رسول الله أخبرني عن رجل يصوم الاثنين والخميس، قال أما الخميس فيوم ترفع فيه الأعمال، وأما الاثنين فهو اليوم الذي ولدت فيه وأنزل فيه الوحي)[1].

أخبرنا الشيخ الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، أخبرنا عبد الله ابن علي بن محمد بشير قال: أخبرنا علي بن عمر الحافظ أخبرنا أبو بكر نصر جيشون بن موسى الخلال.

أخبرنا علي بن سعيد الديلمي أخبرنا حمزة بن ربيعة القرشي عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: (من صام يوم السابع والعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهراً، وهو أول يوم نزل جبريل على النبي عليه السلام بالرسالة)[2].

أخبرنا هبة الله أخبرنا محمد بن الفرخان أخبرنا أحمد بن الحسين بن سعيد الأنباري أخبرنا أبو أدهم بن فراس عن عمر بن سمرة عن موسى بن العباس الأصبح بن نباته عن الحسين بن علي بن أبي طالب قال: بينا نحن بالطواف إذ

(1) في الغنيةص754: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما (إن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ من أهل البادية فقال: يا رسول الله أخبرني عن صومك، فغضب النبي ﷺ حتى احمرت وجنتاه، فلما رأى ذلك عمر بن الخطاب ﷺ أقبل على الرجل وانتهره حتى أسكته، فلما سري عن النبي ﷺ، قال عمر ﷺ: يا نبي الله جعلني الله فداءك أخبرني عن رجل يصوم الدهر كله؟ قال: لا صام ذلك ولا أفطر، أو صام ذلك ولا أفطر، فقال: يا نبي الله أخبرني عن رجل يصوم ثلاثة أيام من كل شهر؟ قال ﷺ: ذلك صوم الدهر كله. فقال: يا نبي الله أخبرني عن رجل يصوم الاثنين والخميس؟ قال ﷺ: أما الخميس فيوم ترفع فيه الأعمال، وأما الاثنين فهو اليوم الذي ولدت فيه وأنزل عليّ فيه الوحي).

(2) أخبرنا الشيخ أبو البركات هبة الله السقطي، قال: أخبرنا الشيخ الحافظ أبو بكر... الخ في الغنية: ص748، في المغني عن حمل الأسفار: 373/1.

سمعت صوتاً وهو يقول: يا من يجيب دعاء المضطر في الظُلم، يا كاشف الكرب والبلوى مع السقم، قد بات وفدك حول البيت والحرم، ونحن ندعو وعين الله لم تنم، هب لي بجودك ما أخطأت من جرم، يا من تعود منه الخلق بالكرم، إن كان عفوك لم يسبق بمجترم، فمن يجود على العاصين بالنعم قال الحسين بن علي قال أبي يا حسين أما تسمع النادب ذنبه والعاتب ربه، أمض فعساك تدركه وناده، قال الحسين فأسرعت حتى أدركته وإذا أنا برجل جميل الوجه، نقي الدرن، نظيف الثياب طيب الريح، إلا أنه قد شل جانبه الأيمن، فقلت أجب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال له: من أنت وما شأنك؟

قال: يا أمير المؤمنين ما شأن من أخذ بالعقوق ومنع الحقوق؟

قال: ما اسمك؟ قال: منازل بن لاحق.

قال: فما قصتك؟

قال: كنت مشهوراً في العرب باللهو والطرب، أركض في حبوتي ولا أفيق من غفلتي، إن تبت لم تقبل توبتي، وإن استقلت لم تقل عثرتي، أديم المعصية في رجب وشعبان، وكان لي والد شفيق رفيق، يحذرني مصارع الجهالة وشقاوة المعصية والضلالة، يقول أي بني لله سطوات ونقمات فلا تتعرض لمن يعاقب بالنار في دار البوار، فكم قد ضبع منك الظلام، والملائكة الكرام، والشهر الحرام، والليالي والأيام، وكان إذا ألح عليّ بالعتب، ألححت عليه بالغضب، فبالغت إليه يوماً، فقال والله لأصومن ولا أفطر ولأصلين ولا أنام، فصام أسبوعاً وركب جملاً أوراق، وأتى مكة يوم الحج الأكبر، وقال: لأفدن بيت الله ولأستعدين عليك الله. قال فقدم مكة وتعلق بأستار الكعبة ودعا عليّ وقال: يا من إليه أتى الحجاج من بعد، يرجون لطف عزيز واحد صمد، هذا منازل لا يرتد عن عقي، فخذ بحقي يا رحمن من ولدي، وشل منه بجود منك جانبه، يا من تقدس لم يولد ولم يلد. قال: فلا والذي رفع السماء ونبع الماء، ما أستتم كلامه حتى شل جانبي اليمين، وظللت كالخشبة الملقاة بأرجاء الحرم، وكان الناس يغدون ويروحون عليّ، ويقولون هذا الذي أجاب الله فيه دعوة أبيه.

فقال له علي: فما فعل أبوك، قال: يا أمير المؤمنين سألته أن يدعو الله لي في المواضع التي دعا عليّ، بعد أن رضي عني، فأجابني فحملته على ناقتي وجديت في السير، حتى وصلنا إلى واد يقال له الأراك، فنفر طائر من شجر، فنفرت الناقة فوقع منها فمات في الطريق.

قال علي: ألا أعلمك دعوات سمعتها من رسول اللهﷺ وقال: ما دعا بها مهموم إلا فرج الله تعالى عنه همه، ولا مكروب إلا فرج الله عنه كربته؟

فقال: نعم. فقال الحسين فعلمه الدعاء ودعا به، وغدا علينا صحيحاً سليماً، فقلت للرجل كيف عملت؟ قال: لما هدأت العيون دعوت به مرة وثانية وثالثة، فنوديت حسبك الله، فقد دعوت الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، ثم حملتني عيني فنمت، فرأيت رسول اللهﷺ، في منامي فعرضتها عليه، فقال صدق علي ابن عمي فيها اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى. فقلت يا رسول الله أريد أسمع الدعاء منك، فقال:

(قل اللهم إني أسألك يا عالم الأمور الخفية، ويا من السماء بقدرته مبنية، ويا من الأرض بعزته مدحية، ويا من الشمس والقمر بنور جلاله مشرقة مضيئة، ويا مقبلاً على كل نفس مؤمنة زكية، يا مسكن رعب الخائفين وأهل التقوى، يا من حوائج الخلق عنده مقضية، يا من نجا يوسف من العبودية، يا من ليس له بواب يُنادي، ولا صاحب يُغشى، ولا وزير يُؤتى، ولا غيره رب يدعى، ولا يزداد على الإلحاح إلا كرما وجودا، صل على محمد وعلى آله واعطني سؤالي إنك على كل شيء قدير) قال فانتبهت وقد برأت، قال علي: تمسكوا بهذا الدعاء، فإنه كنز من كنوز العرش.

"شهر شعبان"

أخبرنا أبو نصر محمد عن والده بإسناده عن عطاء بن يسار عن أم سلمة قالت: لم يكن رسول اللهﷺ، يصوم في شهر بعد رمضان، أكثر من صيامه في شعبان، وذلك إنه من يموت في تلك السنة ينسخ اسمه في شعبان من الأحياء إلى الأموات.

حدثنا أبو نصر عن والده بإسناده عن ثابت عن أنس قال سُئل النبي ﷺ، عن أفضل الصيام، قال صيام شعبان تعظيماً لرمضان[1].

أخبرني أبو نصر عن والده أخبرنا عبد الله بن محمد أخبرنا إسحق بن محمد الفارسي أخبرنا أحمد بن الصباح بن أبي شريح أخبرنا يزيد بن هارون، حدثنا الحجاج بن أرطأة عن يحيى بن أبي كثير عن عروة عن عائشة قالت: فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة، فخرجت فإذا هو بالبقيع رافعاً رأسه إلى السماء، فقال لي أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله، فقلت له: يا رسول الله ظننت إنك أتيت بعض نسائك، فقال: إن الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا، فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب.

أخبرني أبو نصر عن والده بإسناده عن مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن عروة عن عائشة قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: يصح الله الخير في أربع ليال سما ليلة الأضحى وليلة الفطر وليلة النصف من شعبان، ينسخ الله فيها الآجال والأرزاق، ويكتب فيها الحاج، وليلة عرفة إلى الأذان.

أخبرني أبو نصر عن والده بإسناده عن الأعرج عن أبي هريرة، قال ﷺ، إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، نظر الله إلى خلقه، وإذا نظر إلى عبد لم يعذبه أبداً، ولله ﷻ في كل يوم ألف ألف عتيق من النار.

أخبرني أبو نصر عن والده بإسناده عن أبي هريرة قال ﵇: إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين.

أخبرنا الشيخ أبو البركات عن أحمد بن علي الحافظ بإسناده عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ (قال: سيد الشهور شهر رمضان، وأعظمها حرمة ذو الحجة)[2].

---

(1) الغنية: ص764.

(2) الغنية: 848، الجامع الصغير: 57/2.

"عشر ذي الحجة"

أخبرنا الشيخ أبو البركات عن الفضل بن محمد القصار الأصفهاني قال أنبأنا أبو سعيد الحسن بن علي بن سهلان حدثنا عبد الله بن محمد الوراق حدثنا أبو بكر بن البزار حدثنا أبو كامل الفضل بن الحسين الجحدري حدثنا أبو عاصم بن هلال عن أيوب عن ابن الزبير عن جابر عن النبي ﷺ (قال: أفضل أيام الدنيا أيام عشرة ذي الحجة، قيل: ولا مثلها في سبيل الله؟ قال: ولا مثلها في سبيل الله، إلا رجل عفر وجهه بالتراب)[1].

أخبرنا الشيخ أبو البركات بإسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله ﷻ منه في هذه الأيام، يعني أيام العشر، قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء.

أخبرنا الشيخ أبو البركات بإسناده عن هبيرة بن خالد الخزاعي عن حفصة رضي الله عنها قالت: (أربع لم يكن النبي ﷺ يتركهن صوم ذي الحجة وعاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر وركعتين قبل الغداة)[2].

أخبرنا الشيخ أبو البركات عن حمزة بن عيسى بن الحسين الوراق بإسناده عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ (قال: ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيهن من أيام عشر ذي الحجة، وان صيام يوم يعدل صيام سنة، وقيام ليلة كقيام سنة)[3].

---

(1) الغنية: 848، الجامع الصغير: 84/1، الترغيب والترهيب: 213/1.

(2) أخبرنا الشيخ أبو البركات عن أبي بكر بن أحمد بن علي الحاف بإسناده عن هبيرة، الغنية: ص850 رواه البخاري والترمذي وأبو داود وابن ماجه والطبراني.

(3) الغنية: ص815، الجامع الصغير 252/2- رواه الترمذي وابن ماجه.

أخبرنا الشيخ أبو البركات عن الحسن بن أحمد المقرئ بإسناده عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي ﷺ أنه (قال: من صام أيام العشر كتب له بكل يوم صوم سنة)[1].

أخبرنا الشيخ أبو البركات عن الشريف أبي عبد الله محمد بن محمد ابن يحيي المهدي بإسناده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي ﷺ قال: من أحيا ليلة من ليالي عشر ذي الحجة، فكأنما عبد الله تعالى عبادة من حج واعتمر طول سنته ومن صام فيها يوماً فكأنما عبد الله تعالى سائر سنته)[2].

"يوم عرفة"

أخبرنا الشيخ أبو البركات عن محمد بن عبد العزيز الشاهد بإسناده عن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي رضي الله عنهم عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا دخل عشر ذي الحجة فجدوا في الطاعة، فإنها أيام فضلها الله وجعل حرمة ليلها كحرمة نهارها، فمن صلى في ليلة من ليالي العشر الثلث الأخير أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد مرتين ويكرر سورة الإخلاص ثلاثاً، ويقرأ آية الكرسي ويكرر ذلك في كل ركعة، فإذا فرغ من صلاته رفع يديه وقال: سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي القدرة والملكوت، سبحان الله الحي الذي لا يموت لا إله إلا هو يُحي ويُميت، وهو حي لا يموت، سبحان الله رب العباد والبلاد، والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً على كل حال، الله أكبر كبيراً، ربنا جَلَّ جلاله وقدرته بكل مكان- قال الشيخ يعني علمه- ثم يدعو بما شاء، فإن له من الأجر بإزاء من حج إلى بيت الله الحرام وزار قبر نبيه ﷺ، وجاهد في سبيل الله، ولم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه، وإن صلاها في كل ليلة من ليالي العشر أحله الله تعالى الفردوس الأعلى، ومحا عنه

(1) الغنية: ص851، اللآلئ المصنوعة: 61.

(2) الغنية ص852.

كل سيئة، وقيل له: استأنف العمل فإذا كان يوم عرفة، وصام نهارها وصلى ليلها ودعا بهذا الدعاء وأكثر الضراعة بين يدي الله، يقول الله تعالى: يا ملائكتي اشهدوا إني قد غفرت له، وأشركته بالحجاج إلى بيتي، فتستبشر الملائكة بما يعطي الله ذلك العبد بصلاته ودعائه[1].

أخبرنا الشيخ هبة الله بن المبارك أنبأنا علي بن محمد بن عبد الله بن المعدل حدثنا أبو علي الصواف حدثنا عبد الله بن محمد بن ناجية أنبأنا محمد بن مروان أنبأنا هشام الدستوائي عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من يوم أفضل من يوم عرفة، يباهي الله تعالى فيه بأهل الأرض أهل السماء، يقول: انظروا إلى عبادي شعثاً غبراً جاءوني من كل فج عميق، يرجون رحمتي ويخافون عذابي، فلم ير يوم أكثر عتقاً من النار من يوم عرفة)[2].

أخبرنا هبة الله عن أبي محمد الحسن بن محمد بن أحمد الفارسي بإسناده عن الحسن الغربي عن ابن عباس قال: خطب النبي ﷺ الناس يوم عرفة فقال: (أيها الناس إنه ليس البر في إيجاف الإبل، ولا في إيضاع الخيل، ولكن سيراً جميلاً، تواصلوا ضعيفاً، ولا تؤذوا مسلماً)[3].

أخبرنا هبة الله قال: أنبأنا مكابر بن الجحش المازني بالبصرة، بإسناده عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ إنه قال: (إذا كان يوم عرفة ينزل الله تعالى إلى سماء الدنيا فيباهي بالحجاج الملائكة، فيقول لهم ﷻ يا ملائكتي، انظروا إلى عبادي جاءوني شعثاً غبراً يرجون رحمتي ويخافون عذابي فحق على المزور أن يكرم زائره، وحق على المضيف أن يكرم ضيفه، اشهدوا إني قد غفرت لهم وجعلت

---

(1) الغنية: ص853.

(2) أخبرنا هبة الله بن المبارك، قال: أنبانا أبو علي الحسن بن أحمد، أنبأنا علي... الخ. الغنية: ص881، المغني عن حمل الأسفار: 271/1، المعجم الصغير: 208/1.

(3) الغنية: 882، وفي الإحياء 262/1، والمغني عن حمل الأسفار 262/1 بلفظ مختلف فيه تقديم وتأخير.

قِراهم دخول الجنة، قال: فتقول الملائكة يا رب فيهم فلان يزهو، وفلانة تزهو، فيقول الله ﷻ: قد غفرت لهم، فما من يوم أكثر عتقاً من النار من يوم عرفة)[1].

أخبرنا هبة الله بإسناده عن طلحة بن عبيد الله بإسناده أن رسول الله ﷺ قال: (ما رؤي إبليس يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحض ولا أغيظ من يوم عرفة، وذلك لما يرى من تنزيل الرحمة والعفو عن الذنوب، إلا ما رأى يوم بدر، قالوا: يا رسول الله وما رأى يوم بدر؟ قال: أما إنه رأى جبريل يدعو الملائكة)[2].

أخبرنا هبة الله ابن المبارك قال: أخبرنا أبو الفتح محمد بن أحمد الطبري يعرف بالباهر قال: أنا علي بن أحمد بن الرفاء السامري أنبأنا إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنبأنا أبو مصعب عن مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال: وقف بنا رسول الله ﷺ عشية عرفة، فلما قام عند الدفعة استنصت الناس فأنصتوا، فقال: (يا أيها الناس إن ربكم ﷻ قد تطول عليكم في يومكم هذا، فوهب مسيئكم لمحسنكم، وأعطى محسنكم ما سأله، وغفر ذنوبكم إلا التبعات، ادفعوا بسم الله، فلما صرنا بالمزدلفة وقف بنا ﷺ سحراً، فلما كان عند الدفعة، استوقف الناس فوقفوا استنصتهم فأنصتوا، ثم قال: يا أيها الناس إن ربكم قد تطول عليكم في يومكم هذا، فوهب مسيئكم لمحسنكم، وأعطي محسنكم ما سأل، وغفر ذنوبكم وغفر التبعات، وضمن لأهلها الثواب، ادفعوا بسم الله.

فقام أعرابي وأخذ بزمام الناقة فقال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما بقي من عمل إلا وقد عملته، وإني لأحلف على اليمين الفاجرة، فهل دخلت فيمن وصفت؟ فقال ﷺ: يا أعرابي إنك إن تحسن فيما تستأنف يغفر لك ما مضى، خل زمام الناقة)[3].

---

(1) الغنية: 884، الطبراني في الصغير والكبير، ومجمع الزوائد: 252/3.

(2) الغنية: 884، المغني عن حمل الأسفار 246/1، وفي الموطأ 422/1.

(3) الغنية: ص886. اللآلئ المصنوعة: 67/2، الترغيب والترهيب: 214/1.

أخبرنا هبة الله عن أبي علي الحسن بن الحباب المقري بإسناده عن عباس بن مرداس قال: (إن رسول ﷺ دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة والرحمة، فأجابه الله تعالى إني قد فعلت، إلا ظلم بعضهم بعضاً، فأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها، فقال: أي رب إنك قادر أن تثيب هذا المظلوم خيراً من مظلمته، وتغفر لهذا الظالم.

قال: فلم يجبه تلك العشية، فلما كان غداة مزدلفة أعاد الحديث، فأجابه: إني قد غفرت لهم، قال: ثم تبسم رسول الله ﷺ فقال له بعض أصحابه يا رسول الله تبسمت في ساعة لم تكن تبتسم فيها؟

فقال عليه السلام: تبسمت من عدو الله إبليس، لأنه لما علم أن الله سبحانه قد استجاب لي في أمتي، أهوى يدعو بالويل والثبور، ويحثو التراب على رأسه)[1].

أخبرنا هبة الله بن المبارك قال أنا أحمد بن محمد بإسناده عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه، قال: إن رسول الله ﷺ قال: (من صام يوم عرفة غفر الله له ما تقدم من ذنبه لسنة)[2].

أخبرنا هبة الله بن المبارك بإسناده عن أبي قتادة عن النبي ﷺ إنه قال: (صيام يوم عرفة كفارة سنتين، سنة ماضية وسنة مستقبلة)[3].

أخبرنا هبة الله أنا الحسن بإسناده عن علي بن أبي طالب وابن مسعود قالا قال رسول الله ﷺ: من صلى يوم عرفة ركعتين يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب ثلاث مرات في كل مرة يبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم ويختمها بآمين، ثم يقرأ قل يا أيها الكافرون ثلاث مرات، وقل هو الله أحد مائة مرة، يبدأ في كل مرة ببسم الله الرحمن الرحيم، إلا قال الله تعالى: اشهدوا إني قد غفرت له ذنوبه)[4].

---

(1) الغنية: ص887. اللآلئ المصنوعة: 68/2.

(2) الغنية: ص889.

(3) الغنية: ص889، رواه ابن ماجه ومسلم.

(4) الغنية: ص891.

"الأدعية"

أخبرنا ابن المبارك عن الحسن بن أحمد عبد الله المقرئ بإسناده عن خليفة بن الحسين عن علي أنه قال: كان أكثر ما يدعو به رسول الله ﷺ عشية عرفة يقول: (اللهم لك الحمد كما تقول وخيراً مما تقول، اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي، ولك يا رب تراثي، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وفتنة الصدر وشتات الأمر، اللهم إني أسألك من خير ما تجري به الريح)[1].

أخبرنا هبة الله بن المبارك بإسناده عن موسى بن عبيدة عن علي بن أبي طالب قال رسول الله ﷺ: (أكثر دعائي ودعاء الأنبياء قبلي بعرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي سمعي نورا، وفي بصري نورا، اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري، اللهم إني أعوذ بك من وساوس الصدر وفتنة القبر وشتات الأمر، اللهم إني أعوذ بك من شر ما يلج في الليل، ومن شر ما يلج في النهار، ومن شر ما تهب به الرياح، ومن شر بوائق الدهر)[2].

أخبرنا هبة الله أخبرنا الحسن بن أحمد بن عبد الله المقرئ أنا الحسين بن عمر المؤدب حدثنا أبو القاسم الفامي حدثنا أبو علي الحسن بن علي حدثنا أحمد بن عمار أنبأنا محمد بن مهدي حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (يجتمع البري والبحري يعني الياس والخضر عليهما السلام كل عام بمكة) قال ابن عباس: وبلغنا أنه يحلق أحدهما رأس صاحبه فيقول أحدهما للآخر: بسم الله ما شاء الله، لا يأتي بالخير إلا الله، بسم الله ما شاء، لا يصرف السوء غير الله، بسم الله ما شاء الله، وما بكم من نعمة فمن الله، بسم الله ما شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله) قال ابن عباس: قال عليه السلام: (من قالها في كل يوم أمن من الغرق

---

(1) الغنية: ص894.

(2) الغنية: ص895، المغني عن حمل الأسفار: 360/1.

والحرق، والسرق، ومن كل شيء يكرهه، حتى يمسي، ومن قالها حين يمسي كان في حرز الله حتى يصبح)[1].

أخبرنا هبة الله أنا الحسن بن أحمد حدثنا عبيد الله بن أحمد الأزهري حدثنا أبو طالب بن حمدان السكري حدثنا إسماعيل حدثنا عباس الدوري حدثنا عبيد الله بن إسحق العطار حدثنا محمد بن مبشر القيسي عن عبد الله بن الحسن عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنهم قال: يجتمع في كل يوم عرفة بعرفات جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر عليهم السلام، فيقول جبريل: ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله، فيرد ميكائيل: ما شاء الله كل النعمة من الله، فيرد عليه إسرافيل فيقول: ما شاء الله الخير كله بيد الله، فيرد عليه، الخضر فيقول: ما شاء الله لا يدفع السوء إلا الله، ثم يتفرقون، ولا يجتمعون إلى قابل من ذلك اليوم[2]. أقول ولعل هذا منشأ من قال إن الخضر ملك من الملائكة، وتحقيق ذلك في رسالة سميتها كشف الخدر عن حال الخضر[3].

أخبرنا هبة الله عن محمد بن أحمد بن الخازن المعدل الكوفي قال أنا القاضي محمد بن عبد الله الجعفي حدثنا محمد بن جعفر الأشجعي حدثنا علي بن المنذر الطرفي حدثنا ابن فضيل عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: (من قرب أضحيته يوم النحر لينحرها قربه الله إلى الجنة، فإذا نحرها غفر الله له بأول قطرة تقطر من دمها، وجعلها الله تعالى له مركباً يوم القيامة إلى المحشر، ويُعطى بقدر شعرها وصوفها حسنات)[4].

أخبرنا الشيخ أبو نصر عن والده بإسناده عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله مرفوعاً (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة في يوم الجمعة، إلا مريضاً

---

(1) الغنية: ص897- ص898.

(2) الغنية: ص899.

(3) القول للمؤلف الملا علي القاري: من أن له رسالة صنعها بعنوان: "كشف الخدر عن حال الخضر".

(4) الغنية: ص924.

أو مسافراً أو امرأة أو صبياً أو مملوكاً، ومن استغنى عنها بلهو وتجارة استغنى الله عنه، والله غني حميد)[1].

أخبرنا أبو نصر عن والده بإسناده عن ثابت البناني عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: (إن لله تعالى ستمائة ألف عتيق من النار في كل يوم وليلة الجمعة، ويوم الجمعة أربع وعشرون ساعة، في كل ساعة ستمائة ألف عتيق من النار)[2].

"ساعة الإجابة من يوم الجمعة"

أخبرنا أبو نصر عن والده بإسناده عن محمد بن المنكدر قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: عرض هذا الدعاء على رسول الله ﷺ فقال: (لو دعى به الله كل شيء بين المشرق والمغرب في ساعة يوم الجمعة لاستجيب لصاحبه: سبحانك لا إله إلا أنت يا حنان يا منان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام)[3].

أخبرنا أبو نصر من والده بإسناده عن سعيد بن راشد عن زيد بن علي عن مرجانة عن فاطمة رضي الله عنها، أنه ﷺ قال: (إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خير إلا أعطاه) فقلت: يا أبت أي ساعة هي؟ قال: (إذا تدلى نصف الشمس للغروب) قالت: فكانت فاطمة إذا كان يوم الجمعة أمرت غلاماً لها يقال له زيد تقول له اصعد الظراب، فإذا تدلى نصف الشمس للغروب فأذني واعلمني، فكان يصعد، فإذا كان تلك الساعة، آذنها وأعلمها، فتقوم فتدخل المسجد حتى تغرب الشمس وتصلي.

أخبرنا أبو نصر عن والده عن علي قال ﷺ: (اكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة، فإنه يوم تضاعف فيه الأعمال، وسلوا الله لي الدرجة الوسيلة من الجنة) قيل: يا رسول الله وما الدرجة الوسيلة من الجنة؟ قال: (هي أعلى درجة من الجنة، لا ينالها إلا نبي، وأرجو أن أكون هو).

---

(1) الغنية:ص961، رواه الدارقطني والبيهقي.

(2) الغنية: ص962، المغني عن حمل الأسفار: 185/1.

(3) الغنية: ص978.

فهذه: أربعون حديثاً مختوماً بحديث الصلاة على النبي ﷺ، ليكون ختامه مسكاً في هذا المقام بإسناده لزبدة العابدين وقدوة المجاهدين وعمدة الزاهدين، ليتبين لك أنه ليس من المقلدين في أمر الدين، بل من المحدثين المسندين كسائر المجتهدين رضي الله عنهم أجمعين، ثم أعلم أن كتابه الغنية، مغنية للسالك المريد والطالب المزيد، فإنه جامع لفوائد العقائد، وقواعد الطاعات من العبادات، والأخلاق الحسنة التي عليها مدار المبرات، وأحوال القيامة، وما فيها من أهوال الندامة، مشحوناً بالآيات والأخبار، وروايات الآثار، وحكايات الأولياء، من الأسرار والأنوار، ما ينجلي به خواطر الأبرار.

"لقب محيي الدين"

هذا وقد قيل للشيخ ما سبب تلقبك بمحي الدين، قال: رجعت من بعض سياحاتي مرة في يوم الجمعة في سنة إحدى عشرة وخمسمائة إلى بغداد حافياً، فمررت بشخص مريض متغير اللون نحيف البدن، فقال لي: السلام عليك يا عبد القادر، فرددت عليه، فقال لي: ادن مني، فدنوت منه، فقال أجلسني فأجلسته، فنما جسده وحسنت صورته وصفا لونه، فخفت منه، فقال: أتعرفني، قلت: لا، قال: أنا الدين كنت قد دثرت كما رأيتني وقد أحياني الله بك أنت محيي الدين، وما دعيت بها من قبل.

الفقر

وعن الشيخ الجليل صالح المغربي[1]، قال قال لي سيدي أبو مدين: يا صالح سافر إلى بغداد وأت الشيخ عبد القادر ليعلمك الفقر. فسافرت إلى بغداد، فلما رأيته رأيته رجلاً ما رأيت هيبة أكثر منه، فأجلسني في خلوة مائة وعشرين يوماً، يعني ثلاث أربعينيات متواليات[2]، ثم دخل عليّ وقال: يا صالح انظر إلى هنا وأشار

(1) يقصد به صالح الدكالي. ذكرناه في كتابنا قطب بغداد: ص57.

(2) الخلوة الأربعينية معروفة من تسميتها أربعين يوما.

إلى جهة القبلة قال: ما ترى؟ قلت: الكعبة، قال انظر إلى هنا وأشار إلى جهة الغرب، قال: ما ترى، قلت: شيخي أبا مدين، قال: إلى أين تريد أن تذهب إلى هنا أو إلى هنا؟ قلت: بل إلى شيخي أبي مدين. قال: في خطوة تذهب أو كما جئت؟ قلت: بل كما جئت. قال: هو أتم، ثم قال لي: يا صالح إن أردت الفقر فإنك لن تناله حتى ترقى سلمه، وسلمه التوحيد، وملاك التوحيد محو كل متلوح من الحدث بعين السّر. قلت: يا سيدي أريد أن تمدني منك بهذا الوصف، فنظر إليّ نظرة، فتفرقت عن قلبي حوادث الإرادات، كما يتفرق الظلام بهجوم النهار، وأنا الآن انفق من تلك النظرة.

ذهابه إلى الحج

وروي عن الشيخ عبد القادر (قدس سره الباهر) قال: حججت أول ما حججت من بغداد، وأنا شاب على قدم التجريد، فلما كنت عند المنارة المعروفة بأم القرون، لقيت الشيخ عدي بن مسافر وحده، وهو شاب يومئذ، فقال لي: إلى أين؟ قلت: إلى مكة. قالت: هل لك في الصحبة؟ قلت: إني على قدم التجريد. قال: وأنا كذلك.

فسرنا جميعاً، فلما كنا في بعض الطريق، إذ نحن بجارية حبشية، نحيفة البدن مبرقعة، قالت: قد اتعبتني اليوم، قلت: ولم؟ قالت: لأني كنت الساعة في بلاد الحبشة فأشهدت أن الله تعالى تجلى على قلبك ومنحك من فضله ما لم يمنح بمثله غيرك فيما أعلم، فأحببت أن أعرفك، ثم قالت: أنا اليوم أصحبكما وأفطر الليلة معكما، فجعلت تمشي في جانب ونحن نمشي في جانب آخر، فلما كان العشاء، اذ نحن بطبق نازل من الجو، فلما استقر بين أيدينا وجدنا فيه ستة أرغفة وخلاً وبقلاً فقالت: الحمد لله الذي أكرمني وأكرم ضيفي، إنه ينزل عليّ كل ليلة رغيفان، فأكل كل واحد منا رغيفين، ثم نزل علينا ثلاثة أباريق فشربنا منها لا يشبه ماء الأرض لذة وحلاوة، ثم ذهبت عنا في ليلتها، فأتينا مكة، فلما كنا في الطواف، من الله على الشيخ عدي بمنازلة من أنواره، فغشي عليه، حتى يقول القائل إنه قدمات، وإذا بتلك الجارية واقفة على رأسه تقلبه وتقول: يحييك الذي أماتك سبحان الذي لا تقوم

الحادثات لتجلي نور جلاله إلا بتثبيته، ولا تستقر الكائنات لظهور صفاته إلا بتأييده، بل اختطفت سبحات قدسه أبصار العقول، وأخذت بهجات بهائه ألباب الفحول، قال الشيخ: ثم إن الله تعالى وله الحمد من عليّ بمنازلة من أنواره في الطواف أيضاً، فسمعت خطاباً من باطني وقال في آخر ما قال: يا عبد القادر اترك التجريد الظاهر، والزم تفريد التوحيد، وتجريد التفريد، فسنريك من آياتنا عجباً، فلا تشب مرادنا بمرادك، تثبت قدمك بين أيدينا، ولا تر في الوجود تصريفاً لسوانا، يدم لك شهودنا، واجلس لنفع الناس، فإن لنا خاصة من عبادنا سنواصلهم على يدك إلى قربنا، فقالت الجارية: يا فتى ما أدري ما شأنك اليوم، إنه ضربت عليك خيمة من نور، وأحاطت بك الملائكة إلى عنان السماء، وشخصت إليك أبصار الأولياء في مقاماتهم، وامتدت إلى مثل ما أعطيت الآمال، ثم ذهبت فلم أرها بعد.

أقوال المشايخ

وعن الشيخ أبي حفص عمر بن مسعود البزار ببغداد، قال: ذكر قضيب البان عند شيخنا عبد القادر، فقال هو ولي مقرب ذو حال مع الله تعالى، وقد صدق عنده، فقيل له: إنه ما نراه يصلي، قال: إنه يصلي من حيث لا ترونه، ولا يخرج يوم وليلة وعليه منها فرض أبداً، وإني أراه إذا صلى بالموصل أو غيرها من آفاق الأرض، يسجد عند باب الكعبة.

وعنه أيضاً، مرض الشيخ علي بن الهيتي، فعاده الشيخ محيي الدين عبد القادر، واجتمع هناك الشيخ بقا والشيخ أبو سعيد القيلوي والشيخ أبو العباس أحمد بن علي الصرصري فأمر الشيخ علي بن الهيتي خادمه أبا الحسن الجوسقي، بمد السفرة، فبسطها ووقف مفكراً فيمن يبدأ بوضع الخبز بين يديه، ثم أخذ في يده خبزاً كثيراً وأفلته فدار على جوانب السفرة دفعة واحدة، من غير أن يقدم بعض الحاضرين على بعض في ذلك، فقال الشيخ عبد القادر للشيخ علي بن الهيتي: ما أحسن خادمك هذا قد مد السفرة بالحال، فقال: أنا وهو غلمانك.

مجاهداته

وروي بأسانيد معتبرة، أن الشيخ محيي الدين قال وهو على الكرسي: مكثت خمساً وعشرين سنة متجرداً سائحاً في براري العراق وخرابه، وأربعين سنة أصلي الصبح بوضوء العشاء، وخمس عشرة سنة أصلي العشاء ثم استفتح القرآن وأنا واقف على رجل واحدة، ويدي في وتد مضروب في حائط خوف النوم، حتى انتهي إلى آخر القرآن عند السحر، وكنت ليلة طالعاً في سلم، فقالت لي نفسي لو نمت ساعة؟ فوقفت في موضع خطر لي هنا، وانتصبت على رجل واحدة واستفتحت القرآن حتى أتيت على آخره وأنا على هذه الحالة.

وكنت أمكث من الثلاثة أيام إلى الأربعين يوماً، ولا أجد ما اقتات به، وكان النوم يأتيني في صورة فأصيح عليه فيذهب، وتأتيني الدنيا وزخارفها وشهواتها في صور حسان وقباح فأصيح عليها، فتفر هاربة، وأقمت في برج بغداد وكنت عاهدت الله فيه، أن لا آكل حتى ألقم، ولا أشرب حتى أُسقى، فبقيت فيه مدة أربعين يوماً لا أكل شيئاً، فبعد الأربعين جاء رجل ومعه خبز وطعام، فوضعه بين يدي، ومضى وتركني، فكادت نفسي تقع على الطعام من شدة الجوع، فقلت: والله لا حُلت عما عاهدت الله تبارك وتعالى عليه، فسمعت صارخاً من باطني ينادي الجوع فلم أرتع له، فاجتاز بي الشيخ أبو سعيد المخرمي، فسمع الصارخ فدخل عليّ، وقال: ما هذا يا عبد الله أو قال عبد القادر فقلت: هذا قلق النفس وأما الروح فساكنة إلى ربها ﷻ، فقال: تعال إليّ إلى باب الأزج ومضى وتركني على حالي، فقلت في نفسي ما أخرج من هذا إلا بأمر، فجاءني أبو العباس الخضر ﷺ، وقال: قُم وانطلق إلى أبي سعيد، فجئته فإذا هو واقف على باب داره ينتظرني، وقال: يا عبد القادر ألم يكفك قولي تعال إلي حتى أمرك الخضر بما أمرتك به ثم أدخلني داره، فوجدت طعاماً، فقعد يلقمني حتى شبعت، ثم ألبسني الخرقة بيده[1].

---

(1) نعم لبس الإمام عبد القادر الكيلاني (ﷺ) الخرقة ومنح الإجازة من القاضي أبي سعيد المخرمي، وهو الثابت الصحيح.

ولازمت الاشتغال عليه، وكنت قبل ذلك في سياحتي، فأتاني شخص ما رأيته من قبل، فقال ليّ: هل لك في الصحبة؟، قلت: نعم.

قال: بشرط أن لا تخالفني، قلت: نعم، قال: اجلس هنا حتى آتيك، وغاب عني سنة، ثم عاد وأنا في مكاني ذلك، فجلس عندي ساعة ثم قام وقال: لا تبرح من مكانك حتى أعود إليك، فغاب عني سنة أخرى، ثم عاد ومعه خبز ولبن فقال لي: أنا الخضر وقد أمرت أن آكل معك، فأكلنا ثم قال: قم فادخل بغداد.

فدخلنا جميعاً، فقيل للشيخ: من أين كنت تقتات في مدة تلك السنين الثلاث، قال: من المنبوذات.

الخليفة العباسي

وعن الشيخ أبي العباس الحسني الموصلي، قال كنا ليلة في مدرسة شيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر ببغداد، فجاء الإمام المستنجد بالله أبو المظفر يوسف، وسلم عليه واستوصاه، ووضع بين يديه مالاً في عشرة أكياس يحملها عشرة من الخدم، فقال: لا حاجة لي فيها، فأبى أن يقبلها وألح عليه، فأخذ كيساً منها في يمينه وآخر في يساره، وعصرهما بيده فسالا دماً، فقال له: يا أبا المظفر ما تستحي من الله تعالى، أن تأخذ دماء الناس وتقابلني بها، فغشي عليه فقال الشيخ: وعزة المعبود، لولا حرمة اتصاله برسول الله ﷺ، لتركت الدم يجري إلى منزله.

قال ثم شهدته يوماً عنده، فقال له: أريد أن أرى شيئاً من الكرامات. ليطمئن قلبي، قال: وما تريد؟ قال: تفاحاً من الغيب، ولم يكن ذلك الأوان أوان التفاح بالعراق. فمد يده بالهواء، فإذا فيها تفاحتان، فأعطاه أحداهما، وكسر الشيخ التي بيده، فإذا هي بيضاء يفوح منها رائحة المسك، وكسر المستنجد التي بيده، فإذا فيها دودة، فقال: ما هذا؟ والتي بيدك كما أرى، قال: يا أبا المظفر لمستها يد الظالم فدوّدت.

امتحانه

وعن جماعة من المشايخ بأسانيدهم المتصلة أن الشيخ محيي الدين عبد القادر جاءه أبو غالب البغدادي التاجر، فقال له: يا سيدي قال جدك رسول الله ﷺ من دعي فليجب، وها أنا قد دعوتك إلى منزلي، فقال: إن أذن الله لي قمت ثم أطرق ملياً ثم قال: نعم، فركب بغلته قال الراوي وأخذ الشيخ علي بن الهيتي بركابه الأيمن وأخذت أنا بالأيسر، وأتينا داره، فإذا فيها مشايخ بغداد وعلماؤها وأعيانها، ومد سماطاً فيه من كل حلو وحامض، فأتى بسلة كبيرة مختومة يحملها اثنان ووضعت في آخر السماط، وقال أبو غالب: تفضلا، والشيخ مطرق فما أكل ولا أذن في الأكل ولا أكل أحد، وأهل هذا المجلس كأن على رؤوسهم الطير من هيبته. قال الراوي فأشار الشيخ إلي وإلى الشيخ علي بن الهيتي، أن قدموا إلى تلك السلة، فقمنا نحملها وهي ثقيلة، حتى وضعناها بين يديه، فأمرنا ففتحناها، فإذا فيها ولد لأبي غالب، أكمه مقعد مجذوم مفلوج، فقال له الشيخ: قم بإذن الله معافى، فإذا الصبي يعدو وهو بصير ولا عاهة له، وخرج الشيخ من غلبات الناس، ولم يأكل شيئاً.

قال: وشهدت مجلسه مرة، وقد أتاه جمع من... بقفتين مخيطتين مختومتين، وقالوا له: قل لنا ما في هاتين القفتين؟ فنزل من على الكرسي ورفع يده على أحداهما، وقال: في هذه صبي مقعد، وأمر ابنه عبد الرزاق بفتحها ففتحها فإذا فيها صبي مقعد، فأمسك يده وقال له: قم، فقام يعدو، ووضع يده على الأخرى، وقال: في هذه صبي لا عاهة به، فأمر ابنه بفتحها، فإذا فيها صبي فقام يمشي، فأمسك بناصيته وقال له: اقعد فقعد، فتابوا... على يده.

ومات في المجلس يومئذ ثلاثة.

قال جمع من المشايخ، جاءت امرأة إلى الشيخ بولدها، وقالت: إني رأيت قلب ابني هذا، شديد التعلق بك، وقد خرجت عن حقي فيه لله ﷻ، فقبل الشيخ وأمره بالمجاهدة وسلوك طريق السلف، فدخلت أمه عليه يوماً، فوجدته مصفر اللون نحيلاً من آثار الجوع والسهر، ورأته يأكل من قرص شعير، ودخلت إلى الشيخ

فوجدت بين يديه إناء فيه عظام دجاجة مسلوقة قد أكلها، فقالت: يا سيدي تأكل الدجاج ويأكل ابني خبز الشعير، فوضع يده على تلك العظام وقال: قومي بإذن الله الذي يحيي العظام وهي رميم، فقامت الدجاجة وصاحت، فقال الشيخ: إذا صار ابنك هكذا فليأكل ما شاء.

وروي عن بعض المشايخ قال: كنا بين يدي الشيخ محيي الدين عبد القادر بمدرسته، فقام وتوضأ في قبقاب له، وصلى ركعتين، فلما سلم صرخ صرخة عظيمة، وأخذ فردة من قبقابه ذلك ورمى بها في الهواء فغابت عن أبصارنا، ثم جلس فلم يتجاسر أحد على سؤاله، ثم بعد ثلاثة وعشرين يوماً، قدمت قافلة من بلاد العجم وقالوا ان معنا للشيخ نذرا فاعلمناه فقال:خذوه منهم، فأعطونا منا من حرير وثيابا من خز وذهباً وقبقاب الشيخ التي رمى بها في ذلك اليوم، فقلنا لهم من أين لكم هذا القبقاب؟

فقالوا: بينا نحن سائرون يوم الأحد ثالث شهر صفر، إذ خرجت علينا عرب لهم مقدمان، فانتهبوا أموالنا وقتلوا منا، ونزلوا وادياً يقتسمون أموالنا، ونزلنا في شفير الوادي، فقلنا لو ذكرنا الشيخ عبد القادر في هذا الوقت، فنذرنا له شيئاً من أموالنا إن سلمنا، فما هو إلا أن ذكرناه، فسمعنا صرختين عظيمتين ملأتا الوادي، ورأيناهم مذعورين، فظننا أن قد جاءهم عرب آخرون، فجاء إلينا بعضهم، وقالوا تعالوا خذوا أموالكم وانظروا ما قد دهمنا، فاتوا بنا إلى مقدميهم فوجدناهما ميتين، عند كل واحد منهما فردة من هذا القبقاب مبتلة، فردوا علينا أموالنا، وقالوا إن هذا الأمر لنبأ عظيم.

وعن الشيخ أبي الحسن البغدادي، قال كنت أشتغل على سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر، وكنت أسهر الليل أترقب حاجة له، فخرج من داره[1] ليلة، فناولته إبريقاً، فلم يأخذه، وقصد باب المدرسة فانفتح له الباب وخرج، وخرجت

---

(1) هذه الإشارة مهمة، سبق وان ذكرنا مثيلاتها في كتبنا، من أن عائلة الإمام الكيلاني (ﷺ) كانوا يسكنون داخل المدرسة.

معه وأنا أقول له إنه لا يشعر بي، ومشى إلى أن قرب من باب بغداد، فانفتح له الباب، وخرج وخرجت، ثم عاد الباب مغلقاً، ومشى غير بعيد فإذا نحن في بلد لا أعرفه، فدخلنا مكاناً فيه شبه الرباط، وإذا فيه ستة نفر، فنادوا بالسلام، إلا يسيرا حتى سكن الأنين، ودخل رجل وذهب إلى الجهة التي سمعت منها الأنين، ثم خرج يحمل شخصاً على عاتقه، ودخل آخر مكشوف الرأس، طويل الشارب، فجلس بين يدي الشيخ فأخذ عليه الشيخ الشهادتين وقص شعر رأسه وشاربه، وألبسه طاقية وسماه محمداً، وقال لأولئك النفر: قد أمرت أن يكون هذا بدلاً عن البيت، قالوا: سمعاً وطاعة، ثم خرج الشيخ وتركهم، وخرجت معه ومشينا غير بعيد، وإذا نحن عند باب بغداد كأول مرة، ثم أتى المدرسة فانفتح بابها أيضاً، ودخل داره، فلما كان الغد جلست بين يديه أقرأ على عادتي، فلم استطع من هيبته، فقال: أي بُني اقرأ فلا عليك، فأقسمت عليه أن يُبين لي ما رأيت؟، فقال: أما البلد فنهاوند[1]، وأما الستة الذين رأيتهم فهم الابدال النجباء، وأما صاحب الأنين الذي سمعته فهو سابعهم كان مريضاً، فلما حضرت وفاته جئت أحضره، وأما الرجل الذي خرج يحمل شخصاً على عاتقه فأبو العباس الخضرعليه السلام، ذهب ليتولى أمره، وأما الرجل الذي أخذت عليه الشهادتين فرجل من أهل القسطنطينية كان نصرانياً فأمرت أن يكون بدلاً عمن توفي، فأتي به، وأسلم على يدي وهو الآن معهم، وأخذ الشيخ عليّ العهد أن لا أحدث أحداً بذلك وهو حي.

وعن الشيخ عمر البزار قال: خرجت مع الشيخ عبد القادر إلى الجامع يوم جمعة، فلم يسلم أحد عليه، فقلت في نفسي يا عجباً نحن كل جمعة لا نصل إلى الجامع إلا بمشقة من ازدحام الناس على الشيخ، فلم يتم خاطري، حتى نظر إلى الشيخ مبتسماً، وأهرع الناس إلى السلام عليه، حتى حالوا بيني وبينه، فقلت في

---

(1) نهاوند مدينة عراقية باتجاه الشرق، وفي هذه القصة مصداقية، لأن المدرسة القادرية تقع خلفها باب بغداد، وهذه الباب باتجاه الشرق.

نفسي ذلك الحال خير من هذا، فالتفت إلي| وقال: يا عمر أنت الذي أردت هذا، ما علمت أن قلوب الناس بيدي، إن شئت صرفتها عني، وان شئت أقبلتها إليّ.

وعن الشريف الحسيني الموصلي قال: خدمت الشيخ ثلاث عشرة سنة، فما رأيته قط منها تمخط ولا تنخع ولأقعدت عليه ذبابة، ولا قام لأحد من العظماء ولا ألم بباب ذي سلطان ولا جلس على بساطه ولا أكل من طعامه، وكان يرى الجلوس على بساط الملوك ومن يليهم من العقوبات المعجلة. وكان يأتيه الخليفة أو الوزير أو نحوهما، وهو جالس فيقوم ويدخل داره، فإذا جاء خرج الشيخ من داره لئلا يقوم له.

وعن أبي البركات إن سُئل: هل يقع الذباب على الشيخ عبد القادر من فوق الثياب؟ فقال ما لي علم بهذا الباب، ثم اتفق أنه حضر في مجلس الشيخ فقال في أثناء كلامه: أي شيء يعمل الذباب عندي، لا دبس الدنيا ولا عسل الأخرى، والمعنى أنه متجرد للمولى.

وعن احمد بن صالح بن شافع الجيلي، قال كنت مع الشيخ بالمدرسة النظامية، فاجتمع إليه الفقهاء والفقراء، فتكلم في القضاء والقدر، فبينما هو يتكلم إذ سقطت حية عظيمة في حجره من السقف، ففر منها كل من كان حاضراً عنده، ولم يبق إلا هو، فدخلت الحية تحت ثيابه ومرت على جسده وخرجت من طوقه والتفت على عنقه، ومع ذلك ما قطع كلامه ولا غير جلسته، ثم نزلت إلى الأرض، ثم ذهبت، فجاء الناس إليه ثم سألوه، قال: أردت أن لا يناقض قولي فعلي.

وعن الشيخ أبي عبد الله عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر، أن مدة كلام والده على الناس أربعون سنة وكان يكتب ما يقول في مجلسه أربعمائة محبرة عالم وغيره، وكان كثيراً ما يخطو في الهواء في مجلسه على رؤوس الناس خطوات ثم يرجع إلى الكرسي، وكان يموت في مجلسه الرجلان والثلاثة.

وروي عن الشيخ أنه قال: أتمنى أن أكون في الصحاري والبراري كما كنت أولاً، لا أرى الخلق ولا يرونني. ثم قال: أراد الله ﷻ مني منفعة الخلق، فإنه قد

أسلم على يدي أكثر من خمسمائة من اليهود والنصارى، وتاب على يدي من العيارين والمسالمة أكثر من مائة ألف، وهذا خير كثير.

وعن الشريف محمد بن الأزهر الحسيني أنه كان يحضر مجلس الشيخ أكابر مشايخ العراق واعيان علمائها قبل الشيخ بقا والشيخ علي بن الهيتي والشيخ أبي النجيب السهروردي وغيرهم.

وعن أبي صالح نصر[1] قال سمعت عمي أبا عبد الله عبد الوهاب يقول قلت لوالدي أريد أن أتكلم على الناس بحضرتك فأذن لي، فصعدت على الكرسي وتكلمت بما شاء الله من العلوم والمواعظ، ووالدي يسمع، فلم يخشع قلب ولم تجر دمعة، فضج أهل المجلس بوالدي يسألونه يتكلم عليهم، فنزلت وصعد والدي وقال: كنت بالأمس صائماً وقلت أم يحيى بيضات فجعلتها في سكرجة ووضعتها على الشرفة فجاءت السنور فرمت بها وانكسرت، قال فضج أهل المجلس بالصراخ، فلما نزل قلت له في ذلك، فقال: يا بني إني كلما صعدت الكرسي تجلى الحق ﷻ على قلبي وبسطني فحدثت بما سمعت بسطاً مقبوضاً بالهيبة.

التجلي

وسُئل الشيخ عبد القادر، قال: التجلي الأول بصفة لا يثبت لبدوّها بشر، إلا بتأييد نبوي، والتجلي الثاني بصفة الجلال من حيث موصوفه، والتجلي الثالث بصفة الجمال من حيث المشاهدة.

عثر الحلاج

وعن أبي القاسم البزار أنه قال: عثر الحسين الحلاج ولم يكن في زمانه من يأخذ بيده، لو كنت في زمانه لأخذت بيده، وأنا لكل من عثر به مركوبه من أصحابي ومريدي ومحبي إلى يوم القيامة آخذ بيده.

---

(1) أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الكيلاني، قاضي قضاة بغداد.

وعن عبد المطلب بن أحمد قال: كان شيخنا الشيخ عبد القادر يوماً يتكلم فتداخل الناس فترة فنظر إلى السماء وقال:

لا تسقني وحدي فما عودتني أني أشح بها على جلاسي

أنت الكريم وهل يليق تكرماً أن يعدم الندماء دور الكاسي

فاضطرب الناس اضطراباً شديداً، وتداخلهم أمر عظيم، ومات في المجلس واحد واثنان.

مقام المخدع

قال عبد الرحمن الطفسونجي: إني لا اسمع بذكر الشيخ عبد القادر إلا في الأرض، وإن لي أربعين سنة في دركات باب القدرة فما رأيته، ثم قال لجماعة من أصحابه اذهبوا إلى بغداد وقولوا للشيخ عبد القادر: يسلم عليك عبد الرحمن ويقول لك إنه له أربعين سنة في دركات باب القدرة فما رآك ثم لا داخلاً ولا خارجاً؟

فقال الشيخ عبد القادر في ذلك الوقت لجماعة من أصحابه اذهبوا إلى الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي وستجدون في طريقكم أصحابه بعثهم إلي بكذا وكذا، فإذا لقيتموهم فردوهم معكم، فإذا أتيتموه فقولوا له: يسلم عليك عبد القادر ويقول لك أنت في الدركات ومن هو في الدركات لا يرى من هو في الحضرة، ومن هو في الحضرة لا يرى من هو في المخدع، وأنا في المخدع، أدخل وأخرج من باب السر، من حيث لا تراني، بإمارة إن أخرجت لك الخلعة الفلانية على يدي وهي خلعة الرضا، وبإمارة التشريف الفلاني، في الليلة الفلانية لك على يدي، خرج وهو تشريف الفتح، وبإمارة إن خلع عليك في الدركات بمحضر اثني عشر ألف ولي لله تعالى خلعة الولاية، وهي فرجية خضراء طرازها سورة الإخلاص على يدي خرجت لك، فانتهوا إلى نصف الطريق فوجدوا أصحاب الشيخ عبد الرحمن

فردوهم وأتوهم إليه وبلغوه رسالة الشيخ عبد القادر، فقال صدق الشيخ عبد القادر سلطان الوقت صاحب التصريف فيه.

مجلس للشيخ

ومنها ما رواه الشريف أبو عبد الله الحسين البغدادي قال: حضرت مجلس شيخنا الشيخ عبد القادر، وكان في المجلس يومئذ نحو من عشرة الآلف رجل، وكان الشيخ علي بن الهيتي جالسا تجاه الشيخ بجنب دكة المقرئ، فأخذته سنة فقال الشيخ للناس: اسكتوا فسكتوا، حتى يقول القائل انهم لا يسمع منهم الا أنفاسهم، ثم نزل من على الكرسي، ووقف بين يدي الشيخ متأدباً وجعل يحدق إليه، ثم استيقظ الشيخ علي.

فقال له: أرأيت رسول الله ﷺ في المنام، قال: نعم، قال من أجله تأدبت فيم أوصاك؟ قال: بملازمتك، قال فسئل الشيخ علي عن معنى قول الشيخ من أجله تأدبت، قال: الذي رأيته في المنام رآه في اليقظة.

البداية والنهاية

ومنها ما نقل أنه قيل للشيخ صف لنا شيئاً مما وجدته في حال البداية والنهاية من هذا الأمر، لنقتدي به بك في سبيل الهداية؟ فأنشد:

أنـــا راغـــب فـــيمن تغـــرب وســـنه ومناســـب لفتـــى يلاطـــف لطفـــه

ومفـــاوض العـــشاق فـــي أســـرارهم مـــن كـــل معنـــى لـــم يـــسعني كـــشفه

قـــد كـــان يـــسكرني مـــزاج شرابـــه واليـــوم يـــصحيني لديـــه صرفـــه

فأغيـــب عـــن رشـــدي بـــأول نظـــرة واليـــوم أســـتحليه ثـــم أزفـــه

تاج العارفين

أمسك تاج العارفين أبو الوفا بيد الشيخ عبد القادر، وقال له يا عبد القادر لك وقت، فإذا جاء فاذكر هذه الشيبة، وقبض على كريمته.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

انتهى الكتاب

والحمد لله رب العالمين

حققه وعلق عليه

السيد ميعاد شرف الدين الكيلاني

المصادر والمراجع

1. الإمام الغزالي (محمد بن محمد): إحياء علوم الدين. تصحيح الشيخ عبد العزيز السيروان. دار القلم بيروت. ط2.
2. الأربعون في أصول الدين، دار الآفاق الجديد بيروت 1978.
3. مكاشفة القلوب دار المعرفة بيروت 1996.
4. عبد الرزاق عبد القادر الكيلاني: الأربعون الكيلانية- تعليق زهير الشاويش المكتب الإسلامي. 2000م.
5. عبد الكريم الجيلي: الإنسان الكامل- مطبعة صبيح القاهرة.
6. الكمالات الإلهية- دار الكتب العلمية. بيروت.
7. القشيري (أبو القاسم): الرسالة القشيرية. نسخة دار الخير.
8. الكلاباذي (أبو بكر محمد): التعرف لمذهب أهل التصوف. دار صادر بيروت 1422هـ/2001م.
9. الإمام الشعراني (عبد الوهاب): الطبقات الكبرى. دار الكتب العلمية بيروت. ط2. 2006م.
10. الإمام عبد القادر الكيلاني: الغنية لطالبي طريق الحق ﷻ. تحقيق فرج الوليد. طبعة بغداد.
11. فتوح الغيب. دار الكتب العلمية. بيروت.
12. الفتح الرباني والفيض الرحماني. دار الكتب العلمية بيروت.
13. سر الأسرار. دار الكتب العلمية. بيروت 2005م.
14. ميعاد شرف الدين الكيلاني: (تاريخ النقباء)- دار الكتب العلمية- بيروت 2011م.
15. ميعاد الكيلاني (قطب بغداد سيدنا عبد القادر الكيلاني)- دار الكتب العلمية- بيروت. 2011م.
16. ميعاد الكيلاني (أبواب التصوف) دار الكتب العلمية- بيروت 2010م.
17. ميعاد الكيلاني (مجالس شيخ الإسلام- جلاء الخواطر)- دار الكتب العلمية- بيروت 2010م.

18. ميعاد الكيلاني (مكاتبات سيدنا عبد القادر الكيلاني وشرحها) دار الكتب العلمية - بيروت. 2009م.
19. ميعاد الكيلاني (صحيح الأذكار والأوراد والأدعية القادرية). دار الكتب العلمية - بيروت. 2011م.
20. ميعاد الكيلاني (المقالات الذوقية للإمام الكيلاني). دار الكتب العلمية - بيروت. 2011م.
21. ابن الملقن: طبقات الصوفية. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية - بيروت. ط2. 1427هـ.
22. أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة. دار إحياء التراث العربي بيروت 2001م.
23. أبو البقاء: الكليات- مؤسسة الرسالة. بيروت. ط2. 1998م.
24. الشريف الجرجاني: التعريفات. دار الشؤون الثقافية- بغداد. 1996م.
25. القاشاني: لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام. ضبطه د. عاصم الكيالي. دار الكتب العلمية. بيروت 2004م.
26. الشيخ عمر السهروردي: عوارف المعارف. دار الكتاب العربي. بيروت 1996م.
27. الكمشخانوي (ضياء الدين أحمد): جامع الأصول في الأولياء. دار الكتب العلمية- بيروت- 2002م.
28. ابن زروق: قواعد التصوف. مكتبة الكليات الأزهرية. ط2. 1976م.
29. التهانوي (محمد علي): كشاف اصطلاحات الفنون. دار الكتب العلمية- بيروت- 1998م.
30. المناوي (زين الدين): الطبقات الكبرى والصغرى (الكواكب الدرية) دار صادر. بيروت- 1999م.
31. الخراز (أبو سعيد): رسائل الخراز. تحقيق قاسم السامرائي. مطبعة المجمع العلمي العراقي. بغداد- 1967م.
32. ابن الجوزي (عبد الرحمن): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. دار صادر- بيروت.
33. ابن رجب (عبد الرحمن): ذيل طبقات الحنابلة. دار الكتب العلمية بيروت. 1975م.

34. التادفي (محمد بن يحيى): قلائد الجواهر- دار الكتب العلمية. بيروت.
35. ابن الوردي (زين الدين عمر): تاريخ ابن الوردي - دار الكتب العلمية - بيروت - 1996م.
36. الشطنوفي (علي بن يوسف): بهجة الأسرار- دار الكتب العلمية - بيروت 2002م.
37. حاجي خليفة (مصطفى الحنفي): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون دار الفكر. بيروت- 2007م.
38. السراج (عبد الله بن علي): اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي. دار الكتب العلمية- بيروت- 2001م.
39. البكري (عبد الرحمن الصقلي): الأنوار في علم الأسرار ومقامات الأبرار. دار الكتب العلمية. بيروت- 2000م.
40. إبراهيم الدروبي: الباز الأشهب. مطبعة الرابطة. بغداد. 1955م.
41. عماد عبد السلام: الآثار الخطية في المكتبة القادرية. بغداد. مطبعة المعارف. 1980م.
42. د. درنيقة (محمد أحمد): الطريقة القادرية وأعلامها. المؤسسة الحديثة للكتاب. طرابلس- 2009م.
43. القسطلاني (أحمد بن محمد): المواهب اللدنية بالمنح المحمدية. دار الكتب العلمية. بيروت. 1996م.
44. كحالة (عمر رضا): معجم المؤلفين: دار إحياء التراث العربي.
45. محمد خير رمضان يوسف: تكملة معجم المؤلفين - دار ابن حزم بيروت- 1997م.
46. الإمام البيهقي: كتاب الأسماء والصفات. دار الكتب العلمية - بيروت.
47. ظهير الدين القادري: الفتح المبين. المطبعة الخيرية - مصر- 1306هـ.
48. محمد أحمد البيض: نبي الرحمة. مؤسسة المختار - 2008م.
49. محمد الخضري: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين. دار الخير 2003م.
50. المناوي (زين الدين): الروض الباسم. دار البشائر- دمشق. 2002م.
51. ابن أبي يعلى الحنبلي: طبقات الحنابلة. دار الكتب العلمية- بيروت- 1997م.
52. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب. دار الكتب العلمية. بيروت. 1998م.

53. أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. مكتبة الإيمان- 2007م.
54. المباركفوري (صفي الرحمن): الرحيق المختوم- دار الإصلاح. ط2- 2009م.
55. أبو بكر القادري: الشيخ عبد القادر الجيلاني. مطبعة النجاح. الدار البيضاء - 1999م.
56. الملا علي القاري: شرح الشفا للقاضي عياض. دار الكتب العلمية - بيروت.
57. الزبيري (أبو عبد الله المصعب): كتاب نسب قريش. دار المعارف للطباعة والنشر. مصر- 1953م.
58. د. يوسف زيدان. ديوان عبد القادر الجيلاني. دار الجيل. بيروت- 1998م.
59. المحاسبي (الحارث بن أسد): الرعاية لحقوق الله. مطبعة المدني. القاهرة- 2008م.
60. المحاسبي رسالة المسترشدين. حلب- 1964م.
61. السيد محمد المكي الحسني: محمد الإنسان الكامل- دار الكتب العلمية. بيروت- 2008م.
62. السمرقندي (أبو الليث): الدار الذهبية. القاهرة. دون تاريخ.

المخطوطات

63. مخطوطة الحجة البيضاء.
64. مخطوطة المختصر في تاريخ شيخ الإسلام.
65. مخطوطة نزهة الخاطر الفاتر.
66. مخطوطة الإمام الخراز شيخ الفناء والبقاء - تحت الطبع في دار الكتب العلمية- بيروت. (طبعت بعد إعداد هذا الكتاب) كتاب ناشرون
67. مجموعة وثائق ومستندات ورسائل وإجازات قديمة.

المجلات

68. مجلة التصوف الإسلامي- بغداد. العدد5- 2011م.
69. مجلة معالم التصوف- بغداد- العدد 1- 2012م.

فهرس المحتويات

AṬ-ṬARĪQA AL-QADIRIYYA UṢŪLUHĀ WA QAWĀ'IDUHĀ

FOLLOWED BY:

NUZHAT AL-ḪĀṬIR AL-FĀTIR FĪ TARJAMAT AŠ-ŠAYḪ ABDUL-QĀDIR

by

As-Sayyed Mi'ad Sharafuddin Al-Kilani

